

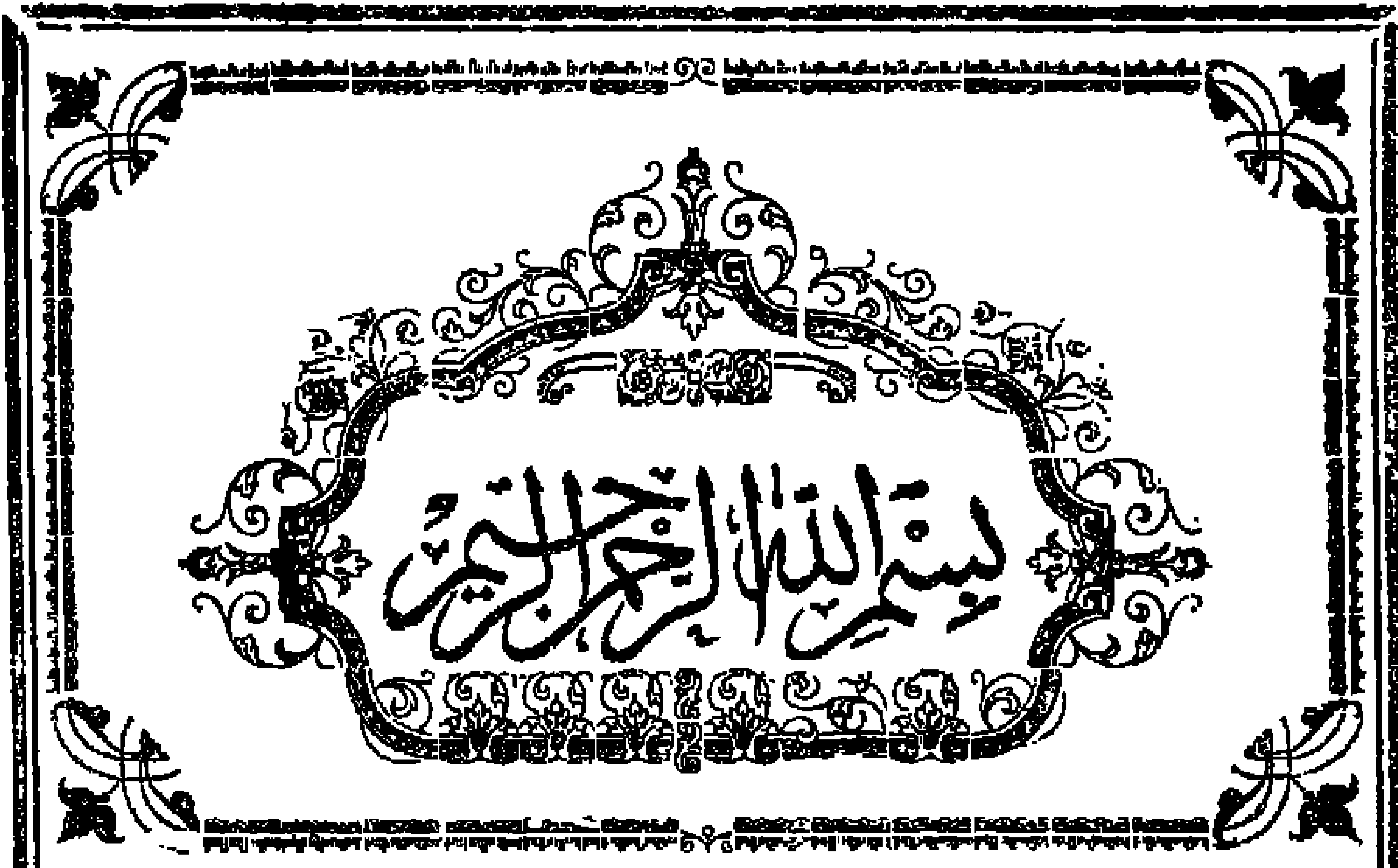
القسم الثاني من

كتاب
الازهار الرياضية
في أئمة وملوك الاباضيه

تأليف

الفقير الى مولاه الغني سليمان بن الشيخ
عبد الله الباروني النفوسي وفقه
الله لصالح العمل وعامله بالحسنى
آمين

وهذا القسم يختص بالكلام على مدينة تيهرت
وأئمة بني رستم فيها رحمهم الله ورضي عنهم
وبهامشه تعليقات عليه لا تخلو من فائدة
حررها مؤلفه حفظه الله



القسم الثاني من الكتاب

في انتقال الامامة من طرابلس الى مدينة تيهرت بالمغرب الاوسط ومبدا ذلك وأسبابه

قد تقدم ان عبد الرحمن بن رستم لما ورد عليه امر الامام ابي الخطاب من طرابلس وهو عامل له بالقيروان جهز جيشاً وسار به ولما وصل (قابس) أدركه خبر وفاة الامام فتفرق عليه الجيش وقامت (قابس) على عاملها فعاد الى القيروان فوجدها قد قامت على وكيله أيضاً ووجد عبد الرحمن ابن حبيب ثائراً بها كما مر مفصلا * في القسم الاول * ولما وجد الأمر كذلك خرج مستخفيا قاصداً المغرب ولم يكن معه شيء الا ما خف من ماله وابنه عبد الوهاب ومملوكه وفرسه وما ساروا غير قليل حتى ماتت الفرس فدفنوه كي لا يعلم بموته أحد من حزب ابن حبيب فيطمع فيهم ويتبع أثرهم ولما تعب عبد الرحمن من السير لكبر سنه تناوب حمله ابنه عبد الوهاب على ظهره

مع المملوك وقال كل منهما للآخر اذا لحقنا من العدو مادون خمسمائة فارس فلا تضع الشيخ (أى عبد الرحمن) الى الارض وانا أكفيك مؤنة الدفاع وضلوا سائرين قاصدين رحاب المغرب وأكنافه (١) الواسعة المزدانة (٢) برجال الاباضية اخوانه ومحبي سيرته حيث يعمه الأمن ويحيط به العز والشرف ويشمله الاجلال والاحترام الى ان بلغوا جبلا يعرف بسوفجج * وهو على ما وصف به فى التواريخ فى غاية المنعة وصعوبة المرقى فتحصن فيه وسمع به وجوه الاباضية وعلماؤهم فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع عنده من طرابلس وجبل نفوسة من العلماء فقط مايزيد على ستين من اكابر العلماء وأهل الفضل والرأى ولما بلغ ابن الاشعث وهو فى القيروان كما مر خبر هذا الاجتماع اشتد به الرعب وداخله الفزع ولم يطب له طعام ولا شراب ولا منام حتى جهز جيشا وسار به الى الجبل المذكور لمحاصرته قبل أن يعظم ذلك المجتمع * ولما وصله نزل فى سفحه (٣) وحفر خندقا على معسكره (٤) خوفا من هجوم عبد الرحمن ومن معه عليه وأقام محاصرا للجبل زمنا مستعملا كل الحيل في دخوله والاستيلاء عليه ولم يتمكن من ذلك ولما سئم (٥) الاقامة وتوقع انقلاب الحال عليه وخاف سوء العاقبة ولاسيما بعد أن انتشر داء الحمى والجدري فى عسكره حتى هلك منهم خلق كثير استشار في الامر خواصه فأشار عليه بعض بالارتحال وبعض بالاقامة فأخذ برأي الاولين وارتحل قائلا ان سوفجج لايدخله الا دارع ومدجج (٦) ولم نقف على مانستدل به على تعيين هذا الجبل

(١) أي جوانبه (٢) أي المزينة (٣) سفح الجبل أسفله (٤) المعسكر موضع اجتماع العساكر (٥) أى مل بتشديد اللام (٦) دارع كلابن وتامر هو الرجل

وأي الجبال هو لتبدل الاسماء بتبدل اللغات مع طول الزمن * فدخل القيروان وتحصن بها وامام عبد الرحمن هنالك حتى اجتمع عليه من أهل الفضل والعلم والصلاح جم غفير وارتحل (١) الى جهة ﴿تاهرت﴾ وهي اذذاك مدينة قديمة يسكنها وما حولها قبائل من البربر مثل هوارة * ومكناسة * ونفوسة * ولماية ومزاتة وغيرهم وكلهم أباضية الا النادر ويعدون بمآت الالوف * قال المؤرخ ابن خلدون * وقتل ابو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته في القيروان فاحتمل أهله وولده ولحق بأباضية المغرب الاوسط من البربر الذين ذكرناهم ونزل على * لماية * لقديم حلف (٢) بينه وبينهم

الذي عليه الدرع بكسر الدال وهي حلة من حديد تلبس حال الحرب * تذكر وتؤنث * والمدجج * بتشديد الجيم الاولى هو الرجل المتقلد بسلاحه الحديد القوي * قال الحوى في ٤٤٨ كأنه من الديجوج وهو الظلام كانه يختفي في الظلام كما يختفي في السلاح اه ولعله بالعكس

(١) الذي يظهر أن الذي سار فيه عبد الرحمن ومن معه من ذلك الجبل الى حد تاهرت كله عامر بالاباضية لا غير أولهم السيادة فيه والا لما أمكن له الوصول بدون أن يعرض له عارض مع اشتهار أمره وشدة طلب العدو له * ولم نعلم السبب المرجح لذهابه الى المغرب دون جبل نفوسه وما حوله العامر بالاباضية مع قربه منه وقوتهم اللهم الا أن يكون ذلك الحلف الذي سيأتي ذكره عن ابن خلدون

(٢) الحلف بالكسر العهد بين القوم والصداقة والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به اه قاموس ﴿فائدة﴾ قال والاحلاف قوم من ثقيف (بفتح الثاء) وفي قريش ست قبائل * عبد الدار * وكعب * وجمح * (بضم ففتح) وسهم * ومخزوم * وعدي * لانهم لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة والسقاية (في المسجد الحرام) وأبت عبد الدار عقد كل قوم على أمرهم حلفا (بكسر الحاء) مؤكدا على أن لا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعتها

اه وذكر مثل ذلك العلامة الحموي في تاريخه أيضا * ولما وصلهم استبشروا به لما يبلغهم من استقامته وعدله وعلمه وورعه أيام كان عاملا لابي الخطاب على القيروان والتفوا حوله واستظلوا بحمايته ووقفوا عند أوامره ونواهيه بدون ان يدعي فيهم خلافة أو يطلب بيعة أو ما كان اجتمعوا اليه (١) وقالوا له لا بد لنا من امامة ظهور بعد تأسيس مدينة حصينة منيعة بعيدة عن مهاجمات العدو (٢) تكون مأوى ومقراً لا ما متنا (٣) وملجأ لنا في حربنا وسلمنا فأجابهم عبد الرحمن الى ذلك واستحسن رايهم

لأحلافهم وهم * أسد * وزهرة * وتيم * عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤهم حلفا آخر مؤكدا فسموا الاحلاف وقيل لعمر رضى الله عنه * أحلافى * (بياء النسب) لانه عدوي اه واعل مراد ابن خلدون بالحلف هاهنا مجرد الصداقة والالفة لم نعثر في كلام المورخين على حصول معاهدة بين عبد الرحمن وبين قبيلة لماية أو غيرها من القبائل قبل توجهه الى جهة تيهرت الا أن يكون ذلك أيام امارته بالقيروان ولم نطلع عليه والله أعلم

(١) الظاهر أن هذا الاجتماع كان قبل أن يحصل تقديم أبي حاتم رحمه الله الله في جهات طرابلس كما يتبين بالنظر الى تاريخ تأسيس تاهرت وتاريخ ولايته على ما تقدم وما سيأتي

(٢) يريدون بذلك أن تكون في وسط مواطنهم ومعظم جموعهم وقوتهم ولا تكون قريبة من حدود مملكة قوية من ممالك غيرهم حتى لا يسهل هجوم العدو عليها كطرابلس فانها على البحر وقريبة من حدود مصر ولذلك لم يستقر لهم فيها قرار

(٣) أي الامامة التي يضمرون عقدها لعبد الرحمن أو غيره في مستقبلهم أما أبو حاتم فلا ذكر له اذ ذاك ولم نقف على نص يوضح حال أباضية طرابلس والجبل وما يلي ذلك في الزمن الذي بين وفاة أبي الخطاب وامامة أبي حاتم رحمهما الله فانها مدة لا يمكن أن تخلو من عمل مع ما هم عليه من القوة عددا وعدة وسنبحث على ذلك ان شاء الله

ابتداء تأسيس مدينة تيهرت

فاختاروا اذ ذاك من اهل العلم والخبرة بالارض جماعة ليرتادوا (١) مكانا جيد الهواء كثير المياه خصب الارض قابلا للعمارة مأمونا من العدو كما طلبوا فطافوا اقطار تلك الجهات الى ان عثروا على المكان الذي بنيت فيه وكان غابة ملتفة بالاشجار يسكنها انواع الوحوش * قال العلامة الشماخي رضي الله عنه في تاريخه نقلا من تاريخ ابي زكرياء رحمهما الله * ان بقية المسلمين ورؤساء العابدين وكبراء الزاهدين من جماعة المؤمنين اتفقوا على ان يتخيروا موضعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا الاسلام فأرسلوا الرواد (٢) فطافوا أطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تاهرت فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لاهلها خراجا (٣) معلوما يأخذونه من

---

(١) أي ليطلبوا فهو مضارع ارتاد وفي الحديث اذا بال أحدكم فليرتد لبوله أي فليطلب مكانا لينا أو منحدرا

(٢) جمع رائد وهو الذي يرسل في طلب الكلا كما في القاموس والمراد هنا المرسلون في طلب أرض على النعت المذكور

(٣) أي مقدارا معيناً من المال يدفعه لارباب الارض أصحاب البيوت والاسواق والحمامات بقانون متفق عليه في كل شهر أو كل سنة وقد عرف بعضهم الخراج فقال * الخراج والخرج (بفتح فسكون) بمعنى واحد وهو أن يودى العبد اليك خراجه أى غلته والرعية تودى الخراج الى الولاة وأصله من قوله تعالى *أم تسألهم خرجا *وقرئ*خراجاً معناه أم تسألهم أجرا على ماجئت به فأجر ربك وثوابه خير * وأما الخراج الذى وظفه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على السواد فأراضي الفئ فان معناه الغلة ومنه قوله عليه السلام * الخراج بالضمان* قالوا هو غلة العبد يشتريه الرجل فيستغله زمانا ثم يعثر منه على عيب دلسه البائع ولم يطلعه عليه فله رد العبد على البائع والرجوع عليه بجميع الثمن والغلة التي استغلها المشترى من العبد طيبة له لانه كان في

غلتها اه ﴿ وذلك بعد أن راودهم عبد الرحمن على البيع ولم يقبلوا كما سيأتى عن الحموي ﴾ وأمروا مناديا فنادى بأعلى صوته قائلا * يامن بها من الوحوش والسباع إن اخرجوا وارتحلوا فانا نريد عمارتها ونازلون بها ولكم اجل ثلاثة ايام * او مافي معنى هذا الكلام* قال ابو زكرياء وذكروا انهم رأوها تحمل اولادها في افواهها وهي خارجة من تلك الاشجار فرغبهم ذلك فيها وزادهم بصيرة في عمارتها اه * (١)

*ولما تم الاجل ولم يبق بها من تلك الوحوش شيء اوقدوا شجرها نارا فأحرقته ولما خمدت النار وتمت تنقية الاشجار (٢) وصارت صالحة

ضمانه ولو هلك هلك من ماله وكان عمر رضي الله عنه أمر بمسح السواد ودفعه الى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة ولذلك يسمي خراجاً ثم بعد ذلك قيل للبلاد التى فتحت صلحا ووظف ماصولحوا عليه علي أرضهم خراجية لان تلك الوظيفة اشبهت الخراج الذى لزم الفلاحين وهو الغلة لان جملة معنى الخراج الغلة وفي الحديث ان أبا طيبة لما حجم النبي صلى الله عليه وسلم أمر له بصاعين من طعام وكلم اهله فوضعوا عنه من خراجه أى من غلته اه

(١) ذكر بعض المؤرخين مثل هذه الحكاية في شأن الصحابة لما فتحوا افريقية وأرادوا تأسيس مدينة القيروان ولعل الامام عبد الرحمن اقتدى بهم في تأسيس تاهرت أيضا ولم نجد من نسب له هذه الكرامة من مؤرخي غيرنا أما عندنا ففي كل تاريخ والله أعلم

(٢) ذكر العلامة الشماخي والعلامة أبو زكريا رحمهما الله أنهم وضعوا في أصول تلك الاشجار حيسا (أي معجونا اتخذوه من تمر واقط وسويق مخلوطين بسمن) فجاءت الخنازير في الليل (وكأنها موجودة بكثرة وتحب هذا المعجون جداً) لما شمت رائحته وصارت تحفر تحت تلك الاصول بحثاً وراء ذلك الحيس حتى نزعتها كلها * و بالتأمل يظهر أن هذا الامر يحتاج الى شيء كثير من السمن ولوازمه لما

للعمارة قصدوا الى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شئ فانتخبوا أربعة أماكن ورموا القرعة عليها فجاءت على المكان الذي خصصوه لصلاتهم ايام اقامتهم في تنقية الاشجار * فشرعوا في تاسيسه واختطوها بيوتا وقصورا وأسواقا وحمامات ٠ ومساجد ٠ وفنادق (١) يحيط بالكل سور (٢) محكم وتفننوا تدريجا في عمارتها وتنظيمها حتى كانت عروس تلك الاقطار وفخر تلك الديار ٠ واصبحت كما وصفها المؤرخون من انها عراق المغرب ٠ وانها بلخ (٣)

في المكان من كثرة الشجر * ثم انظر كيف يتأتى للخنازير نزع تلك الاصول العظيمة ذات العروق الراسخة المتفرعة في باطن الارض من أحقاب لا يعلمها الا خالقها التي يكل في قطعها الحديد الحاد * فالله أعلم كيف كان ذلك ولعل هناك أمرا آخر سهل نزعها مع الخنازير وأهمله التاريخ أو جعلوا ذلك لما بقي بعد الحرق من أصول الاشجار الرقيقة لكثرتها وأما العظيمة فباشروا ازالتها بأنفسهم وعلى كل حال فلاحظ للنظر مع وجود الاثر اذ ما نقلوا رحمهم الله ذلك ودونوه الا عن يقين وصحة

(١) الفنادق جمع فندق وهو لغة الخان أي محل التجارة وفي اصطلاح عصرنا يطلق غالبا على محل كبير ذي بيوت معدة لنزول المسافرين به بالاجرة ويختلف باختلاف المدن والبلاد في معداته وترتيباته (٢) بقي الى الآن من هذا السور قطعة تدل على متانته وسيأتي في الاصل كلام عليه

(٣) العراق * و بلخ * من البقاع التي كانت يضرب بها المثل في الحضارة والمدنية والعمران بالشرق في صدر الاسلام خصوصاً في دولة بني العباس المعاصرة لدولة الرستميين * أما العراق فكائنة في مصب النهرين المباركين * نهر دجله * ونهر الفرات * ومن مدنه المشهورة ﴿ مدينة بابل ﴾ وسيأتي زيادة كلام عليه* ولا نزيده الآن تقريظا على ما ذكره الحموي حيث قال في صحيفة ٦٣٠ من المجلد الثالث هكذا * والعراق أعدل أرض هواء وأصحها مزاجا وماء فلذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشهوات المحمودة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة ﴿ لا تغفل ايها القارى فاننا ماسقنا هذا الكلام هنا

المغرب . وانها قاعدة المغرب الاوسط . لما كان بها من الحضارة الاسلامية ورواج سوق المعارف والتجارة الواسعة اذ كانت ترد اليها وتصدر منها أنواع البضائع الى السودان وأقصى المغرب وبلاد الاندلس ومصر والشام والحجاز

الا لتشبيههم تيهرت بالعراق — مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط وسمرة اللون وهم الذين أنضجتهم الارحام فلم تخرجهم بين أشقر وأصهب وأبرص كالذي يعتري أرحام نساء الصقالبة من الشقرة ولم تتجاوز أرحام نسائهم في النضج الى الاحراق كالزنج والنوبة والحبشة الذين حالك لونهم ونتن ريحهم وتفلفل شعرهم وفسدت آراؤهم وعقولهم فمن عداهم بين أحمر لم ينضج ومجاوز للقدر حتى خرج من الاعتدال قالوا وليس (بالعراق) مشات كشاتي (الجبال) ولا مصيف كمصيف (عمان) ولا صواعق كصواعق (تهامة) ولا دماميل كدماميل (الجزيرة) ولا جرب كجرب (الزنج) ولا طواعين كطواعين (الشام ولا كطيحال (البحرين) ولا كحمى (خيبر) ولا كزلازل (سيراف) ولا كحرارات (الاهواز) ولا كأفاعي (سجستان وثعابين (مصر) الى أن قال واقليم بابل موضع التميمة من العقد و واسطة القلادة ومكان اللبة من المرأة الحسناء والمحة من البيضة والنقطة من البركار * قال عبيد الله المفتقر الى رحمته وهذا الذى ذكرناه عنهم من ادل دليل على ان المراد بالعراق ارض بابل الا تراه قد افرده عنه بما خصه به وقال شاعر يذكر العراق

﴿ الى الله أشكو عبرة قد اظلت * ونفسا اذا ماعزها الشوق ذلت ﴾
﴿ نحن الى أرض العراق ودونها * تنائف لو تسري بها الريح ضلت ﴾

واما بلخ * فقد قال فيها * و بلخ من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيرا وأوسعها غلة تحمل غلتها الى جميع خراسان والى خوارزم * اه

ثم نسب اليها جماعة كبيرة من العلماء والفضلاء * و بها ذلك البناء الفخيم المسمى (بالنوبهار) وقد قال فيه أيضاً نقلا عن ابن الازرق الكرماني هكذا * كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم (قبل الاسلام)

واليمن و بغداد وغير ذلك من البلاد وكان لها على البحر مراسي متمددة معروفة ترسي بها مراكبها ومدن عامرة ذات اسواق رائجة واسوار منيعة

عبادة الاوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون اليها و يعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الاصنام و زينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة وتفسير النو بهار البهار الجديد * لأن (نو) الجديد وكانت سنتهم اذا بنو بناء حسنا أو عقدوا بابا جديدا أو طاقا شريفا كالوه بالريحان و يتوجون ذلك بأول ريحان يطلع في ذلك الوقت فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار فسمي نو بهار لذلك وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الاعلام وكانوا يسمون قبته الأستن (بضم الهمزة والتاء) وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلثمائة وستون مقصوره يسكنها خدامه وقوامه وسدنته وكان على كل واحد من من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لايعود الى الخدمة حولا كاملا و يقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقاه بترمذ (بكسر التاء والميم) و بينهما اثنا عشر فرسخا وكانوا يسمون السادن الاكبر برمك لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه بن مكة فكان كل من ولي منهم السدانة برمك وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج الى هذا البيت وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الاكبر و يقبلوا يد برمك وجعلوا للبرمك ماحول النوبهار من الارضين سبع فراسخ في مثلها وجميع أهل ذلك الرستاق عبيد له يحكم فيهم بما يريد وصيروا للبيت أوقافاً كثيرة وضياعا عظيمة سوى ما يحمل اليه من الهدايا التي تتجاوز الحد وكل ذلك يصل الى برمك الذى يكون عليه فلم يزل يليه برمك بعد برمك الى أن افتتحت خراسان في ايام عثمان بن عفان وانتهت السدانة الى برمك ابي خالد بن برمك فسار الى عثمان مع رهائن كانوا ضمنوا مالا عن البلد ثم انه رغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله و رجع الى أهله و ولده و بلده

وحصون مشيدة وغير ذلك مما سيأتي في أقوال المؤرخين من اخواننا المالكية والحنفية حتي لا يخطر ببال القاريء ان ماقلناه وسنقوله مجرد مبالغة منا او

فانكروا اسلامه وجعلوا بعض ولده مكانه برمك فكتب اليه * نيزك طرخان * أحد الملوك يعظم ما اتاه من الاسلام و يدعوه الى الرجوع في دين آبائه فأجابه برمك انى انما دخلت في هذا الدين اختيارا له وعلما بفضله من غير رهبة ولم أكن لأرجع الى دين بادي العوار مهتك الاستار . فغضب نيزك وزحف الى برمك في جمع كثير فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني قد استنجدت الملوك فأنجدوني فاصرف عني أعنة خيلك والا حملتني على لقائك فانصرف عنه ثم استغره و بيته فقتله وعشرة بنين له فلم يبق له سوى طفل وهو برمك أبو خالد فان أمه هربت به وكان صغيرا الى بلاد القشمير من بلاد الهند فنشأ هناك وتعلم علم الطب والنجوم وأنواعا من الحكمة وهو على دين آبائه ثم ان أهل بلده أصابهم طاعون وو باء فتشاءموا بمفارقة دينهم ودخولهم في الاسلام فكتبوا الى برمك حتى قدم عليهم فأجلسوه في مكان آبائه وتولى النوبهار ثم تزوج برمك بنت ملك الصغانيان فولدت له الحسن و به كان يكنى وخالدا وعمرا وأختا (لعله فيه هنا سقطا وهو افظ لهم) يقال انها أم خالد وسليمان بن برمك أمه امرأة من أهل بخارا وكان ابن برمك وأم القاسم من امرأة أخرى بخارية ايضا * ولما فتح عبد الله بن عامر بن كريز خراسان أنفذ قيس بن الهيثم حتى قدم مدينة بلخ وقدم بين يديه عطاء بن السائب فدخل بلخ وخرب النوبهار وقال بعض الشعراء يذكر النوبهار

﴿ أوحش النوبهار من بعد جعفر * ولقد كان بالبرامك يعمر ﴾
﴿ قل ليحيي أين الكهانة والسحـ * ـر وأين النجوم عن قتل جعفر ﴾
﴿ أنسيت المقدار أم زاغت الشمـ * ـس عن الوقت حين قمت تقدر ﴾

وقال أبو بكر الصولي حدثنا محمد بن الفضل المذاري (بفتح الميم) عن علي ابن محمد النوفلي قال كان برمك ا يعمر النوبهار و يقوم به وهو اسم لبيت النار الذي كان ببلخ يعظم قدره بذلك فصار ابنه خالد بن برمك بعده فقال أبو الهول الحميري

تمويه لا سند له . وحتى يعلم ذلك الذي جهل الاباضية لقلة بضاعته في العلم وعدم اطلاعه حتى قال ماقال (١) انهم قد اخذوا دور ظهورهم ونفوذ كلمتهم في مقدمة الآخذين في عنصر الاسلام وشباب العصر القريب من اصحاب مرشد الأنام خاتم الرسالة عليه السلام * وقد ذكر ابن خلدون المغربي

يمدح الفضل بن الربيع ويهجو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي

{ فضلان ضمهما اسم * وشتت الاختبار }

{ آثار فضل الربيع * مساجد ومنار }

{ وفضل يحيى ببلخ * آثاره النوبهار }

{ وما سواه اذا ما * أوترت الآثار }

{ بيت يوحد فيه * ويعبد الجبار }

{ وبيت شرك وكفر * به تعظم نار }

انتهى بحروفه

(١) ممـا قاله هذا القائل أن الاباضية شرذمة قليلة لا ذكر لهم ولا شأن لا قديما ولا حديثا فهم أحقر الفرق وأقلها لم تقم لهم قائمة ولا نسب اليهم ملك ولا فخر منذ وجدت الفرق وتعجب تعجبا زائدا (بناء على فكره هذا) لما علم بزيارتي الى مكان { تيهرت } كما سيأتي واستعظم ذلك مني ورآه من العبث * فكان ذلك من أكبر الاسباب الداعية لي الى ابراز فضائل هذه المدينة والبحث في صفحات التواريخ عنها بعد أن مضى عليها مالا يبعد عن الف سنة وهي خراب * ولقد نبهنا الى مالم يكن خاطرا لنا بالبال فنشكره على ذلك ونتمثل فيه بقول الشاعر الحكيم

{ واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود }

{ لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب نشر العود }

فهو قد نصح من حيث غش وأرشد من حيث أضل فكان سببا لاظهار الخبيئات وابراز المجوهرات * وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم * ورب كلمة سوء من مسيء قصد بها سوءا جرت منافع

المالكي تاريخ انشائها فقال في صحيفة﴿١١٢﴾من المجلد السادس من تاريخه * واجتمعت اليه (أي الى عبد الرحمن) طوائف البربر الاباضية من * لماية* ولواته * ورجالة . ونفزاوة . فنزل بها (أي بتاهرت) واختط مدينتها سنة ماية واربعة واربعين اهـ وهو موافق لما ذكره الشماخي في سيره (١) وابو زكرياء في تاريخه (٢) * والدرجيني في طبقاته (٣)والبرادي في

---

(١) السير * تأليف جامع لمناقب كثيرين من علماء وأئمة المذهب من المغاربة و بعض من مشاهير المشارقة مع بيان أسمائهم وتواريخهم غالبا * لا نظير له في بابه الا سير نفوسة الكبير الذي أكثر موءلف هذا من النقل منه وهو من كتب المذهب المعتبرة المفقودة أما هذا فموجود مطبوع وموءلفه العلامة الكامل الشيخ أحمد الشماخي بن سعيد بن الشيخ عبد الواحد صاحب المزار المشهور تحت قصبة ابن مادي بجبل بني يفرن من جبال نفوسة توفي رحمه الله سنة ٩٢٨ وقد ذكر العلامة الشيخ محمد بن زكرياء الباروني رحمه الله أن له فضائل ومناقب جمة عزم على جمعها وكأنه لم يتيسر له ذلك أو فقد المجموع اذ لم يسمع بوجوده أحد والله أعلم والشماخي نسبة الى شماخ وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله

(٢) سير أبي زكرياء تاريخ متوسط فيه كثير مما لم يكن في سير الشماخي رحمه الله وان كان الثاني أشمل من الاول ألفه الامام الناثر الناظم التقي الشيخ أبو زكرياء يحيى من ذرية الشيخ محمد بن بكر رحمهم الله

(٣) الطبقات تأليف جليل مشهور تكلم في أئمة المذهب وعلمائه المشهورين بذكر فضائلهم و بعض أخبارهم الا أنه غير جامع للكل وقد وقفت عليه وأنا صغير لا أعرف قدره فلم أعرف منه شيئا ولتعذر الحصول عليه حال تحرير هذا فاتني كثير مما يليق بما نحن بصدده مما يمكن نقله منه * موءلفه العلامة النحرير * الشهير بطول الباع في الانشاء والتحرير * من كانت له اليد الطولى في كل الفنون الشيخ أحمد ابن العلامة الكامل الشيخ سعيد الدرجيني رحمهما الله وسيأتي الكلام عليه

جواهره(١) رحمهم الله والله اعلم بالحقائق *

﴿ذكر أقوال المؤرخين من أفاضل الاشمرية في وصف مدينة تاهرت﴾

(مع بيان اسم الكتاب او مؤلفه وعدد الصحيفة)

(غالبا فيما يكون مهمّاً تسهيلا على من أراد تحقيق ذلك)

﴿ ومراجعته من الاصل ﴾

قال العلامة ابو العباس الدمشقي في تاريخه المطبوع فى الهند تاهرت وقد رسمها بالنون غلطا اذ ذكرها في باب النون *اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب كثيرتي الاشجار والثمار والمياه اه *وقال المؤرخ ابن واضح العباسي الشهير باليعقوبي من علماء الخمسين الاولى من المائة الثالثة للهجرة المعاصر لأئمة بني رستم في تاريخه المطبوع فى مدينة ﴿ ليدن ﴾ من بلاد الافرنج سنة ١٧٦٠ عند ذكره مدن المغرب مانصه * والمدينة العظمى مدينة ﴿تاهرت﴾ جليلة المقدار عظيمة الامر تسمى عراق المغرب (٢) بها

---

(١) الجواهر كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة تمم بعض ما أهمله صاحب الطبقات من الاخبار وما هو الا كاسمه العالى وأفخر فلله اسم طابق مسماه رحم الله مؤلفه المحقق الجليل المتكلم أبا القاسم البرادي المشهور بأبي الفضل

(٢) بشهادة هذا المورخ المحقق المتقدم على كثيرين من أرباب التاريخ وشهادة من سيأتي كلامهم أيضا من غيره يعلم القارئ حيف بعض متأخري المؤرخين من أهل مدينة فاس اذ ذكر أن فاس تعرف بعراق المغرب في سابق الزمان ولم يقل هذا أحد من المتقدمين من أهل التاريخ فمن أين جاءه وما هو الا جاحد فضل ﴿تيهرت﴾ غاصب حقها وان كنا لا ننكر فضل فاس وشهرتها العظيمة فما أهون

اخلاط (١) من الناس تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن افلح بن عبدالوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وكان عبدالرحمن يتولى افريقية وصار ولده الى تاهرت فصاروا أباضية ورأس الاباضية فهم رؤساء اباضية المغرب ويتصل بتاهرت بلد عظيم (٢) ينسب الى تاهرت في طاعة محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (وسيأتي بيان اسماء تلك البلاد والمدن كلها) والحصن الذي على ساحل البحر الاعظم (٣) ترسي به مراكب تاهرت

التساهل على مثل هذا المؤرخ من المؤرخين في تبديل وتغيير الاخبار تبعا لاغراضهم وكانه لم يفكر في اتيان زمن (كهذا) تنكشف فيه السرائر وتتضح الخفايا ويستوي الماضي والحاضر في الوضوح بقيام آلات الطبع لاظهار كل مكنون من نفيس الكتب العتيقة ذات الشأن والتحقيق في التاريخ التي كانت تحت حجب الخفاء والضن بها على حد قول الامام ابى نصر النفوسي رحمه الله في شان اليوم الآخر

﴿ سينكشف السر المغطي وتنجلي * غيابات هذا الشك عن واضح الخبر ﴾

ولو تامل هذا المؤرخ في كلام الشاعر القائل *

﴿ ومهمى تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم ﴾

وقولهم ان في الزوايا خبايا لانصف في كلامه وأعطى كل ذى حق حقه ولو فيما هو بين الجمادات و بين العاصر والداصر بقضاء الله * ولعله على رأى القائلين (الدنيا مع الواقف) *

(١) الاخلاط جمع خلط بكسر الخاء * أراد أن من فيها من الناس أصناف شتى مختلطون من بربر وعرب وترك وعجم وسودان وافرنج و يهود ومشارقة ومغاربة شأن أغلب المدن الكبيرة الجامعة ذات الحضارة والامن والعدل

(٢) كل من يدرك معنى هذه الكلمة وما تقدم وما سيأتي من الفاظ التعظيم والتفخيم لا ريب يستصغر في جانب تاهرت ما سنذكره من بعض ما ينسب اليها من البلاد و يعلم انه قليل من كثير لم نعلمه و ربما كان مخزونا في بطون الدفاتر

(٣) ليس المراد البحر المحيط بالقارة الافريقية المشهور بالبحر الاعظم الذي

يقال له مرسى فروخ اه ووصف المؤرخ الادريسي المغربي في تاريخه هذا المرسى فقال وهو مرسى حسن وعليه قرية عامرة * وذكره الملك المؤيد أيضا كما سيأتي والذي يشف من كلام هذا الفاضل ابن واضح أن له بتاهرت شغفا وتعلقا

فيه الجزائر الخالدات (وكانت عامرة في قديم الزمان ببعض الحكماء المنجمين واما الآن فقد أفسدها البحر على ما يقال) و يعرف قديما ببحر الظلمات و بالاقيانوس والآن بالبحر الاطلانطيقى لانه بعيد عن تيهرت ولم يمتد حكمها اليه لما بينهما من مملكة الادارسة بفاس وغيرها * بل المراد بحرنا هذا الذي نحن على شاطئه المسمى بالبحر الرومي و بالبحر الابيض المتوسط الممتد من البحر المحيط بواسطة بوغاز جبل طارق الكائن بالقرب من شبه جزيرة الاندلس التي بلغت في صدر الاسلام الدرجة القصوى في الحضارة والعلم والآن بيد الدولة الاسبانية ومن مدينة طنجة ثغر مملكة الدولة المراكشية الى أن ينتهي بأرض الشام وعلى شاطئه هنالك من المدن المشهورة (مدينة بيروت) ومنها ابتداء خط سكة الحديد الحجازية المنشآة بمساعي وعناية أعظم سلاطين الاسلام الآن السلطان عبد الحميد الثاني أحد ملوك آل عثمان أيده الله بنصره وحفظ ملكهم ملجأ للمسلمين وحصنا للحرمين الشريفين و (مدينة طرابلس) و (مدينة حلب) ويتصل بواسطة بوغاز الاستانة العلية (القسطنطينية) بالبحر الاسود وبقنال السويس (الفتحة الجديدة) بالبحر الاحمر ويتسلسل على جانبيه ممالك دول كبيرة وامارات ممتازة ومحتلة صغيرة * فعلى جانبه الجنوبي مبتدأ من الغرب (حكومة فاس) وهي دولة اسلامية يلقب حاكمها بالسلطان مفقودة منها القوة الحربية الجديدة برا وبحرا وتتنازعها عوامل الافرنج صباحا ومساء حفظها الله من الوقوع في شبكتها ثم (الجزائر) وهي ولاية محتلة لفرانسا داخلة في ادارتها من حدود سنة ١٨٣٠ أي سنة ١٢٤٨ هجرية وفي جنوبها (مدينة وارجلان) و (مدن بني ميزاب) الاباضية الحافلة باقامة شعائر الدين كما يجب ثم (تونس) وهي ايالة ممتازة اسلامية يلقب حاكمها بالباي تحت حماية فرانسا ويتبعها (جزيرة جربة) العامرة بالاباضية ومعهم المالكية ثم (طرابلس الغرب) وهي ولاية عثمانية اسلامية لا يوجد

زائدين اذ كرر ذكرها في كتابه دون غيرها فقال في صحيفة ١٤٩ مستطرداً الكلام عليها هكذا *

*حدثني *أبو معبد *عبد الرحمن *بن محمد *بن ميمون * بن عبد الوهاب *ابن عبد الرحمن * بن رستم التاهرتي *قال *{تاهرت} مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية ليس لها فضاء بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاثة مراحل في مستوى من الارض وفي بعضها سباخ وواد يقال له وادي شلف (١) وعليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر يزرع عليه القصب والكتان والسمسم وغير ذلك من الحبوب ويصير الى جبل يقال له (انقبق) ثم يخرج الى بلد نفزة ثم يصير الى البحر المالح وشرب أهل مدينة تاهرت من انهار وعيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول لم يجدب زرع ذلك البلد قط (لكثرة مياهه وامطاره) الا ان يصيبه ريح أو برد (فهو بلد خصب وخير دائم) وهو متصل بالسوس يسميه أهل السوس درن

بها من الأجانب (الافرنج) أحدا الا في المدينة نفسها وفي بعض موانيها ولأهلها مزيد طاعة وشدة تعلق بالدولة العلية العثمانية وبجنوبها على ٣ مراحل من البحر جبال نفوسة الاباضية المشهورة العامرة بهم ومعهم المالكية في مواخاة وملاءمة ثم (مصر) وهي حكومة ممتازة عثمانية اسلامية يلقب حاكمها بالخديوي محتلة بدولة الانكليز ولأهلها ارتباط بالدولة العثمانية لاتحل عراه * وعلى جانبه الشمالي مبتدأ من الغرب أيضا دولة اسبانيا ثم دولة فرانسا ثم دولة ايطاليا ثم اليونان وغيرها ثم (الدولة الاسلامية العثمانية ناشرة لواء الدين وحامية حمى الاسلام والمسلمين أيدها الله بنصره المبين ومقر سلطنتها (القسطنطينية) المسماة بدار الخلافة ودار السعادة والاستانة العلية واستانبول * وهذا باب يطول شرحه وليس هذا محله

(١) سيأتي الكلام على شلف

ويسمي بتاهرت جزول ويسمى بالزاب أوراس اه *فليتأمل المنصف في كلام هذا المحقق فانه من اصح ما حرره المؤرخون في هذا الباب لتقدمه على اكثرهم في الزمن اذ كان حاضر البني رستم فهو لم يكتب الا ماشاهده او نقله عن ثقة أمين*

*وقال أبو عبد الله الادريسي الشريف في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج في صحيفة ٨٧ واصفاً ﴿تاهرت﴾ القديمة التي أحسن تجديدها وأتقن تمدنها الاسلامي ميمون بن عبد الوهاب اذ كان عاملا لوالده عليها حتى صارت تنسب اليه دون غيره من الرستميين ما نصه *

﴿ومدينة تاهرت﴾ كانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين احداهما قديمة والاخرى محدثة والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور وهي على قمة جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البربر لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة وبها مزارع وضياع(١) جمة وبها من نتاج الخيل والبراذين كل حسن

(١) الضياع جمع ضيعة وهي على مافي القاموس العقار والارض المغلة * وما يكون منها عطية لبعض الناس من طرف الملوك يسمي قطيعة كما كان يفعله بعض بنى أمية و بنى العباس اذ كانوا لا شركاء لهم في بيوت أموال المسلمين يتصرفون فيها على حسب أهوائهم فيعطون الأموال الطائلة لشاعر مدحهم بقصيدة أو بيت ولنديم اطربهم في مسامرتهم بحكاية غريبة أو قصة مضحكة * وليس ذلك مما يفتخر به الاسلام والدين اذا فقد العدل *وقد عرفها بعضهم فقال * وأما القطيعة فلها معنيان أحدهما أن يعمد الامام الجائز الأمر والطاعة الى قطعة من الارض يفرزها عما يجاورها ويهبها ممن يرى ليعمرها وينتفع بها اما أن يجعلها منازل يسكنها ويسكنها من يشاء واما أن يجعلها مزدرعا ينتفع بما يحصل من غلتها ولا خراج عليه فيها وربما جعل على مزدرعها خراج وهذه حال قطائع المنصور وولده بعده ببغداد في محالها فمن ذلك

وأما البقر والغنم فكثير بها جدا وكذا السمن والعسل وسائر غلاتها مباركة وبمدينة ﴿ تاهرت ﴾ مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون فيها (١) ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفاكهة الحسنة وبالجملة فهي بقعة حسنة انتهى *

وقد نقل هذا الشيخ مقديش السفاقسي في تاريخه المطبوع في تونس

قطيعة الربيع وقطيعة أم جعفر وقطيعة فلان وقد ذكرت في مواضعها من الكتاب * وأما القطيعة الاخرى فهى أن يقطع السلطان من يشاء من قواده وغيرهم القرى والنواحي ويقطع عليهم عنها شيئا معلوما يؤدونه في كل عام قل أو كثر توفر محصولها أو نزر لا مدخل للسلطان معه في أكثر من ذلك اه

(١) لم نتحقق كيف كان التصرف في هذه المياه وادخالها البيوت للانتفاع بها والغالب انه كان على طريقة لا تبعد عن الطريقة الموجودة الآن في المدن المتمدنة وان خالفتها في الكيفية اذ لا توجد غالبا في ذلك الوقت أنابيب (مواسير) من الحديد كالموجودة الآن وربما كانت من الفخار المطلي ولا يقال انها كانت تجرى في الشوارع والأزقة هكذا بدون انتظام لان مدنيتها ورقيها لا يسمحان بذلك على أن موقعها فيه بعض ارتفاع حسب التخمين عن العين الموجودة الآن المسماة بعين السلطان فبدون صنعة هندسية لا يمكن توزيعه فيها وقد كان بيت بني رستم مشهورا بالتضلع في العلوم الرياضية فلا يصعب عليهم ذلك * وليست هذه الكيفية موجودة ذلك الوقت في تيهرت فقط بل توجد في زواغة مدينة نفوسة سابقا في جهات طرابلس على البحر آثار تدل على انها كانت كذلك أيضا اذ يوجد فيها مجرى نهر كبير آت من ناحية جبال نفوسة الشرقية اخترق أراضي وأودية كثيرة حسب ما تدل عليه بعض القطع الموجودة منه الآن وهو مجصص بكيفية محكمة ذكر الذين رأوا بعض قطع منه انه يشبه مجري عين زبيدة الموجودة بجهة مكة المكرمة وعلى كل حال فهو عمل دال على القوة والحضارة التامة والله أعلم

ببعض تصرف وان لم ينسبه اليه فلا لزوم لنقله * وكما ذكرها ابن خلدون وان كان غير منصف في جانب الاباضية (١) عبر عنها غالبا بقاعدة (٢) المغرب فمن ذلك قوله في صحيفة ٣٩ من المجلد الخامس وفتح أبو القاسم (الشيعي سنة ٣١٥) بلدمزاتة * ومطماطة * وهوراة * وسائر الاباضية * والصفرية * ونواحي ﴿ تاهرت ﴾ قاعدة المغرب الأوسط اه * وقال السلطان الملك المؤيد في تقويمه المطبوع بباريس سنة ١٨٤٠ بصحيفة ١٢٤ نقلا عن العزيزي المغربي ﴿ تاهرت القديمة ﴾ وهي تاهرت عبد الخالق وبينها وبين تاهرت الجديدة مرحلة *

*وهي مدينة جليلة وكانت تسمى قديما عراق المغرب ولها من أعمالها مرسى على البحر يقال له مرسى *فروخ* ومدينة ﴿تاهرت﴾ الاولى على جبل متوسط وبها منبر وكذلك المحدثة بها منبر (٣) وهي أعظم من القديمة ولاهلها مياه تخرق دورهم قال ابن سعيد وكان لتيهرت في المملكة الرستمية

---

(١) عدم انصافه هو جحوده أو اهماله ذكر ما كان لهم من الاخبار الحسنة وما كان لملكهم الذي شهد به المؤرخون من الصيت في تاريخه الطويل العريض المعدود في مقدمة التواريخ الاسلامية فهو أولى بأن يوجد فيه ما ذكره غيره من المؤرخين عن الاباضية ولا نظن به الجهل بأخبارهم لانه ممن نشهد له كما شهد له غيرنا بسعة الاطلاع وكثرة النقل مع أنه مغربي *على أنه قد يشير احيانا اليهم بعض اشارات بدون بسط في الكلام فاهماله أخبارهم وذكره بعضها مفرقا بحيث يصعب جمعها منه لا بد وأن يكون لامر في باله يعلمه الله ولعل له عذرا فلا لوم عليه والله اعلم

(٣) قاعدة المملكة أو الاقليم هي مدينته العظيمة التي يكون فيها كرسي الملك

(٣) أراد بالمنبر المسجد الجامع الذي يقيم فيه الامام (الخليفة) او وكيله الجمعة وأما ماسواه من المساجد ففيها كثير كما نص عليها ابن الصغير

صيت عظيم * وبها كان كرسي ملك الاباضية اه *ثم رسم لها جد ولا كغيرها بين فيه طولها وعرضها (١) واقليمها هكذا

عدد	الاسماء	المنقول عنهم	طول درج	طول دقايق	عرض درج	عرض دقائق	الاقليم الحقيقي	الاقليم العرفي
١٩	تاهرت	اطوال	كه	ل	كط	*	من	من الغرب الاوسط
		بعضهم	ك	*	لح	ن	الثالث	

من اللباب (تاهرت) بفتح التاء المثناة من فوق وألف وهاء وسكون الراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية *وفى خط ابن سعيد عوض الالف ياء مثناة من تحت وهو الاصح عندي لان ابن سعيد مغربي فاضل

* ثم قال عن ابن حوقل وتيهرت مدينة كبيرة خصبة كثيرة الزرع

(١) (طول البلد) هو بعده عن منتهى العمارة من جهة الغرب وهو من ألفاظ المنجمين مستنبط من آراء اليونانيين قال الحموي الا ان في هذه النهاية بينهم اختلافا فان بعضهم يبتدئ بالطول من ساحل بحر اوقيانوس الغربي وهو البحر المحيط وبعضهم يبتدئ به من سمت الجزائر الواغلة في البحر المحيط قريبا من مائتي فرسخ تسمى جزائر السعادات والجزائر الخالدات ولهذا ربما يوجد للبلد الواحد في الكتب نوعان من الطول بينهما عشر درج فيحتاج في تمييز ذلك الي فطنة ودربة هذا كله عن أبي الريحان اه

وأما (عرض البلد) فهو بعده عن خط الاستواء نحو الشمال قال الحموي لان البلد والعمارة في هذه الناحية وتحاذيه قوس عظيمة شبيهة به واقفة بين سمت الرأس وبين معدل النهار ويساويه ارتفاع القطب الشمالي فلذلك يعبر به عنه وانحطاط الجنوبي وان ساواه أيضا فانه خفي لا يشعر به وهذا كلام صاحب التفهيم اه

وقد قيل ان كوره تيهرت من افريقية وهى غربى سطيف (١) وهي كانت قاعدة الغرب الاوسط وكان بهامقام بني رستم ملوك المغرب الاوسط حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين الذين صاروا ملوك مصر (٢) وقال فى كتاب الاطوال * تاهرت العليا طولها وعرضها كما ذكر ثم قال * تاهرت السفلى طولها (كو) وعرضها (كط) فدل على ان هنالك مكانا آخر يسمي تاهرت كما نقلناه عن العزيزي في الهامش وقال في القانون ﴿ وتاهرت ﴾ السفلي طولها (يطن) وعرضها (لديه) قال الادريسي وتيهرت كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين والقديمة على جبل ليس بالعالي ولها سوق اه كلام المؤيد وقد نقله برمته صاحب أوضح المسالك فلا حاجة الى نقله *

وقال صاحب الاستبصار المؤلف سنة ٥٨٧ المطبوع بالمطبعة الأوسترياوية في مدينة (وين) من بلاد الافرنج سنة ١٨٥٢ بصحيفة ٦٦ ﴿ مدينه تاهرت ﴾ وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر (أي حجر) ولها قصبة منيعة تسمى المعصومة (٣) وهى في سفح جبل يسمي قرقل

---

(١) مدينة من عمل الجزائر مشهورة عامرة بها من الاباضية بني مـيزاب جماعة معتبرة لهم بأنواع التجارة معرفة تامة وفيهم رجال محترمون كما في غـيرها من المدن

(٢) يعـني بهم الشـيعة الذين كان ملكهم بالمغرب وامتـد الى مصر وهم الذين أنشأوا الجامع الازهر المشهور في اقطار الارض بعلمه و بظهورهم انقرضت دول الغرب كلها كما سيأتي ان شاء الله

(٣) في هذا الاسم ما يدل على القوة التي كانت بهــذه المدينة وقصبتها فان العصمة لغة المنعة فقد طابق اسمها وصفها

وهي على نهر يأتيها من ناحية المغرب يسمى مينة ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس (١) منه تشرب أرضها وبساتينها وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا ومطعما ورائحة وبلد تاهرت شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج اه وقد ذكر ابيات ابن حماد وحكاية السودان وحكاية الحاج * وسيأتي كل ذلك في كلام غيره قريبا * ان شاء الله *

وأما أبو اسحاق الفارسي المعروف بالكرخي من علماء صدر المأية الرابعة للهجرة فانه اعتبر ﴿تاهرت﴾ قسما عظيما عند تقسيمه المغرب في تاريخه المأخوذ من كتاب صور الأقاليم للبلخي المطبوع بمدينة (ليدن) الافرنجيه سنة ١٨٧٠ وهاذا نص كلامه بالحرف الواحد * قال *

*واما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقيه ونصف من غربيه * فأما الشرقي فهو * برقة * وافريقية ﴿ وتاهرت ﴾ وطنجة * والسوس * وزويلة (٢) ومافي أضعاف هذه الاقاليم * واما الغربي فهو * الأندلس اهـ *

(فيعلم من كلامه هذا أن في عصره من أشهر ما كان من المدن العظيمة بالمغرب ﴿ مدينة تاهرت ﴾ اذ لم يذكر في التقسيم فاس ولا الجزائر ولا مراكش ولا عنابة (٣) ولا غيرها من المدن الكبيرة في هذا العصر وان ذكر بعضها في أثناء

---

(١) في بعض التواريخ بالنون كما هنا وفي بعضها بالتاء

(٢) أراد زويلة المغرب الاقصى كما هو واضح لا (زويلة) القريبة من (ودان) في قبلة طرابلس العامره في صدر الاسلام بالاباضية كما بين في محله

(٣) فاس هي قاعدة ملك الدولة المراكشية الآن وهي من أشهر وأعظم

سرده البلاد ثم قال *

واما * ناكورة * وجزيرة بني مزغنا * في مدن وقرى قريبة من ﴿ تاهرت ﴾ الاعلى * ومدينة كورة (١) ﴿ تاهرت ﴾ اسمها تاهرت * وهي مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه * وبها الاباضية وهم الغالبون عليها * وسجلماسة (٢) مدينة وسطة من حد ﴿ تاهرت ﴾ الا أنها منقطعة لا يسلك اليها الا في القفار والرمال الى ان قال ويقال ان كورة ﴿ تاهرت ﴾ باسرها من افريقية الا انها مفردة بالاسم والعمل في الدواوين (وقال في صحيفة ٤٥)

مدن الغرب الاقصى في هذا العصر وقد بناها ادريس بن ادريس بعد (تيهرت) بنحو خمسين سنة أي عام ١٩٢ وفي سنة ٢٤٥ خصصت فاطمة بنت محمد الفهري الهوارى القيروانى جانبا من المال وكانت غنية و بنت به مسجد القرويين المشهور بفاس واهلها كانت اباضيه لان هوارة أباضية

وفي سنة ٣٤٥ اختط احمد بن سعيد اليفرني صومعتها (وهو اما صفرى أو أباضى) ذكر ذلك ابن خلدون في ١٥ من المجلد ٤ *

ومن مدنها الشهيرة طنجة على البحر وأما مراكش فقد اختطها يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ وذلك بعد خراب تيهرت بعدة والسلطان يسكن مدة بفاس ومدة بمراكش كما يفعل خديوي مصر بينها و بين اسكندرية * وأما الجزائر فسيأتي الكلام عليها * وأما عنابة * ويقال لها (بونة) من قديم كما هو عند الافرنج الآن فمدينة مشهورة قديمة وفيها كما في الجزائر ومدنها كافة من تجار الاباضية بني ميزاب رجال لهم اليد الطولى في ضروب التجارة أولو شهامة والجاد في الرأى

(١) الكورة اسم لكل صقع أي ناحية تشتمل على عدة قري ولها قصبة أى مدينة ينسب ذلك الصقع اليها كما هنا

(٢) سيأتي الكلام علي سجلماسة مفصلا لانها من مواطن الاباضية قديما

وكان ملوك افريقية وبرقة اولاد الأغلب وملوك طنجة اولاد ادريس وبينهم وبين افريقية ﴿ تاهرت ﴾ الشراة (الاباضية) وهم الغالبون عليها اهـ باختصار قليل *

وقال ابوبكر القزويني في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج بصحيفة ١١٣ * ﴿تاهرت﴾ اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحداهما ﴿تاهرت﴾ القديم وللاخرى الحديث وهما كثيرتا الاشجار * وافرتا الثمار * سفرجلهما يفوق سفرجل الآفاق طعما وحسنا وبهما كثرة الأمطار والأنداء والضباب وشدة البرد قلما ترى الشمس بها اهـ * وذكر ايضا حكاية السودان الآتية *

* وأما المؤرخ أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي صاحب المعجم المطبوع ببلاد الافرنج فانه أطنب فيها الكلام * ووضح مايقتضيه المقام * وأجاد في ذلك وان كان فيه بعض تكرار لما تقدم اذقال في صحيفة ٨١٣ من المجلد الاول *

﴿ تاهرت ﴾ بفتح وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان * اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحداهما ﴿ تاهرت ﴾ القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين مدينة المسيلة (١) ست مراحل وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد وهي كثيرة الأنداء والضباب والامطار

---

(١) اختطت المسيلة على قول ابن خلدون في ٨٢ من الجزء ٤ سنة ٣١٥ بعد انقراض دولة بنى رستم من تيهرت بقليل وذكر الحموى انها كانت تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد بن المهدى الشيعى وهو ولي عهد أبيه * وأما (قلعة بنى حماد) فمدينة منيعة جدا اختطها حماد بن محمد من آل زيرى بجبل كتامة المعروف بجبل عجيسة سنة ٣٩٨ على قول ابن خلدون ايضا في ١٧١ من الجزء ٦

حتى أن الشمس بها قل أن ترى ودخلها اعرابي من أهل اليمن يقال له أبو هلال ثم خرج الي أرض السودان (مع ركب التجار) فأتى عليه يوم له وهيج وحر شديد وسموم في تلك الرمال فنظر الى الشمس مضحية (١) راكدة على قمم الرؤس وقد صهرت الناس فقال مشيرا الى الشمس أما والله لئن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت وأنشد *

﴿ ماخلق الرحمن من طرفة * أشهى من الشمس بتاهرت ﴾

*وذكر صاحب جغرافيا أن ﴿تاهرت﴾ في الاقليم الرابع وأن عرضها ثمان وثلاثون درجة * وهي مدينة جليلة وكانت تسمى قديماً عراق المغرب ولم تكن في طاعة صاحب افريقية ولا بلغت عساكر المسودة اليها (٢) قط ولا

---

(١) أى كائنة في وقت الضحاء وهو عند ارتفاع النهار الاعلى كما قاله المختار ولذلك وصفها بقوله راكدة أي ساكنة وذلك لأن الشمس في وقت الزوال تظهر للناظر غير متحركة أو بطيئة السير بخلاف ما اذا كانت صاعدة في شروقها أو نازلة في غروبها فانها تظهر سريعة السير والحال ان سيرها في الحالات الثلاث واحد وليس هناك صعود ولا هبوط ولا وقوف في الواقع وانما ذلك في الظاهر فقط بالنسبة الينا بل بالنظر الى سكان الارض كافة يصدق عليها في كل دقيقة مثلا انها مشرقة ومغربة وزائلة وهذا أمر واضح وقوله صهرت معناه أذابت وذلك لشدة حرارتها ذلك الوقت ومنه قوله تعالى * يصهر به مافي بطونهم أى يذاب والله أعلم

(٢) لفظ المسودة مذكور بكثرة في سير الشماخي رحمه الله وطالما سألت عنه من قبل طلبة عصرنا ولم أجد من يشرح لى معناه وغاية ما يقولونه انه اسم لقبيلة كانت في ذلك الوقت وفاتني ان اسأل عنه شيخي أو والدى حفظهما الله ولتعلق خاطرى به لما أراه لهم فيه من الوقائع الدالة على قوتهم لم اقنع بأنهم قبيلة فقط ولا زلت ابحث حتى وقفت على تفسيرة بنى العباس في تاريخ ابن مسكوية في أماكن

دخلت في سلطان بني الاغلب وانما كان آخر ما في طاعتهم مدن الزاب (١) وقال ابو عبيد «مدينة تاهرت» مسورة لها اربعة ابواب * باب الصفا * وباب المنازل * وباب الاندلس * و باب المطاحن * (٢) وهي في سفح

متعددة منها قوله لما رأى المأمون انكار بني العباس وغيرهم عليه (وهو منهم) ببغداد حتي اخرجوا (عامله) الحسن بن سهل منها كانه أراد معا كبتهم باخراج الخلافة منهم فأصدرا وامره سنة ٢٠١ في رمضان بلبس الثياب الخضر بدل الثياب السود التي كانت من شعارهم و بها سموا بالمسودة وأعلن بأنه جعل علي بن موسى بن جعفر من ذرية علي ولي عهده اه المراد منه

(١) بهذا يعلم أن ما بين الزاب و بين فاس وسجلماسة كله داخل في دائرة تيهرت وما فيه من المدن والقرى كله تابع لها ما علمناه وما لم نعلمه فالمدن الآتية في كلام العلامة الينا هي بعض من ذلك وانما خصصها بالذكر لشهرتها لاغير والله أعلم

(٢) ما ألطف هذه الاسماء وما أحسن هذا التقسيم المحكم الذي لم يدع للازدحام مجالا اذ خصص لكل شغل من هذه الاشغال الاربعة التي عليها مدار حركات الناس بابا * فالذين ينقلون أنواع الحبوب كالشعير والقمح لاجل الطحن و يردونها دقيقا لهم * باب المطاحن * والغالب علي هؤلاء كثرة القيل والقال والصياح لما أن أكثرهم عادة خدم ومماليك وأتباع لاحياء لهم * والذين يريدون السفر أوعبور البحر الى الاندلس من التجار وغيرهم لهم * باب الاندلس * وهم في الغالب أصحاب همم ونزاهة والمشتغلون بالعمل في البساتين لهم * باب المنازل * والذين يريدون النزهة والرياضة البدنية وتسلية النفس لهم * باب الصفا * فلا يكدرهم حنين المودعين ولا أنين المفارقين ولا لجاجة المهنئين للمسافرين * بباب الاندلس * ولا تصدعهم عربدة الذاهبين وصيحات الراجعين * بباب المطاحن * ولا تعلوهم غبرة ازدحام الداخلين والخارجين الى المنازل من العملة بحميرهم و بغالهم وجمالهم وأرباب المنازل بخيلهم و براذينهم بباب المنازل * و بهذا يعلم ما كان في هذه المدينة من حسن الانتظام والترتيب ولا تخلو من منتزهات والمشهور منها منتزه الامير الآتي ذكره في كلام ابن الصغير

جبل يقال له جزول لها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمي مينة وهوفي قبلتهاونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى تاتس (بالضم) ومنه شرب اهلها وارضها وهو في شرقيها وفيها جميع الثمار وسفر جلها يفوق سفر جل الآفاق حسناوطعما وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد ابوعبد الرحمن وكان بتاهرت من حفاظ الحديث وثقات المحدثين المأمونين سمع بالمشرق ابن مسدد وعمر بن مرزوق وبشر بن حجر * وبافريقية ابن سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها توفي وهو القائل *

{ما أخشن البرد وريعانه * وأطرف الشمس بتاهرت}

{تبدو من الغيم اذا ما بدت * كأنها تنشر من تخت}

{نفرح بالشمس اذا ما بدت * كفرح الذمي بالسبت}

(وسيأتي زيادة كلام عليه في باب العلماء المنسوبين الى تاهرت)

*قال ونظر رجل الى توقد الشمس بالحجاز (وهو من أهل تاهرت ذهب حاجا) فقال (مخاطبا للشمس) احرقي ما شئت والله انك بتاهرت لذليلة قال وهذه تاهرت الحديثة وهي على خمسة اميال من تاهرت القديمة وهي حصن ابن بخاتة وهو شرقي الحديثة ويقال انهم (اي عبد الرحمن ومن معه) لما ارادوا بناء (أي تجديد) تاهرت القديمة كانوا يبنون بالنهار فاذا جن الليل واصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم (١) فبنوا حينئذ تاهرت السفلى

(١) لم يذكر هذه الحكاية أحد من أصحابنا وهي من الغرائب وانظر ما حكمة الله في ذلك وهي مما يؤيد القول بوجود الملائكة والجن والا فمن الفاعل لذلك بأمر الله على مذهب المنكرين حيث لا زلزال ولا رجة اذ ذاك هنالك

وهي الحديثة وفي قبلتها (قبائل) لواتة*وهوارة * في قرارات وفي غربها زواغة*وبجنوبها*مطماطة * وزناتة*ومكناسة . وكان صاحب (أي حاكم) تاهرت (القديمة) ميمون بن عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم بن بهرام وبهرام مولى عثمان بن عفان (١) وهو بهرام بن بهرام جور بن شابور. بن باذ كان. بن شابور. ذي الاكتاف ملك الفرس وكان ميمون هذا رأس الاباضية وامامهم . ورأس الصفرية . والواصلية . وكان يسلم عليه بالخلافة وكان مجمع الواصليه قريبا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها وتعاقب مملكة تاهرت بنو ميمون (٢)واخوته الى ان قال مبينا على اكمل وجه سبب بنيانها وكيفيته هكذا.

---

(١) المولى هو المعتق بالفتح ولعله أخذ أسيراً لما فتحت فارس وأعتقه عثمان فسبحان المعز المذل وسيأتي زيادة كلام في هذا النسب

(٢) لعله أراد عبد الوهاب بدل ميمون والا فميمون لم يتول الامامة حتى يسلم عليه بالخلافة والذي كان رأساً لمن ذكره من الصفرية والواصلية وغيرهم هوعبد الوهاب وبشهادة هذا المؤرخ مع ما تقدم وما سيأتي مما فيه تلقيب بني رستم بالخلفاء والملوك يعلم بطلان قول بعض المتأخرين من ارباب التاريخ بأن بنى رستم لم يبلغوا درجة الخلافة والملك ولا ندرى ما ذا صنع في تلك الملايين من الناس التى كانت تدين بطاعتهم وتتمتع بعدلهم ولافي تلك العساكر التي كانت تؤلف بمآت الالوف تحت كلمتهم ولوائهم وان يكن جاهلا ذلك فما الحامل له على الدخول في باب لا يتقنه حتى يبتكر كلاما لم يسبق اليه * والواصلية والصفرية فرقتان مشهورتان من فرق الاسلام لاوجود لهما الآن بالمغرب وتوجدان بالمشرق كجزيرة العرب وبالزنجبار بكثرة كما توجد فرق الازارقة والنجدية والزيدية والمعتزلة والشيعةوغيرهاو بين الكل تنافر دائم كما تنفر كلها من مذهب الاباضية ومذاهب الاشعرية الاربعة نفورا كليا

* فاجتمعت اليه ﴿ يعني عبد الرحمن ﴾ الاباضية واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موقع تاهرت اليوم وهو غيضة اشبة (١) ونزل عبد الرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء (٢) فيه فقالت البربر نزل تاهرت وتفسيره الدف لتربيعه (٣) وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم

نظرا لتباين المشارب في بعض المعتقدات الدينية التي تركت الاسلام أشتاتا وأحزابا حتى صارت مضغة سهلة للطامعين من الافرنج والامر لله سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

(١) الغيضة بالفتح محل تجتمع فيه المياه من اودية أو عيون فينبت فيه الشجر وهي لغة ايضا الغابة كما هو مشهور على السنة العامة الآن وقوله اشبه بفتح الشين اي ملتفة مشتبكة لكثرتها واجتماعها من أصناف الشجر عظيمه وصغيره وفي القاموس أشب الشجر كفرح التف * قال * وفي حديث ابن ام مكتوم بيني و بينك أشب (بفتح الشين) محركة يريد النخل الملتفة اه

(٢) الشعراء شجر الحمض وهو كل شجر مالح أو مر في طعمه وضرب من الخوخ جمعهما كواحد ومن الارض ذات الشجر أو كثيرته ذكر ذلك صاحب القاموس فقوله لاشعراء فيه أي لاشجر * وانظر حكمة الله اذ جعل بين تلك الاشجار الملتفة والغابة العظيمة هذا الموضع فضاء حتى امكنتهم الاقامة والصلاة فيه الى ان تم شغلهم صنع الله الذي اتقن كل شيء واذا أراد تمام أمر هيأ له اسبابه

(٣) الذي يؤخذ من هذا الكلام ان اسم تيهرت لم يكن موجودا قبل نزول الامام عبد الرحمن بهذا المكان وقد تقدم انه اسم للقديمة وهو الذي يقرب صحته العقل لما تقدم وما سيأتي * وذكر الشماخي رحمه الله في صحيفة ١٤٥ أنها تسمي أيضا (تاقدمت) ولم نره لغيره الا انى وقفت في (الكتبخانة) المصرية الخديوية على الصناديق التي صففت فيها تحت صفائح الزجاج النقود المضروبة بأسماء الملوك والمدن قديمها وحديثها لاطلاع الناس عليها وفوق كل عملة منها ورقة صغيرة توضح

هناك فلما فرغ من الصلاة ثارت صيحة شديدة على اسد ظهر في الشعراء فأخذحيا وأوتي به الى الموضع الذي صلى فيه وقتل فيه (١) فقال عبد الرحمن ابن رستم هذا بلد لا يفارقة سفك دم ولاحرب ابدا (قال ذلك بعد ان نظر نظرة في النجوم كما ذكره المراكشي في تاريخه

وابتدأوا في تلك الساعة وبنوا في ذلك الموضع مسجداً وقطعوا خشبه من تلك الشعراء وهو على ذلك الى الآن (يعني وقته) وهو مسجد جامعها وكان موضع تاهرت ملكا لقوم مستضعفين من مداسة وصنهاجة * فأراد هم عبد الرحمن على البيع فأبوا فوافقهم على أن يؤدوا لهم الخراج من الاسواق ويبيحوا لهم أن يبنوا المساكن فاختطوا وبنوا وسموا الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم (٢) وقال المهدي بين أشير وتاهرت

ما في ذلك المضروب من التاريخ والاسم * وقد رأيت فيها عملة نحاسية صغيرة لا اتقان في نقوشها فوقها ورقة فيها هكذا (تاقدمت ١٢٥٥) وبجنبها ورقة أخرى فيها اسم الامير عبد القادر الجزائري المشهور والقائم على فرنسا بعد دخولها قطر الجزائر وقد بنى بتيهرت بعض بناء لما نوى أن يجعلها مركزا لحكومته ولم يطل أمره ولعله ضرب تلك العملة لما كان هناك وهو صاحب علم واطلاع والله أعلم

(١) لا معنى للاتيان به حيا الى مكان الصلاة وقتله فيه لما ورد من النهي عن قصد تنجيس البقاع المعدة للاجتماع مطلقا وبالخصوص المعدة للصلاة والذى رأيته في تاريخ ابن عذارى المغربي فيما أظن ان الاسد خرج عليهم وبعد محاورة بينه وبينهم اتفق قتله في مصلاهم فالقتل هنالك غير مقصود ولكوني اطلعت على هذا الكلام قبل ان يخطر ببالي تحرير شيء من هذا فاتني نقله بالحرف

(٢) الذي يسمى الآن بالمعسكر مدينة غير تيهرت الا أنها قريبة منها وسيأتي الكلام عليها

اربع مراحل وهما تاهرتان القديمة والحديثة ويقال للحديثة تاهرت عبد الخالق ومن ملوكها بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وممن ينسب اليها ابو الفضل احمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد عبدالله التميمي البزازالتاهرتي. روى عن قاسم بن اصبغ. وأبي عبد الملك بن أبي دكيم . وابى احمد ابن الفضل الدينوري . وابى بكر محمد بن معاوية القرشى ومحمد بن عيسى بن رفاعة .روى عنه ابو عمر بن عبد البر وغيره انتهى معجم * وسنذكر بعد هذا الباب جماعة من أهل العلم المنسوبين الى تاهرت ان شاء الله*

*واما العلامة أبو عبد الله البنا المعروف بالبشاري الحنفي من علماء المائة الرابعة من الهجرة فانه الف تاريخا سنة ٣٧٥ وطبع بمدينة ليدن من بلاد الافرنج سنه ١٨٧٦ قال في أوله هكذا .

وتجنبت الكذب والطغيان . وتحرزت بالحجج من الطعان . ولم أودعه المجاز والمحال . ولا سمعت الا قول الثقات من الرجال . واعلم اني مع هذه الوثائق والشروط لم اظهره حتى بلغت الاربعين . ووطيت جميع الاقاليم وخدمت أهل العلم والدين اه وقد ذكر اصطلاح المؤرخين في معنى الامصار وذكر أصطلاحه الذي جرى هو عليه في كتابه فقال*

*واما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الاعظم . وجمعت اليه الدواوين . وقلدت فيه الاعمال . واضيف اليها مدن الاقليم.

ثم قال في صحيفة ٤٧ واعلم انا جعلنا الامصار كالملوك والقصبات كالحجاب والمدن كالجند . والقرى كالرجالة ثم ذكر فى صحيفة ٤٨ تاهرت من الإمصار

فيصدق عليها حينئذ انها بلد سلطان عظيم جمعت اليه الدواوين الى آخره وقال في صحيفة ٥٦ عند ذكر الحجاب اكل مصر هكذا.

*لبرقة . ومادة . طرابلس * اجدابية الى آخر ما ذكره لها*

للقيروان . صبره . صفاقس * المهديه . سوسه . تونس . الى آخر ما ذكره لها أيضا ثم قال .

ولتيهرت يمة * تاغليسة . قلمة ابن الهرب . خراره . (٣) الجعبه . غدير . الدروع . لمايه . منداس . سوق ابن جبلة . مطماطة . جبل تجان . وهران . شلف * طير الغزة * سوق ابراهيم . رهبايه . البطحه . الزيتونه . تمنا * يعود الخضراء * واريفن . تنس * قصر الفلوس . بحريه . سوق كرى . منجصة . اوزكى * تبرين . سوق بن مبلول . ربا . تاويلت ابي مغول . تامزيت . تاويلت لنو . افكان . (وبها نهر يأتي الى تاهرت) انتهى.(١)

فهذه ما يقارب اربعين مدينة غير ما سيزيده * نسبتها الى تاهرت كنسبة صفاقس . وتونس الى القيروان وكنسبة طرابلس . واجدابية الى برقة . يعني ان كل واحدة من هذه المدن تعتبر كركز ولاية صغيرة أو متصرفية كبيرة باصطلاح عصرنا بدليل تقسيمها الى عدة ولايات بعد انقراض امامة بني رستم منها * فافكان * وتاهرت نفسها كانت ليعلى بن محمد اليفرني وأشير * وأعمالها لزيري بن مناد الصنهاجي و * المسيلة * واعمالها لجعفر بن علي الاندلسي

---

(١) أغلب هذه الاسماء بربرية لانها لمواطن البربر ولذلك وقع للمؤرخين اختلاف كثير في رسمها فكتب بعضهم أجدابية بالذال المعجمة وبعضهم خرارة بالهاء بدل الخاء وبعضهم افكان بياء قبل الفاء وغير ذلك وما رسمناه هنا هو الذى اتفق فيه أكثرهم على ما رأيناه

و«باغاية» واعمالها لقيصر الصقلي (١) الى غير ذلك مما ذكره المؤرخون ومنهم ابن خلدون فانه قد ذكر بعض ذلك في صحيفة ٤٦ من المجلد الرابع ولو لم تكن كذلك لما قام بها ملك قاهر كهذا ودام رغما عن تلك الفتن والحروب الواصلة وغيرها

* وبهذا يظهر للقاريء ما كان لتاهرت من اتساع الدائرة وما كان لبني رستم فيها من عظيم الملك ولا سيما اذا فكر فيما هو تحت نفوذهم قوة أو فعلا من سرت الى أرض الجريد وسنبين ذلك واذ ذاك لا يستعظم ولا يشك فيما سيتلى عليه من الكلام الآتي منقولا عن المؤرخين أرباب الاطلاع والتحقيق ومن أمعن الفكر في كلام هذا المؤرخ وقاعدته التي أسسها وهي قوله واما نحن فجعلنا المصر الى آخره يظهر له الامر جليا (٢) ثم قال ولله

---

(١) ربما يقول قائل ان بعض المؤرخين ذكر بعض هذه المدن في اقليم افريقيا وبعضها في اقليم فاس أو سجلماسة مثلا وان بعضها انما أسس بعد انقراض دولة بني رستم فلا يصدق عليها انها دخلت في ملكهم * فنقول ان ماذكره هذا المؤرخ اقرب الى الصحة لقرب عهده ببني رستم بخلاف غيره فان أغلبهم متأخر وأكثر ما حرروه على هذه الجهات تلقوه عن غيرهم بمجرد السماع والنقل على انه يمكن دخول هذا البعض تحت غيرهم في مبدىء ظهور دولتهم قبل اتساع خطتها أو في آخرها عند تقهقرها كما سيأتي وما كان من المدن حادثا بعد انقراضها فالمراد بذكرها بيان ان موقعها وما يليه من البلاد كان في طاعتهم وعلى هذا يحمل كلام من خالف هذا المؤرخ من المؤرخين والله أعلم فليحرر

(٢) وجه ذلك هو أن المصر في اصطلاحه يطلق على المدينة التي بها كرسي المملكة كالأستانة العلية الآن وقد سمى تيهرت مصرا * وان الحجاب في اصطلاحه يطلق على مراكز الولايات كطرابلس الآن وكولاية الحجاز وولايات الشام

دره في انصافه وتقريره الحق كما عرفه ورآه او حققه عن ارباب المعرفة والصدق مانصه * اقليم المغرب هذا اقليم بهي * كبير سري * كثير المدن والقرى * وعجيب الخصائص والرخا * به ثغور جليله * وحصون كثيره * ورياض نزهه * وبه جزائر عده * مثل الاندلس الفاضلة العجيبه * ﴿وتاهرت﴾ الطيبة النزيهه * وطنجة البلدة البعيده * وسجلماسة المختارة الفريده * واصقلية الجزيرة المفيده * الى ان قال فأول كورة من قبل مصر برقة ثم افريقية ثم ﴿تاهرت﴾ * ثم سجلماسة * ثم فاس * ثم السوس الاقصى * ثم جزيرة اصقليه *

ثم طرب قلمه السابح في لجة معارفه اليقينيه * واستخرج من مكنون جواهره كل يتيمة نقيه * واندفع يسطر على صفحات الطرس ماعلمه لهذه المدينة الزهراء من الفضائل والكمالات * مترددا في تفضيلها على دمشق الشام وقرطبة الاندلس ذات المآثر الباهرات * واليك ماطرزه وحقه ان ينظم باللآل * وقال لله رجل الانصف وما حادعن الحق اذ قال ﴿تاهرت﴾ هي اسم القصبة ايضا وهي بلخ المغرب قد احدقت بها الانهار * والتفت بها الاشجار * وغابت في البساتين * ونبعت حولها الأعين * وجل بها الاقليم *

بالنسبة الى الاستانة وقد ذكر تلك المدن كلها من الحجاب لتبهرت فيلزم أن تكون بمقام ولايات في اصطلاح عصرنا وان كان بعضها أكبر من بعض وأكثر في العمران كما هو الحال الآن في ولايات كثيرة ولا يقال ان بالنظر الى قربها من بعضها بعض يظهر انها لا تكون كذلك اذلا يكون في دائرة كل واحدة من الانفس والعمارات ما يخول لها درجة ولاية أو متصرفية لأن من نظر الى مديريات مصر والاسكندرية مثلا وتقاربها لا يستبعد ذلك هنا مع وجود تلك الانهار الجارية والعيون السائلة والاودية الكبيرة والاعداد الكثيرة من القبائل المؤلفة من الآلاف والله أعلم

وانتعش فيها الغريب * واستطابها اللبيب * يفضلونها على دمشق واخطؤا وعلى قرطبة(١) وما اظنهم اصابوا * هو * اقليم تاهرت * بلد كبير كثير الخير

---

(١) أما دمشق فقد سميت باسم بانيها دمشق بن فاني بن مالك بن أرفخشذ ابن سام بن نوح وقيل غير ذلك * وقد أقسم سبحانه وتعالى بجبلها في قوله (والتين) قال كعب هو الجبل الذى عليه دمشق والزيتون هو الجبل الذى عليه بيت المقدس وطور سيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام والبلد الأمين هو مكة وقال الاصمعي جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الأبلة وقد فتحت دمشق سنة ١٤ من الهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومما قاله البحتري الشاعر المشهور فيها قوله

(أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقدوفى لك مطريها بما وعدا)
(اذا أردت ملأت العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا)
(تمسي السحاب على أجبالها فرقا * ويصبح النور في صحرائها بددا)
(فلست تبصر الا واكفا خضلا * ويانعا خضرا أوطائرا غردا)
(كأنما القيظ ولى بعد جيئتــه * أو الربيع دنا من بعد مابعدا)

* ومما قاله فيها أبو تمام الشاعر *

(لولا حــداثقها وأني لا أرى * عرشا هناك ظننتها بلقيسا)
(وأرى الزمان غدا عليك بوجهه * جذلان بساما وكان عبوسا)
(قد نورت تلك البطون وقدست * تلك الظهور بقربه تقديسا)

ذكر هذا صاحب مختصر البلدان وقال * ولما أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق دعا نصارى دمشق فقال أنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيستكم هذه ونعطيكم موضع كنيسة حيث شئتم فحذروه ذلك وقالوا انا نجــد في كتابنا انه لايهدمها أحد الا وخنق فقال الوليد فأنا أول من يهدمها فقام عليها وعليه قباء أصفر فهدمها بيده وهدم الناس معه ثم زاد في المسجد فلما هدمها كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التى رآى أبوك تركها فان كان حقا ماعملت فقد أخطأ أبوك

رحب * رفق * طيب * رشيق الاسواق * غزير الماء * جيد الاهل * قديم الموضع * محكم الرصف * عجيب الوصف * غير أنه متى يقاس المغرب

وان كان باطلا فقد خالفت أباك فلم يعرف الوليد جوابا فاستشار الناس وكتب الى العراق فقال الفرزدق أجبه يا امير المؤمنين بقول الله عز وجل * وداوود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما * وكتب اليه الوليد بذلك فلم يجبه والوليد ممن زاد في المساجد وبناها فبنى المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد قبا ومسجد دمشق وأول من حفر المياه في طريق مكة الى الشام وأول من عمل البيمار ستانات للمرضى وكان في ذلك انه خرج حاجا فمر بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدخله فرآى بيتا ظاعنا في المسجد شارعا بابه فقال مابال هذا البيت فقيل هذا بيت علي بن أبي طالب أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم و ردم سائر أبواب أصحابه فقال ان رجلا نلعنه على منابرنا في كل جمعة نقر بابه ظاعنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الابواب اهدم ياغلام فقال روح بن زنباع الجذامي لا تفعل يا أمير المؤمنين حتى تقدم الشام ثم تخرج أمرك بتوسيع مساجد الأمصار مثل مكة والمدينة و بيت المقدس وتبني بدمشق مسجدا فيدخل هدم بيت علي بن أبي طالب فيما يوسع من مسجد المدينة فقبل منه وقدم الشام وأخذ في بناء مسجد دمشق وأنفق عليه خراج المملكة سبع سنين ليكون ذكراً له (وهذا مما لا يجوزه الشرع قطعا) وفرغ من المسجد في ثماني سنين فلما حمل اليه حساب نفقات مسجد دمشق على ثمانية عشر بعيرا أمر باحراقها قال في كتاب المسالك والممالك انفق على مسجد دمشق خراج الدنيا ثلاث مرات و بلغ ثمن البقل الذي أكله الصناع في مدة أيام العمل ستة آلاف دينار وهذا المسجد مقعد عشرين الف رجل وان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل قال زيد بن واقد وكاني الوليد على العمال بمسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فنزل في الليل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في مثلها واذا فيها صندوق وفيه سفط مكتوب عليه

بالشام * وابن مثل دمشق في الاسلام * ولقرطبة اسم وذكر وشأن *
بها (اي تاهرت) جامعان على ثلثي البلد قد بنيا بالحجارة والجبل *

هذا رأس يحيى بن زكرياء فرأيناه فأمر به الوليد أن يجعل تحت عمود معين فجعل تحت العمود المسقط ( ) الرابع الشرقي و يعرف بعمود السكاسك قال زيد رأيت رأس يحيى بن زكرياء حين وضع تحت العمود والبشرة والشعرة لم تتغيرا قالوا فمن عجائب مسجد دمشق ان لو بقي الرجل فيها مائة سنة لكان يرى فيها كل وقت أعجوبة لم يرها قبل وقال كعب ليبنين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الارض أربعين عاما والمئذنة التي بدمشق كانت ناطورا للروم في كنيسة يحيى فلما هدم الوليد الكنائس وأدخلها المسجد تركت على حالها وهدم الوليد عشر كنائس واتخذها مسجدا ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قال اني أرى في مسجد دمشق أموالا أنفقت في غير حقها فأنا مستدرك ما ادركت منها ورادها الى بيت المال انزع هذا الرخام والفسيفساء وأطينه وأنزع هذه السلاسل وأصير بدلها حبالا فاشتد ذلك على أهل دمشق فخرج أشرافها اليه وكان فيهم يزيد بن سمعان وخالد بن عبد الله القشري فقال خالد لهم دعوني والكلام قالوا تكلم فلما دخلوا عليه قال له خالد بلغنا انك هممت بمسجدنا بكذا وكذا قال نعم قال والله ما ذلك لك قال فلمن ذلك لأمك الكافرة وكانت أمه نصرانية فقال ان تلك كافرة فقد ولدت مؤمنا فاستحى عمر وقال صدقت و ورد على عمر رسل الروم فدخلوا مسجد دمشق لينظروا اليها فرفعوا رؤوسهم الى المسجد فنكس رئيس منهم رأسه واصفر لونه فقالوا له في ذلك فقال انا كنا معاشر أهل رومة نحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيبلغونها فأخبر عمر بذلك فقال أري مسجدكم هذا غيظا على الكفار فترك ماهم به من أمر المسجد والمسجد مبني بالرخام والفسيفساء مسقف بالساج منقوش باللازورد والذهب والمحراب مرصع بالجواهر المثمنة والحجارة العجيبة * وبنى معاوية الخضراء بدمشق في زمن عثمان بن عفان وأمر على الشام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة واستخلف وهو ابن ثمان وخمسين سنة وتوفي لثمان وسبعين سنة وهو أول من اتخذ

المحاريب والمقاصير والشرط والحرس والخصيان وأصفى الاموال وقد أنكر قوم بناء الدور والابنية والنفقة والتبذير عليها وهذا طلحة بنى داره بالآجر والقصة وأبوابه ساج و بنى عثمان بن عفان بالحجارة المنقوشة المطابقة وخشب الصنوبر والساج حمل له من البصرة في البحر ومن عدن في البحر وحمل له القصة من بطن نخل و بنى الزبير اربعة أدؤر دارا بمصر وأخرى بالاسكندرية وأخرى بالكوفة وأخرى بالبصرة وانفق زيد بن ثابت على داره ثلاثين الف درهم ثم قال و بدمشق جبل لبنان وهو الذي يكون عليه العباد (بتشديد الباء) والابدال وعليه من كل الثمر والفواكه وفيه عيون كثيرة عذبة اه

واما قرطبة بضم أوله وسكون ثانية وضم الطاء المهملة والباء الموحدة فقد قال صاحب المعجم كلمة فيما احسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز ان تكون من القرطب وهو العدو الشديد وقال وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها وكانت سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بنى امية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع بينها وبين البحر خمسة ايام قال ابن حوقل التاجر الموصلى وكان طرق تلك البلاد في حدود سنة ٣٥٠ وأعلى مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الاهل وسعة الرقعة ويقال انها كأحد جانبي بغداد وان لم تكن كذلك فهي قريبة منها وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان يشرعان في نفس السور الى طريق الوادي في الرصافة والرصافة مساكن بأعالي البلد متصلة بأسافله من ربضها وابنيتها مشتبكة محيطة من شرقها وشمالها وغربها وجنوبها الى ان قال وممن تشوق اليها القاضي محمد بن ابي عيسى بن يحيى الليثى قاضي الجماعة بقرطبة فقال فيها

(يلم ذكراي من ورقا مفردة * على قضيب بذات الجزع مياس)
(رددن شجوا شجا قلبي الخلي فقل * في شجو ذي غربة ناء عن الناس)
(ذكرنه الزمن الماضي بقرطبة * بين الاحبة في لهو وايناس)
(هجن الصبابة لولا همة شرفت * فصيرت قلبه كالجندل القاسي)

درب حارة القفير (١) درب البساتين * بقربها مدينه تسمى رهاه وقد خربت
وتنس * مسورة على البحر * شربهم من نهر * وكذلك قصر الفلوس *
وتاهرت السفلي على واد عظيم * ذات اعين وبساتين * وافكان * مسورة

وينسب اليها كثيرون من أهل العلم والادب ولما ادبر أمرها رثاها
شعراؤها بمراثي كثيرة والله أعلم

وقد نقل الشيخ مقديش وصف جامعها المشهور فقال وبها الجامع الذى ليس في معمور الارض مثله فيه من السواري الكبار الف سارية وفيه ماية وثلاث عشرة ثريا للوقيد اكثر ماتحمل الواحدة الف مصباح وفيه من النقوش والرقوم مالا يقدر على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في وصف حسنها وفي عضادتى المحراب اربعة أعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة وبه منبر ليس على معمور الارض مثله في حسن صنعته وخشبه ساج وأبنوس وبقص وعود قاقلي ويذكر في تاريخ بنى أمية انه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة ماصرف على المنبر أجرة لاغير عشرة آلاف مثقال وخمسين مثقالا وفي الجامع حاصل كبير فيه آنية الذهب والفضة لأجل الوقود وبهذا الجامع أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان بخط يده وفيه نقط من دمه وله عشرون بابا مصفحات بالنحاس الاحمر الاندلسي محزمات تحزيما يعجز البشر وصفه وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة التى هي من عجائب الدنيا ارتفاعها مائة ذراع بالما لكى المعروف بالشراشي، كل ذراع بثلاثة اشبار اه بحروفه

(١) في كل مارأيناه من النسخ (القفير) بتقديم القاف على الفاء ولم نعلم له معنى مناسبا للمقام ولعله بتقديم الفاء أو بالخاء مكان القاف أو بالغين على لغة العامة وعلى هذا تكون علة التسمية واضحة وهي وجود مركز للخفراء بذلك الدرب يجتمعون فيه ثم يوزعون في انحاء المدينة بمعرفة رئيسهم كما هو جار الآن بمصر عند كل مغرب

على واد جار ذات بساتين * ويلل * وجبل توجان * على ما ذكرنا سواء*وهران* بحريه مسورة يقلعون منها الى الاندلس في يوم وليلة (١) ترى منها البرين وهي احد المعابر المشهورة * جبل زلاغ*مدينة على جبل عال يطل على كورة فاس بناها خلوف بن احمد المغلى *وبقية المدن اكثرهن مسورات ذات بساتين انتهى *

وقد ذكرها شمس الدين ابو طالب الدمشقي باختصار في تاريخه ولم يذكر ما يحتاج الى نقل كما لم يذكر غيرها من المدن الا سرداً *

وعدد العلامة ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار ممالك المغرب ليفضل عليها ممالك المشرق تعصبا للشرق فلم يذكر من مزايا المغرب الا ما لم يمكنه انكاره وقال * ويليها اي تونس الغرب الاوسط كان في صدر الاسلام قد اقتطعه بنو رستم وكانوا اباضية وادعو الخلافة وكان قطب امامتهم مدينة تاهرت *

واما المؤرخ ابن الصغير * العلامة الخطير * المالكي الشهير * الذى بحث في احوال تاهرت عن النقير والقطمير * فقد نظم في الثناء عليها العقود الحسان * ووصف بني رستم ملوكها الائمة اهل العدل والاحسان * بكل وصف جميل * وذكر جليل * وسيأتي موزعا في الباب الآتي * عند ذكر كل امام منهم فانتظره وكل آت قريب * ولمناسبة هذا المقام نأتي بكلمات منه وان تكررت بعد ذلك ليعلم منه مشربه ويدرك منه مرمى كلامه قال

(١) في نسخة هكذا (وسبتة على زقاق بحر الاندلس ترى منه البرين الى آخره) فيؤخذ من هذا ان سبتة قد أتى عليها وقت وهي في دائرة حكم تيهرت وفيه تأمل لبعدها عنها جدا وقربها من طنجة والله أعلم

*ثم شرعوا (يعني الاباضيه بتاهرت) في العمارات والبناء واحياء الموات وغرس البساتين * واجراء الانهار واتخاذ الرحي والمستغلات وغير ذلك واتسعوا في البلد وتفسحوا فيه وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصي الاقطار فقل أحد أن ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين اظهرهم لما يراه من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله حتى لاترى داراً الا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه افلان القروي وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين واستعملت السبل الى بلاد السودان والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعه الى ان قال في حق الامام افلح * وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ ابوابا من الحديد وبنى الجفان واطعم فيها الجيعان وعمرت معه الدنيا وكثرت الاموال والمستغلات واتته الرفاق والوفود من كل الامصار والآفاق بأنواع التجارات وتنافس الناس في البنيان حتى ابتني الناس القصور والضياع الى آخر ما سيطرق سمعك غير بعيد ان شاء الله ولا فائدة في التكرار وقال ابن خلدون في ١٢١ من المجلد السادس فشرعوا (اي الاباضية) في بناء مدينه تاهرت في سفح جبل كزول السياح على تلول منداس واختطوها على وادي ميناس النابعة منه عيون بالقبلة وتمر بها وبالبطحاء الى ان تصب في وادي شلف فأسسها عبد الرحمن بن رستم واختطها سنة أربع واربعين ومائة فتمدنت واتسعت خطتها اهـ

وقال ابن حوقل في المسالك المطبوع بليدن سنة ١٨٧٢ بصحيفة ٦٠ بعد أن وصفها كما تقدم * والتجار والتجارة (بتيهرت) المحدثة اكثر ولهم مياه

تدخل أكثر دورهم وأشجارهم وبساتين كثيرة وحمامات وخانات وهي احد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهيد ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات *

وأما ابن عذارى المغربي فانه ذكرها في بيانه وخالف في تاريخ تأسيسها كل مارأيته من التواريخ اذ قال في صحيفة ٢٠٣ فاجتمع عليه (اى عبد الرحمن) الاباضية وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم فنزلوا بموضع تيهرت وهي غيضة بين ثلاثة انهار فبنوا مسجداً من اربع بلاطات واختط الناس مساكنهم وذلك سنة ١٦١ وكانت في الزمان الخالي مدينة قديمة فاحدثها الآن عبد الرحمن بن رستم وبقي بها الى ان مات سنة ١٦٨ ه وهذا تاريخ في وفاة عبد الرحمن وهو مخالف لما هو مشهور عندنا ولكلام ابن خلدون الآتي وقال ايضا وكانت حول تيهرت بساتين من انواع الثمار كثيرة الاشجار وهي شديدة البرد كثيرة الامطار قيل لبعض الظرفاء من اهلها كم الشتاء عندكم من شهر في السنة قال ثلاثة عشر شهرا اه

هذا وقد وقفت على ذكرها في كتاب دائرة المعارف ولم يزد على ماسمعته غير بيان المسافة التي بينها وبين وهران باصطلاح هذا العصر وذلك ٢٢٠ كيلو مترا واستظهر انها هي (تنغرتيا) القديمة التي كانت كرسي اسقفية (١) في القرن الخامس للميلاد (فهي اذاً عريقة في الفخر عظيمة الشان محط رحال

(١) الأسقفية وظيفة مخصوصة برجال الدين عند النصارى وكرسيها هو المدينة أو القصبة التي يقيم فيها الأسقف * والأسقف كلمة عربية وقيل معربة من (ابيسكوبوس) باليونانية ومعناها ناظر او رقيب وكل القاب خدمة الدين عند النصارى هي اما من أصل يوناني كالاسقف والبطريرك والشدياق وغيرهم أو من أصل سرياني كالقسيس

العظماء والرؤساء من رجال الدين من قديم الزمان) وزاد في ابيات ابن حماد المتقدمة بيتا بعد قوله تبدو من الغيم الى آخره والبيت هو هذا

﴿ فنحن في بحر بلا لجة * تجري بنا الريح على سمت ﴾

حمد لله على موافقة الحق

ثم وقفت في اثر هذا على عين ما استظهرته في الحاشية قبل هذا

والشماس وغيرهما والاسقف بالفرنساوية افك) (و بالانكليزية بشب) وهما من اليونانية أيضا وهو في الكنائس البروتستانية في أسوج ونروج والدانمرك لقب يلقب به خدمة الدين الا انهم لايعتبرون من رتبة ممتازة عن غيرها من درجات الكنيسة وقد ذهب بعض البروتستانت الى ان ماورد في سفر أعمال الرسل (٢٠:١٧ و٢٨) يستفاد منه ان مدلول الاسقف والقسيس واحد واما معلمو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ومن وافقهم من معلمي البروتستانت فقد خالفوا في ذلك وقالوا ان الاسقف والقسيس درجتان ممتازتان * وكان انتخاب الاسقف منوطا بقسم من الاهالي ولما في ذلك من كثرة التخالف في الراي المؤدي الى العناد غالبا استعملت الوسائل الى أبطال ذلك حتى صار الملوك يعينون بانفسهم أساقفة مما لكهم الا ان (البابا) لم يطلق ذلك وقاوم هذا الطريق بكل عناية حتى جعل الانتخاب مخصوصا بقسيسي الكنائس الاسقفية وقد اختلفت في هذا العهد طرق الانتخاب فبعضهم خصصه بالقسيسين و بعضهم جعله مشتركا بينهم و بين الاهالي و بعضهم خصصه بالملك ورجال دولته وبعضهم اشترط في المنتخب (بالكسر) كونه من أبوين شرعيين بالغا سن الثلاثين مشهورا بالعلم والادب مقبولا عند الحكومة وكونه من أهالي البلد الواقعة فيها الاسقفية ان أمكن * وعلامات الاسقف في أوروبا التاج رمزاً الى القوة والعصا رمزا الى فروضه الرعائية والخاتم رمزا الى اقترانه بالكنيسة وصليب معلق على صدره وكفوف مخصوصة وحذاء لايغطي الاقسام أعلى رجليه وقباء مخصوص وذلك كله تمييزاً له عمن هو

بصحيفة (١٩) عند الكلام على كيفية توزيع المياه على بيوت تيهرت فحمدت الله على موافقة ذلك الفكر للحق راجيا ان تكون افكاري كلها كذلك ان شاء الله ٭ واليك ما كتبه بالحرف حيث قال واما ﴿ تيهرت ﴾ الحديثة فكانت اكثر تجارة والماء يجري اليها في اقنية وأنابيب الى كل البيوت انتهى وبهذا نختم هذا الباب وختامه مسك والحمدلله رب العالمين ٭

﴿ الكلام على المدن المنسوبة الى تيهرت ﴾

تقدم عن العلامة البشاري الحنفي نسبة عدة مدن الى تيهرت وقد تكلم عليها المؤرخون وتتميما للفائدة نأتي ببعض ما قالوه في بعضها فنقول ان من اشهر تلك المدن في ذلك العهد

﴿ مدينة تنس ﴾

بفتح التاء والنون وهي آخر افريقية مما يلي الغرب بينها وبين مدينة وهران ثمانية ايام ومليانة في جنوبها على ثلاثة ايام وقيل اربعة

دونه من خدمة الدين ٭ واما في الكنيسة الشرقية فالعلامات المميزة للاسقف عن القسيس عند الروم (الارثودكس) والروم (الكاثوليك) والأرمن هي منديل يجعل فوق القلنسوة تحت القاووق وفي الشرق الصليب على الصدر والخاتم في البنصر وثوب يخالف أثواب القسيس ويكون في الغالب أحمر والاسقف دون القسيس حق فحص التآليف الدينية التي تنشر في ابرشته (الدائرة التي يتولاها الاسقف وتكون تحت نظره) فيثبتها أو يحكم بفسادها والكثير من البروتستانت سلخوا السلطة عن الاساقفة وصيروهم بمنزلة القسيسين ومنهم من أبطل هذا الاسم بالمرة والبعض منهم ابقاها كما هي عليه

وبينها وبين تيهرت خمس مراحل اوست نقل ذلك الحموي عن البكري وقال * قال ابو عبيد هي مدينة مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها العمال لحصانتها وبها مسجد جامع واسواق كثيرة وهي على نهر ياتيها من جبال على مسيرة يوم من جهة القبلة ويستدير بها من جهة الشرق ويصب في البحر وتسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن ذكرا هل تنس انه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة وتنس الحديثة اسسها وبناها البحريون من اهل الاندلس منهم الكركدن وابو عائشة والصقر وغيرهم وذلك سنة ٢٦٢ (في دولة بني رستم) وسكنها فريقان من اهل الاندلس من اهل البيرة واهل تدمير واصحاب تنس من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان هؤلاء البحريون من اهل الاندلس يشتون هنالك اذا سافروا من الاندلس في مرسي على ساحل البحر فاجتمع اليهم بربر ذلك القطر ورغبوهم في الانتقال الى قلعة تنس وسألوهم ان يتخذوها سوقا ويجعلوها مسكنا ووعدوهم بالعون وحسن المجاورة (١) فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا الى القلعة وانتقل اليهم من جاورهم

بناء على انها نظام الا هي لايجوز تغييره وهذا في انكلترا والولايات المتحدة * والاساقفة من جميع الطوائف النصرانية الا البروتستانت لايباح لهم الزواج وكذا القسيسون من الكنيسة اللاثينية والرهبان عموما لا يباح لهم الزواج واما القسيسون من غير الكنيسة اللاثينية فيباح لهم الزواج مرة واحدة واذا توفيت نساؤهم منعوا عن الزواج مرة ثانية * ووظيفة الاساقفة المقيمين في ممالك الدولة العلية العثمانية هي النظر والحكم في جميع المسائل المتعلقة بالامور الدينية من زواج وطلاق واقامة أوصياء للقصر وولاية الاوقاف والتركات وما اشبه ذلك * كذا قيل والله أعلم

(١) انظر كيف كانوا يهتمون بالبقاع المهجورة القابلة للعمارة و يستميلون الناس

من اهـل الاندلس فلما دخل عليهم الربيع اعتـلوا واستوبؤا (   ) الموضع فركب البحريون من اهل الاندلس مراكبهـم واظهروا لمن بقي منهم أنهم يمتارون لهم ويعو دون فحينئذ نزلوا قرية بجاية وتغلبوا عليها ولم يزل الباقون في تنس في تزايد وثروة وعدد ودخل اليهـم اهـل سوق ابراهيم وكانوا في اربعمائة بيت فوسع لهم اهل تنس في منازلهـم وشاركوهم في اموالهـم وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيها اليوم ولهم كيل يسمونه الصحفة وهي ثمانية واربعون قادوسا والقادوس ثلاثة امداد بمد النبيء صلى الله عليه وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون اوقية ورطل سائر الاشياء اثنتان وعشرون اوقية ووزن قيراطهـم ثلث درهم عـدل بوزن قرطبة وقال سعد بن اشكل التاهرتي في علته التي مات منها (بتنس)

﴿ نآى النوم عني واضمحلت عرى الصبر
واصبحت عن دار الاحبة في اسر ﴾
﴿ واصبحت عن ﴿ تيهرت ﴾ في دار غربة
وأسلمني مر القضـاء من القـدر ﴾
﴿ الى تنس ذات النحوس فانها
يسـاق اليها كل منتقص العمر ﴾
﴿ هو الدهر والسباق (١) والماء حاكم
وطالعها المنحوس صمصامة الدهر ﴾

الى الاقامة بها باحسانهم ومعروفهم وحسن جوارهم

(١) في نسخة السياف بالفاء وله مناسبة للمقام

﴿بلاد بها البرغوث يحمل راجلا
ويأوي اليها الذيب في زمن الحر﴾
﴿يرجف منها القلب في كل ساعة
بجيش من السودان يغلب بالوفر﴾
﴿ترى اهلها صرعى دوى ام ملدم
يروحون في سكر ويغدون في سكر﴾

﴿وقال غيره﴾ (١)

﴿ايها السائل عن ارض تنس
مقصد اللوم المصفى والدنس﴾

---

(١) قد بالغ هذان الشاعران في ذم هذه المدينة الممدوحة عند ارباب التاريخ وقد علمنا السبب الحامل للاول منهما على ذمها فعذرناه اذ لامصيبة تعادل الداء العضال المفضي بصاحبه الى الهلاك كالذي أصابه ولم نعلم للثاني سببا قويا غير ما يفهم من كلامه من أنه كان سائلا وكأنه لم يقنع بما ناله فيها *وقد ورد أن النفس جبلت على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها * وسئل (جحا) فيما يقال عن المحسن من الناس فقال هو الذي أحسن الي وسئل عن المسيء منهم فقال هو الذي أساء الي * وعلى كل حال لايكون قولهما دليلا على نقصها لان الذم والمدح لايكونان غالبا الا على حسب الاغراض والطبائع والاحوال والازمان ولا يخلو شيء من مخلوقات الله عموماً من كمال ونقص * وما قصد الانسان الى مدح شيء ما الا ووجد مجالا يسع فوق مراده ولو عدالي ذم ذلك الشيء عينه من جهة أخرى لانفتح له أوسع باب في ذلك بدون أن يكذب ان شاء * وهذا مما يدل على حدوث الكائنات وافتقارها الى مدبر حكيم وهو الله الذي لااله الا هو ذو الكمال الذي لايشوبه نقص ولايلحقه عدم * هذه مصر القاهرة الغنية بشهرتها عن البيان مهبط الفراعنة والجبابرة وعظماء الملوك وبيت الحكم ومعدن الآثار العظيمة والصنائع الغريبة من قديم الزمان قد مدحها

﴿بلدة لا ينزل القطر بها
والندى في اهلها حرف درس﴾
﴿فصحاء النطق في (لا) أبدا
وهم في (نعم) بكم خرس﴾
﴿فمتى يلمسم بها جاهلها
يرتحل عن اهلها قبل الغلس﴾

الشعراء بما اذا سمعته توهمت انها روضة من رياض الفردوس وذمها آخرون بما اذا تلي عليك ظننت انها حفرة من حفر النار ومما قاله في وصفها واجاد سليم بيك العنحوري الدمشقي من شعراء هذا العصر هذه القصيدة

﴿شوارع مصر﴾

(تلك الشوارع عرضها أمتارا * ست بست تدهش الانظارا)
(يجري الهواء بها رخاء مطلقا * يمحو السقام ويذهب الاكدارا)
(تزدان بالانوار فوق منائر * فيعود ليل المدلجين نهارا)

***

(وعلى الجوانب الف حانوت زهت * بنفائس تدع العقول حيارى)
(فيها الجواهر كالنجوم وجامها * فلك يزيغ بهاؤه الابصارا)
(فيها لاصناف النسيج زخارف * تسبي النساء وتسلب الدينارا)

***

(شادت يد الاتقان في أكنافها * قللا يناطح روقها الاقمارا)
(من كل صرح باذخ شرفاته * تبدي متى حان الاصيل عذارى)
(غر الوجوه فواتنا تزري الدمى * بيضا وسمرا خردا أبكارا)
(يختلن من فوق العروش بواسما * جذلا وهن من النعيم سكارى)
(يرمقن أبناء السبيل بأعين * توحي الى اهل الهوى أسرارا)

{ ما وهما من قبح ماخصت به
نجس يجري على ترب نجس }
{ فمتى تلعن بلاداً مرة
فاجعل اللعنة دابا { لتنس }

(حفت بجنات الازاهرقدحوت * دررا وآسا نرجسا وعرارا)
(جمعت لاسباب الهناء ذراتها * تولي النزيل من المنى اوطارا)
(يمسي ويصبح والنعيم مهاده * حتى اينسى اهله والجارا)

ومما ورد في ذمها من أقوال المتقدمين قول الشاعر

(مصر دار الفاسقينا * تستفز السامعينا)
(واذاشاهدت شاهد * ت جنونا ومجونا)
(وصفاعا وضراطا * و بغاء وقرونا)
(وشيوخا ونساء * قدجعلن الفسق دينا)
(فهي موت الناسكينا * وحياة الهالكينا)

(وقول الآخر من قصيدة)

(قلت منافعها فضج ولاتها * وشكا التجار بها كساد السوق)
(ماان يرى فيها الغريب اذارأى * شيئا سوى الخيلاء والتبريق)
(قد فضلوا جهلامقطمهم على * بيت بمكة للاله عتيق)
(لمصارع لم يبق في أجداثهم * منهم صدى بر ولا صديق)
(ان هم فاعلهم فغير موفق * أو قال قائلهم فغير صدوق)
(شيع الضلال وحزب كل منافق * ومصارع للبغي والتفسيق)
(اخلاق فرعون اللعينة فيهم * والقول بالتشبيه بالمخلوق)
(لولا أعتزال فيهم وترفض * من عصبة لدعوت بالتفريق)

وهكذا الحال في البصرة والكوفة على ماسيأتي وغيرهما وبالجملة فلا شيء في الوجود غيره تعالى الا وله كمال ونقص ومادح وقادح على حق أو باطل الا أن الحق يعلو والكمال لله وحده

ثم قال وقد نسبوا الى تنس ابراهيم بن عبدالرحمن التنسي دخل الاندلس وسكن مدينة الزهراء(١) وسمع من ابى وهب بن مسرة الحجازي وابى علي

---

(١) الزهراء مدينة وقيل سراية كما ذكره بعض المؤرخين وهو أقرب لأنهم ذكروا ان طولها الفان وسبعمائة ذراع وان عرضها الف وخمسمائة ذراع وهي قريبة من (قرطبة) على ستة أميال منها وقيل أربعة وزيادة أختطها عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي وهو يومئذ سلطان تلك الجهات وذلك سنة ٣٢٥ (بعد انقضاء دولة بني رستم من تيهرت) انفق في عمارتها ما تجاوز حد الاسراف وجلب اليها الرخام من الاقطار وأتاه من الهدايا للاعانة على اتمامها من ولاته ومن ملوك الافرنج المجاورين له مالا يحد وصفه وجلب اليها من القسطنطينية حوضا مذهبا كبيرا وجعل فيها حوضا أصغر منه فيه صور حيوانات متعددة كالأسد والغزال والعقاب والثعبان وكل ذلك بالذهب المرصع بالجواهر وكان يدخلها في أثناء العمل فيها كل يوم ٦٠٠٠ صخرة مع مالا يعد من الآجر ويعمل فيها كل يوم الف صانع مع كل صانع (١٢) اجيرا فالجملة ثلاثة عشر الفا حتى تمت في (١٦) سنة فكان فيها (٤٣٠٠) سارية و (١٥) بابا وقدرما انفقه عليها (من بيت مال المسلمين) بما يقارب ستمائة وخمسين قنطارا فضة خالصة وكانت على ثلاثة اقسام قسم فيه قصر السلطنة وقسم فيه خدمه وقسم فيه منتزهه وعلى سورها (٣٠٠) برج ولم يغنها ذلك شيئاً ذحل بها القضاء المبرم فقد دخلها البربر سنة (٤٠٠) وأحرقوها وخربوها ونهبوا مافيها حتى لم يبق منها الا الرسوم والأطلال وقد ذكرها الشعراء في قصائدهم كثيرا ومن بينهم أبو الوليد بن زيدون القائل

(اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والأفق طلق ووجه الارض قد راقا)
(وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنما رق لي فاعتل اشفاقا)
(والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت من اللبات أطواقا)
(يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنالها حين نام الدهر سواقا)

القالي وكان في جامع الزهراء يفتي ومات في صدر شوال سنة (٣٠٧) انتهى حموي *

هكذا في النسخة المنقول منها وهي من طبع الافرنج ومصححة باعتناء كامل * واما العلامة الضبي فانه ذكر في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج ايضا انه توفي سنة ٣٨٧ والفرق بينهما فاحش فليتامل *

وتكلم عليها الادريسي المالكي المولود في عشرة التسعين من المائة الخامسة في تاريخه فقال ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح على ميلين منه وبعضها على جبل وقد احاط به السور وبعضها في سهل الارض وهي مدينة قديمة ازلية عليها سور حصين وحضيرة مانعة دائرة بها وشرب اهلها من عين ولها في جهة الشرق واد كثير الماء وشربهم منه في ايام الشتاء والربيع وبها فواكه وخصب واقلاع وحط وبها اقاليم واعمال ومزارع وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحيوانات موجودة وتخرج منها الى كل الآفاق في المراكب وبها من الفواكه كل طريفة ومن السفرجل الطيب المعنق (١) مايفوت الوصف في صفته وكبره وحسنه اهـ وذكر في صحيفة ٨٢ ان بينها وبين مدينة تلمسان (التي ينتهي عند عملها ملك بني رستم) تسع مراحل وقال في كيفية السير فيها هكذا

*تخرج من تلمسان (مشرقا) الى قرية العلويين وهي قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر ولهم بها جنات ومياه جارية من عيون ومنها الى قرية (بابلوت) مرحلة وهي قرية جليلة كثيرة الاهل والعمارة على نهر ليس به ارحاء وتسقى منه مزارع ومن بابلوت الى قرية (سي) التي على نهر مرغيت مرحلة وهو

(١) أي له عنق طويل كعنق الكمثرى مثلا

صغير والعيون بها والمياه تطرد في كل وجهة ومنها الى رحل الصفصاف مرحلة وهو رحل عامر آهل على نهر يأتي من (افكان) من جهة المشرق ومن الرحل الى افكان مرحلة (١) ثم ذكر في صحيفة ٨٨ جملة قبائل منها ورماكسين * وورشفانة ومغراوة * وبنو راشد وزقارة * وذكر أن مواطنهم بين تلمسان (وتاهرت) ثم قال

وكل هذه القبائل بطون زناتة ( ) وهم اصحاب هذه النحوص وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان الى مكان غيره لكنهم متحضرون واكثر زناتة فرسان يركبون الخيل ولهم عادية لا تومن ولهم معرفة بارعة وحذق وكياسة ويد جيدة في علم الكتف اه

وقد تعرض لها صاحب كتاب دائرة المعارف فذكر أنها كانت مدينة عظيمة ذات تجارة واسعة مع عرب اسبانيا وأن الماء خربها في حد ونيف وعشرين وستمائة وتراجع اليها بعض اهلها ودخلها ابو الربيع المليانى في تلك المدة وهم ساكنون بين الخراب * ثم قال ومنذ القرن الثالث عشر (مسيحيا) صارت قصبة مملكة صغيرة خربها خير الدين سنة ١٥١٨ (مسيحية) ثم ذكر ما هي عليه وقت تأليفه الكتاب من الحالة وهي لا تبعد عما هي عليه الآن (٢)

حالتها الحاضرة

فقال وسنة ١٨٤٣ (اي في اوائل عشرة الستين بعد الف ومأتين هجرية)

---

(١) أي ومن افكان الى المعسكر مرحلة ومنها الى جبل فرحان ثم مدينة يلل مرحلة ومنها الى مدينة غزة ثم سوق ابراهيم مرحلة ومنها الى بلدة التين مرحلة ومنها الى تنس مرحلة فهذه تسع مراحل

(٢) هذا كله كان في زمن تاليف الكتاب ومن ذلك الوقت الى الآن ما يقرب من خمسين سنة وهي كل يوم في التقدم فلا شك أنها زادت على ذلك كثيرا والله اعلم

دخل ﴿ تنس ﴾ الفرنساويون وانشأوا الجانب الحديث منها سنة ١٨٤٨ وهي الآن ذات اسواق جميلة وأبنية بهيجة ومنازل عسكرية ومستشفى وبها قناة رومانية اصلحت وجر فيها الماء من مسافة (٥) كيلو مترات وفيها كثير من العيون منها لكل محل نبع فضلا عن العيون العمومية وهي قصبة دائرة تشتمل على ١١ الف نفس من القبائل البربرية و٩ آلاف من العرب والمدينة ذات تجارة رائجة يرجى سرعة تقدمها الآن محاصيل ولاية ﴿ اورليانفيل ﴾ (١) تنقل اليها وقد بلغت قيمة وارداتها سنة ١٨٥٤ سبعماية وخمسين الف فرنك وصادراتها مليوني فرنك لكن مرفاها يحتاج الى اصلاح وفي ضواحيها معادن نحاس وافرة الركاز تكون لهاليها يوماً ما ثروة جزيلة وعدد سكانها بلغ سنة ١٨٥٦ نحو ٢٦٠٠ نفس ويقال ان اهلها القدماء اشتهروا بالسحر وان منهم كان سحرة مصر في أيام فرعون موسى (عليه السلام) اهـ

﴿ ومنها مدينة وهران ﴾

وهي من تلمسان على ثلاث مراحل تقريبا وقد قال الادريسي فيها هكذا مدينة وهران على مقربة من ضفة البحر وعليها سور تراب متقن وبها اسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة وهي تقابل مدينة المرية من ساحل الاندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيأً (من السفن اذا هاج البحر) ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسي المراكب الكبار والسفن

---

(١) اورليانفيل هي قصبة جهة من عمل الجزائر واقعة على ضفة وادي شلف اليسرى تبعد عن الجزائر بقدر (٢١٠) كيلو مترا الى الجنوب الغربي بناها الفرنساويون سنة ١٨٤٢ وهي مدينة حسنة البناء وأزقتها منتظمة وبها مرسح ويقام بها سوق في يوم الاحد من كل أسبوع ووجدوا فيها آثار كنيسة قديمة منها بلاط مزين بالفسيفساء اهـ

السفرية وهذا المرسى يستتر من كل ريح وليس له مثال في مراسي حائط البحر من بلاد البربر وشرب أهلها من واد يجري اليها من البر وعليه بساتين وجنات وبها فوا كه ممكنة وأهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير ومرا كب الاندلس اليها مختلفة وفي أهلها دهقنة وعزة نفس ونخوة اه وقال البكري (وهران) مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ولها مسجد جامع وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن وهم من أزداجة وكانوا من أصحاب القرشي(١)سنة ٢٩٠(في آخر دولة بني رستم) فاستوطنوها (٧) أعوام وفي سنة ٢٩٧ (لما ادبر أمر بني رستم) زحف اليها قبائل كثيرة يطالبون اهلها باسلام بني مسقن (٢) فخرجوا ليلا هاربين واستجاروا بأزداجة وتغلبوا على مدينة وهران وخربت واضرمت نارا ثم عاد أهلها اليها بعد سنة ٢٩٨ بأمر أبي حميد دواس بن صولات ( ) وابتدأوا في بنائها وعادت احسن

---

(١) اراد بالقرشي صاحب الاندلس فان ابن خلدون ذ كر أن من رجال الأمويين الذين ملكوا وهران ابن ابي عون هذا ومن معه دخلوها في هذا التاريخ وخطبوا لبني امية الاندلس ولعل هولاء جددوها تجديدا ولم ينشئوها انشاء كما يوخذ من هنا والا فكيف يذ كرها العلامة البنا فيما ذ كره لبني رستم فتأمل

(٢) بنو مسقن بطن من بطون ازداجة التي هي بطن من البرانس البربر وقد رسمها بعضهم هكذا (مسكن) بالكاف مكان القاف ولعل القبيلة المعروفة الآن بني يسقن في وادي ميزاب من هذا البطن وابدل اللسان الميم ياء لطول العهد وقوله باسلام اى بمسالمة واتحاد بني مسقن معهم على مطالبة أهل وهران * فالضمير في قوله خرجوا يعود الى اهل وهران لا الى بني مسقن كما هو ظاهر والله اعلم

ما كانت وولى عليهم داوود بن صولات الليهي محمد بن أبي عون فلم تزل في عمارة وزيادة الى ان وقع يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بأزداجة في ذي القعدة من السنة المذكورة فبدد جمهم وحرق مدينة وهران ثانية وخربها وكذلك بقيت سنين ثم تراجع الناس اليها وينسب اليها أبو القاسم عبدالرحمن ابن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني يروي عن أبي بكر احمد بن جعفر القطيعي روى عنه ابن عبد البر وابو محمد بن حزم الحافظ الاندلسي اه هذا حالها القديم واما بعد ذلك فقد ذكر الشيخ مقديش ان افرنج الاندلس قد استولوا عليها مراراً واخرجهم منها المسلمون قال وساعة تاريخ الكتاب سنة (١٢٠٧) سبع ومائتين والف بأيدي المسلمين فتحها الامير محمد باي أحمد امراء الجزائر سنة (١٢٠٥) خمس ومائتين وألف

﴿ حالتها الحاضرة ﴾

واما الآن أعني سنة (١٣٢٥) فهي بيد الدولة الفرنساوية من الافرنج تابعة لولاية الجزائر مستبحرة العمران متقدمة في التمدن الأوروبي بها من السكك الحديدية والانوار الكهربائية والاسلاك التلغرافيـة والمباني الفخيمة والاسواق التجارية ما بنيرها من المدن الكبيرة وهي احدى الموانى الشهيرة الآن * بها من تجار الاباضية بني ميزاب جماعة لهم القدح المعلى في ميادين التجارة والله اعلم

﴿ ومنها مدينة شلف ﴾

وبينها وبين مدينة • يلل . مرحلة قال ابن حوقل وهى مدينة ذات سور وحصن ونهر واشجار ومزارع اه (ولا منافاة بين هذا وبين ما سيأتى من خرابها)

اذ كل في زمان وقد تكلم على شلف صاحب كتاب المعارف بما هو اوضح اذ قال وشلب أيضاً (بالباء) أو شليف على لفظ الافرنج نهر بالجزائر يسميه المغاربة وادي شلب وهو أهم أنهر تلك البلاد وتجري القوارب فيه في قسمه الأسفل وهو مؤلف عند أعلاه من جدولين ينحدران من جبل (امور) وبعد اتحادهما يسمى وادي الطويل ويجري شرقا الى (تاجوين) حيث استولى (دوق او مال) على معسكر (الامير) عبد القادر سنة ١٨٤٣ ثم يقطع سهل سرسو ثم ينصب اليه من ضفته اليمنى جداول تجري من جبل الناطور تتألف من ٧٠ نبعا ثم اذا وصل الى بوغر يسمى باسم شلب ويصب في البحر المتوسط بين (تنس) و (أرسوف) على ١٣ كيلو متراً من مستغانم الى الشمال الشرقي وينصب اليه قبل وصوله الى البحر جدولان آخران من ضفته اليسرى وطول مجراه (٢٦٠) كيلو متراً وتلاعه(١) مؤلف من ارض ابليزية غير خصبة يشتمل على مدن . بوغر . وتنية الأحد . ومديه . ومليانة . ومستغانم . واورليانفيل . واسمه القديم (شينالاف) وقيل (ازان) اه أقول ولو لم يكن ﴿ لتيهرت ﴾ من الأنهر الا هذا النهر الكبير الغزير المياه لكفاها عمرانا اذ كان يفيض كما يفيض النيل وتزرع عليه انواع الحبوب والله اعلم ( )

﴿ ومنها المدينة الخضراء ﴾

وقد قال فيها الحموي في تاريخه بلدة بينها وبين مليانة يوم واحد وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين على شاطىء نهر من أخصب مدن افريقية اه ( )

وأما الادريسي فقال فيها وهي مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه

---

(١) قال في المختار التلعة بوزن القلعه ما ارتفع من الارض وما انهبط وهو من الاضداد

عمارات متصلة وكروم وبها من السفرجل كل بديع ولها سوق وحمام وسوقها يجتمع اليها أهل تلك الناحية اه

﴿ ومنها مدينة افكان ﴾

وقد قال فيها الادريسي مدينة كانت (في مدة بني رستم) لهاأرحاء (تدور بالماء) وحمامات وقصور وفواكه كثيرة وكان عليها سور تراب لكنه الآن (في اول المائة السادسة) تهدم وبقي أثره وواديها يشقهانصفين ويمضي منها الى ﴿ تاهرت ﴾

وقال ابن حوقل وافكان مدينة لها أرحية وحمامات وقصور وفواكه وكانت (بعد بنى رستم) ليعلى بن محمدذات سورمن تراب في غاية الارتفاع والعرض وواديها يشقها نصفين ومنها الى (تيهرت) بالعرض الى المشرق ثلاث مراحل وافكان على واديها أعمال عريضة وأجنة ومزارع اه

﴿ ومنها مدينة غزة ﴾

وقد قال الادريسي فيها * هي مدينةصغيرة القدرفيها اسواق مشهورة مشهود لها يوم معلوم وبها حمام وديار حسنة ولها مزارع وذكرهاابن حوقل بمثل هذا وقال وهي مدينة صالحة

﴿ ومنها سوق ابراهيم ﴾

وبينها وبين غزة مرحلة واحدة وقد ذكرها ابن حوقل بقوله * وهي مدينة أيضاً صغيرة فيها حمام وسوق وهي على نهر شلف اه

قال الصفاقسي ومن سوق ابراهيم الى بلدة التين مرحلة وهي بلدة صغيرة حسنة كثيرةشجر التين جداًويعمل بهامن التين شرائح أعظم من الطوب

( ) وبذلك تسمي ويحمل منها الى كثير من الأقطار ومنها الى مدينة تنس مرحلة اه

﴿ ومنها واريفن ﴾

وهي على مرحلة من مدينة تنس في جبال وعرة شاهقة متصلة وعلى مرحلة أيضاً من الخضراء وقد قال فيها الصفاقسي قرية كبيرة (لا مدينة) لها كروم وجنات ذوات سوان لزرع البصل والكمون ومعظمها على نهر شلف

﴿ ومنها مدينة أوزكي ﴾

وقد ذكرها المؤرخ البنا المتقدم في مدن تيهرت ثم كررها في مدن فاس فاما ان تكون هذه غير تلك والاسم واحد واما ان يكون التكرار اشارة الى انها تارة تتبع تيهرت وتارة تتبع فاس وعلى كل حال فقد ذكرها المؤرخون كثيرها منهم الادريسي في نزهته قال

وأما مدينة اوزكي فانها من بلاد مسوفة ولمطة وهي اول مراقي الصحراء ومنها الى سجلماسة ١٣ مرحلة ومنها الى نول ٧ مراحل وهذه المدينة ليست بالكبيرة لكنها متحضرة واهلها يلبسون مقندرات ثياب الصوف ويسمونها بلغتهم القداور ( ) الى ان قال وتسمى هذه المدينة بالبربرية (آزق) وبالجاوية (قوقدم) ومن اراد الدخول الى بلاد (سلى) وتكرور وغانة من بلاد السودان فلا بد له من هذه المدينة اه

والظاهر ان هذه المدينة بعيدة ومنفصلة عن عمل تيهرت المتصل بها وكأنها كانت مع هذا البعد تابعة لها كما هو واقع في ولايات كثيرة مثل جبل نفوسة ويعبر عنها لآن بالمستعمرات والله اعلم

﴿ ومنها مدينة الغدير ﴾

قال الحموي بلد أو قرية على نصف يوم من قلعة بني حماد بالمغرب ينسب اليها عبد الله الغديري المؤدب احد العباد اه

وقال الادريسي مدينة حسنة واهلها بدو ولهم مزارع وأرضون مباركة والحرث بها قائم الذات والاصابة في زروعها موجودة والبركات في معاملاتهم كثيرة

وقال صاحب كتاب الاستبصار المؤلف سنة ٥٨٧ «وهي مدينة كبيرة أزلية بين جبال قد احدقت بها ولها نهر يجتمع من العيون في موضع دهس يخرج منه هذا النهر ويسمى نهر سهور ويمشي من هناك الى مدينة المسيلة وهو نهرها ثم قال ويقرب مدينه الغدير فحص عجيبة وهو فحص مدبر كثير الزرع والضرع الا انه شديد البرد والثلج ولقد دخلت هذا الفحص في زمان الصيف فرأيت الجليد ينزل فيه بالغدو وفى اشال تلك البلاد (برد عجيبة في الصيف واما في الشتاء لسكرات الموت) اه

﴿ ومنها مدينة زلاغ ﴾

ولم نقف لها على ذكر في كتب التاريخ سوى ماذكره صاحب الاستبصار حيث قال في (قلعة أبي جندب) وكانت مدينة كبيرة لها أسواق ولها جنات واشجار وهي كثيرة الزرع والضرع مشحونة بالعمائر متصلة المحارث والمزارع في السهول والجبال منها جبل زالغ (وقد رسمه هكذا) وهو مشرف على مدينة فاس كان فيه حصن بناه المظفر بن ابي عامر اه

﴿ ومنها مدينة يلل ﴾

وهي غير بعيدة عن مدينة غزة قال الادريسي بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبلادها جيدة الفلاحة وزروعها نامية اه أقول وقد استقلت هذه المدينة زمنا عن تيهرت وصارت دار امارة اباضية صغيرة كما سيأتي والله اعلم

﴿ ومنها مدينة قصر الفلوس ﴾

ولم يذكر المؤرخون عنها فيما رأيناه شيئا اكثر من انها مدينة بالمغرب قريبة من مدينة وهران

﴿ ومنها مدينة كوا ﴾

وقد كتبه الحازمي هكذا (كران) وقال حصن على مدينة شلف بالمغرب في بلاد البربر وذكره ابن حوقل وقال هو حصن أزلي يقال له سوق كران وبينه وبين مليانة مرحلة وبينه وبين اشير ثلاث مراحل وكتبه الشيخ مقديش هكذا (كرتاية) وقال وهو حصن قديم له مزارع وأسواق وهو على نهر شلف وله سوق يوم في الجمعة يقصده بشر كثير اه وقد ذكره الحموي ورسمه كالاولين والله اعلم

﴿ زيادة ﴾

ويدخل أيضاً في دائرة (تيهرت) عدة مدن ذكرها المؤرخون ولم

ينبه عليها العلامة البنا لأن من قواعده أن لا يتعرض غالباً الا للمدن الكبيرة المشهورة

﴿ منها مدينة انكاد ﴾

ولها على تيهرت ثلاث مراحل الى ناحيـة تلمسان قال الحموي كانت قديماً ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض وواديها يشقها نصفين اه

﴿ ومنها مدينة مازونة ﴾

وهي تلي حصن فروخ في البر الى الشرق على ستة أميال من البحر قال الادريسي فيها وهي مدينة بين أجبل وهي أسفل خندق ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن مؤنقة واسواقها يوم معلوم يجتمع اليه أصناف من البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن والعسل كثير بها وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً اه

﴿ ومنها قلعة هوارة ﴾

وقد ذكرها صاحب الاستبصار على أثر ﴿ تيهرت ﴾ عند ذكره مدن المغرب الاوسط فقال «وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب وتحتها فحص طوله نحو أربعين ميلا يشق به نهر سيرات ويسقي أكثر أرضه يسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر ونهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة (ازواوا) وهي مدينة قديمة رومية وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر مطغرة وغيرهم

من قبائل زناتة وزناتة تشعبت على قبائل كثيرة وبلادهم واسعة الى أن قال وللمغرب الاوسط مدن كثيرة قد ذكرنا أكثرها في البلاد الساحلية وهي كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم اه والمذكور في النخبة أنها تسمى (بالبربرية) * تاشقدالت * وأنها على جبل فيه معدن الحديد والزئبق

﴿ ومنها مدينة مليانة ﴾

ولها على (تيهرت) ثلاث مراحل وعلى الخضراء مرحلة واحدة وقد ذكرها الادريسي بقوله * وهي مدينة قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع ولها نهر يسقي اكثر مزارعها وحدائقها وجناتها ولها ارحاء على نهرها المذكور (تدور بقوة الماء) ولاقليمها حظ من سقي نهر شلف وعلى ثلاث مراحل منها وفي جنوبها الجبل المسمى بجبل وانشريش يسكنه قبائل من البربر (اباضية وغيرهم) منها مكناسة * وأوربة * وبنو أبي خليل * وكتامة * ومطماطة * وبنو مليلة * وبنو ورتجان * وبنو أبي خليفة * ويصلاتن * وزولات * وزواوة * ونزار * ومطغرة * وارترين * وبنو أبي بلال * وايزكرو * وبنو أبي حكيم * وهوارة * وطول هذا الجبل اربعة ايام وينتهي طرفه الى قرب تاهرت اه باختصار

وقال صاحب كتاب الاستبصار * مدينة مليانة قريبة من مدينة اشير ( ) وهي مدينة كبيرة من بنيان الروم جددها (بعد بني رستم) زيري بن مناد أيضا وفيها آثار قديمة وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى زكار وشجر هذا الجبل كله ريحان وتنبعث منه عين خرارة عظيمة تطحن عليها الارحية اقوتها ولمدينة مليانة مياه سائحة وبساتين فيها جميع الفواكه وهي من أخصب بلاد أفريقية ( ) وأرخصها أسعاراً ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وقرى

كبيرة عامرة ومزارع واسعة وحولها قبائل كثيرة من البربر ويشق تلك الفحوص نهر شلف وهو نهر كبير مشهور وعلى نهر شلف مدينة أزلية فيها آثار أولية تسمى شلف واليها ينسب النهر الكبير وهي اليوم خراب والله أعلم وقد ذكرها الحموي أيضاً بمثل هذا

حالتها الحاضرة

وهي الآن ذات حضارة ومدنية من الأهمية بمكان * وفيها من تجار الاباضية بني ميزاب رجال افاضل

ومنها مدينة تاجنة

وقد ذكرها صاحب المعجم بقوله بفتح الجيم وتشديد النون مدينة صغيرة بافريقيه بينها وبين تنس مرحلة وبين سوق ابراهيم مرحلة اه

ومنها مدينة أشير

قال صاحب الاستبصار بناها (أي جددها) زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بأشير زيري ( ) وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وانما بنى زيري سورها وحصنها وعمرها فليس في تلك الاقطار احسن منها وهي بين جبال شامخة محيطة بها وداخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر من بناء الأوائل وبالقرب من المدينة بنيان عظيم عجيب يعرف بمحراب سليمان لم ير بنيان أعظم منه ولا احكم * فيه من الرخام والاعمدة والنقوش مايقصر عنه الوصف والله اعلم اه اقول وكان تجديدها المذكور بعد انقضاء دولة بني

رستم وذلك لما ادعى زيري الامارة سنة ٣٢٤ وهو جد المعز بن باديس وتملكها بعده بنو حماد وهم بنو عم باديس وناوموا بني عمهم ملوك افريقية المعروفين بآل باديس كما ذكر في المعجم والله اعلم

﴿ ومنها المعسكر ﴾

وتعرف اليوم بأم عسكر وبينها وبين تاهرت مرحلة قال الادريسي فيها هكذا *

والمعسكر قرية عظيمة لها انهار وثمار ومنها الى جبل فرحان ماراً مع اسفله الى قرية دين المفصاف وبها فواكه كثيرة وزروع ونم دارة مرحلة ومنها الى مدينة يلل مرحلة اه

﴿ حالتها الحاضرة ﴾

اقول وهي الآن (سنة ١٣٢٥) من اشهر مدن الجزائر ذات سور محكم جديد وأسواق حافلة واشجار متنوعة بلغت في المدنية الحديثة ما تضاهي به المدن الشهيرة وبها من تجار الاباضية بني ميزاب جماعة لهم الاسم المحترم في دوائر التجارة وبها في الغالب مقام قاضي محكمتهم الشرعية الحاكمة على قسم وهران من تلك الجهات ( ) وقد زرتها سنة (١٣١٦) في اول شهر رجب عند رجوعي من استاذي النحرير قطب الائمة علم الاعلام شيخ الاسلام والمسلمين أمحمد بن يوسف الميزابي ومعي جماعة من ادباء وافاضل بني ميزاب وفي يوم الاثنين الموافق ٦ من الشهر زرنا محل سرادق الامام يوسف بن محمد بن افلح الذي كان يضرب فيه عند استعراضه العساكر وجمعه الجيوش ولذلك سميت هذه المدينة بهذا الاسم فيما يقال وهو موضع فيه بعض ارتفاع على مايليه في مستوى من الارض بعيد عن المدينة بمقدار ٢ كيلو متر وقد نبتت فيه

سدرة يعقد أمامها جماعة بني ميزاب عشية كل خميس غالباً مجلس قرآن ويوزعون الصدقات على فقراء المدينة الذين يأتون اليهم هذا لك لشهرة ذلك عندهم *

وأعراب تلك الجهة يعتقدون فيه البركة رغماً عن علمهم بأنه للاباضية ويشهدون له بكرامات متعددة *

﴿ منها ﴾ انهم استسقوا مراراً لقحط أصابهم فلم يسقوا ولما استسقى فيه بنو ميزاب على الطريق المسنون لم يصلوا باب المدينة حتى ابتدأ الغيث وكان سيل عظيم *

﴿ ومنها ﴾ ان اعرابياً رآى والدته في المنام وقالت له لم يبق لكم مكان لاجابة الدعاء الا مقام الامام يوسف *

﴿ ومنها ﴾ ان صبيا هجر رضاع أمه حتى توقعت هلاكه ولما ذهبت به الى هـذا المقام وسألت الله شفاءه من تلك العلة رضع في الحال هكذا سمعت من بعضهم والله اعلم بالحقائق *

وقد رأيت في سور المدينة قبة صغيرة فعجبت من ترك الحكومة اياها ولما سألت عنها قيل لي ان فيها ضريحاً يقال انه لولي من قدماء الاباضية ولما عزمت الحكومة الفرنساوية على هدمه عند تأسيسها للسور رأت من كراماته ما صدها عن ذلك فجددت القبة ورفعت السور عليها ولذلك كان بعضها داخل السور وبعضها خارجه كما هو مشاهد والعهدة على المخبر في ذلك وما كتبت الا ما سمعته ولا غرابة فيه والله اعلم وأحكم

هذا ما تكلم عليه المؤرخون من المدن الداخلة في دائرة ﴿ تيهرت ﴾ ايام بني رستم ولم نقف على ذكر لغيرها الا أن الادريسي ذكر في نزهته

بعض مدن ومراسي متعددة فيما بين (وهران) وبين (تنس) ولعدم الاطلاع على تواريخ تأسيسها تركت ذكرها اذ ربما تكون حديثة الوجود *

ومن تتبع التواريخ رآهم يجعلون ﴿ تاهرت ﴾ مركزاً وسطاً لتقدير مسافات البلاد وبيان طرق المدن في الغرب كله فيقولون في المدينة او البلد ولو كانت بعيدة * بينها وبين تيهرت كذا وكذا مرحلة او ميلا مثلا وكأنها لشهرتها كانت معلومة لكل احد والله اعلم

﴿ العلماء المنسوبون الى تيهرت ﴾

وينسب اليها من العلماء والأدباء والشعراء والعباد من الاباضية وغير الاباضية الذين اخذوا العلم بها أو نزلوها ايام بني رستم أو بعدها ما نحتاج في حصره الى تطويل *

﴿ علماء الاباضية ﴾

أما الاباضية منهم فيعدون بالألف ومن أراد معرفتهم فعليه بتاريخ الشماخي رحمه الله اذ هو حضيرة الاولياء وروضة العلماء وان لم يحصرهم هو أيضاً الا انه أتى بأغلب مشاهيرهم وان لم ينبه على ذلك ولم يخصص له باباً * ونخص ﴿ منهم ﴾ بالذكر هنا ذلك الشيخ الجليل العلامة النبيل ابا يوسف يعقوب ابن سيلوس الطرفي السدراتي رحمه الله الذي قال فيه العلامة ابو العباس كما في السير العالم الفقيه * الفطن النبيه * اليقظان الذكي * الورع الزكي * ذو الجهادين الاكبر والاصغر * والاجتهادين المصلى والدفتر * كانت قراءته على الائمة بتاهرت قال له ابنه اوصني فقال له ما أراك تقبل فتردد عليه ثلاثة ايام ولما رآى جده قال له ﴿ ونعمت الوصية ﴾ لا يكن ندبك الناس الى الخير أوكد من ندبك نفسك * ولا يكن غيرك اسبق الى الخير منك *

وكن للناس كالميزان * وكالسيل للادران * وكالسماء للماء *

وكان رحمه الله ذا رأي صائب ونصيحة مخلصة مشهوراً بالمعروف موسوماً بالسخاء يقصده المحتاجون فيسدد أحوالهم ويستشيره الحائرون فيحسن دلالتهم وقد ذكر الشماخي رحمه الله ان رجلاً من اهل دمر قصده في جماعة يطلب منه الاعانة ولما رأى ان الكثير ربما يجحف به حيث كان القحط عاما والقليل لا يجديه نفعا أمره ان يذهب الى السوق ويستفهم عن ارخص شيء فيه ويرجع اليه فذهب وسأل ولما عاد قال له لم أجد أرخص من الابل فأقرضه اربعة وعشرين ديناراً فاشترى بها ثلاثة جمال وأحسن مرعاها الى أن تحسنت حالتها فباع جملا منها بأمر الشيخ بأربعة وعشرين ديناراً دفعها للشيخ وباع آخر واشترى بثمنه ما لزمه من الطعام وغيره وحمله على الثالث ورجع الى اهله على احسن حال باحسان الشيخ وتدبيره وقد ولي القضاء بمدينة وارجلان فعدل في الحكم وأنصف في الفصل وله مصلى معروف باجابة الدعاء يزار رحمه الله ورضي عنه *

﴿ومنهم﴾ التقي الورع العلامة ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ قاضي الامام ابي اليقظان *

﴿ومنهم﴾ ابنه العلامة ابو محمد عبد الله قاضي الامام ابي حاتم وسيأتي ذكرها *

﴿ومنهم﴾ الخطباء الخمسة المشهورون الآتي ذكرهم في كلام ابن الصغير

﴿ومنهم﴾ الزاهد المتقشف الشيخ ابو سهل صاحب التآليف الكثيرة باللغة البربرية فانه كان افصح أهل زمانه فيها وكان ترجمانا للامام أفلح ثم للامام يوسف ومنزله قيل بعرسى الخرز وقيل بعرسى الدجاج بجزائر بني مزغني

قال في السير قال ابو العباس الثالث من أحواله اهمال الدمع والتلهف على فائت ليس له رجوع فجل هجيره في مراثي الدين واهله والبكاء عليه بوابل الدمع وطله فدونت الدواوين من كلامه اه فكانت اثني عشر كتابا وعظا وتذكيرا وتخويفاً وتاريخاً لأهل الدعوة احترقت كلها لما اخذت قلعة بني درجين ففقدت كما وقع لكتب اهل المذهب كلها والأمر لله *

(ومنهم) العلامة الشهير بالعدل الشيخ ابو عثمان سعد بن ابي يونس عامل الامام أفلح على قنطرار *

(ومنهم) رفيقه في طلب العلم من الامام بتيهرت ذلك الفهامة الذكي الذي كان يضرب بحفظه المثل نفاث بن نصر الذي ضل في بدئ أمره عن الحق ومال وتاب في آخر عمره على ما يقال وستأتي أخباره مع الامام ان شاء الله *

* ومن شعرائها النبغاء صاحب القصيدة الآتية القائل فيها *

(سقى الله تيهرت المنى وسويقة بسا كنها غيثا يطيب به المحل)

(ومنهم) الولي الصالح الزاهد معدن العلم والعمل أبو مرداس التبرستي حامل المذهب عن الامام عبدالوهاب رحمهما الله صاحب المناقب والكرامات المشهورة في الكتب *

(ومنهم) العلامة المشهور بالزهد والورع عيسى بن فرناس الذي ذكر ابن الصغير أنه كان يجلس أمام الامام أبي اليقظان *

(ومنهم) العلامة محمود بن بكر وهو من خواص الامام أبي اليقظان أيضا وسيأتي كلام ابن الصغير فيه *

ومنهم المتكلم العظيم الشيخ عبد الله بن اللمطي الذي ذكره ابن الصغير

وأثنى عليه وقال الشماخي عند ذكرهما وكان الشيخان (عبد الله بن اللمطي ومحمود بن بكر) غاية في علم الكلام وكانا يردان على الفرق وينقضان مقالات المبتدعة وألفا كتباً في ذلك اه

ومنهم العلامة أبو عبيدة الأعرج قال فيه الشماخي رحمه الله * وكان غاية في العلم والعمل والورع والادب وقال فيه ابن الصغير المالكي * كلهم مقرون له بالفضل مسلمون له في الورع اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فما رأيت في أسود الرأس أخشع منه اه وله معه حكاية طويلة ستأتي

ومنهم الفقيه الكامل ابن الصغير * والفقيه البارع عبد العزيز بن الأوز الآتي ذكرهما في كلام ابن الصغير

المشكوك فيه

وأما الذين لم نحقق مذهبهم فمنهم ذلك العلامة الأديب صاحب النظم العجيب والانشاء الغريب المشهور في الشرق والغرب بين أرباب العلم والادب (وهو اما أباضي أو صفري على الغالب) بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي المتقدم الذكر القائل في حق (تيهرت)

ما أخشن البرد وريعانه * وأطرف الشمس (بتاهرت)

وهو القائل مادحاً أبا العيش عيسى بن ادريس العلوي حاكم مدينة جراوة المجاورة لتاهرت على ثلاث مراحل منها

(سائل زواغة عن طعان سيوفه * ورماحه في العارض المتهلل)
(وديار نفزة كيف داس حريمها * والخيل تمرغ في الوشيج الذبل)
(غشي مغيلة بالسيوف مذلة * وسقى جراوة من نقيع الحنظل)

قال ذلك المراكشي في تاريخه وذكر أنه ولد ونشأ (بتيهرت) ورحل الى الشرق سنة ٢١٧ وهو حدث السن (أي في دولة الامام افلح ولعله ذهب هاربا على ما يؤخذ من أبياته التي قالها يستعطف بها الامام أبا حاتم كما سيأتي)

فسمع بالمشرق من العلماء والفقهاء وكان عالما بالحديث وتمييز الرجال وشاعراً مفلقا ومدح المعتصم ووصله بصلات جزيلة واجتمع بحبيب وصريع ودعبل وعلي بن الجهم وغيرهم من شعراء العراق. وله أبيات الى المعتصم يحرضه فيها على دعبل وهي

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه ويمشي على الارض العريضة دعبل
أما والذى أرسى ثبيراً مكانه لقد كادت الدنيا لذاك تزلزل
ولكن أمير المؤمنين بفضله يهم فيعفو أو يقول فيفعل

فعاتبه حبيب فيه وقال له قتلته والله يا بكر فقال في قصيدته هذه

وعاتبني فيه حبيب وقال لي لسانك محذور وسمك يقتل
واني وان صرفت في الشعر منطقي لأ نصف فيما قلت فيه وأعدل

اه

* * *

ولما عاد من المشرق قصد القير وان فوشي به الى صاحبها فهرب وكان معه ابنه عبد الرحمن فاعترضهما في الطريق بعض اللصوص فجرحوا بكراً وقتلوا ابنه وذهب هو في طريقه الى ان وصل (تيهرت) كئيباً حزينا يندب ابنه عبد الرحمن هذا * وكانت له فيه مراث كثيرة تسيل الدموع وتجرح الفؤاد لما بها من الألفاظ المؤثرة الدالة على عظيم أسفه وتلهفه عليه ومنها قوله

(بكيت على الأحبة اذ تولوا * ولو أني هلكت بكوا عليا)

(فيا أسفي بقاؤك كان ذخراً * وفقدك قد كوى الأكباد كيا)
(كفى حزناً بأني منك خلو * وأنك ميت وبقيت حيا)
(ولم أك آيساً فيئست لما * رميت الترب فوقك من يديا)
(فليت الخلق اذ خلقوا أطاعوا * وليتك لم تكن يا بكر شيا)
(تسر بأشهر تمضي سراعا * وتطوى في لياليهن طيا)
(فلا تفرح بدنيا ليس تبقى * ولا تأسف عليها يا بنيا)
(فقد قطع البقاء غروب شمس * ومطلعها علي يا أخيا)
(وليس الهم يجلوه نهار * تدور له الفراقد والثريا)

وله في الزهد والمواعظ وذكر الموت وأهواله شعر كثير وهو في قوة التأثير والقبول بمكان * ومن ذلك مارواه عنه ابن الاباد وهو قوله *

(لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها)
(فيا أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يزال يسوقها)
(الى مشهد لا بد لي من شهوده ومن جرع للموت سوف اذوقها)
(ستا كلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عنها طيبها وخلوقها)
(مواطن للقصاص فيها مظالم تؤدى الى أهل الحقوق حقوقها)
(سحاب المنايا كل يوم مظلة فقد هطلت حولي ولاح بروقها)
(وللنفس حاجات تروح وتغتدي ولكن أحاديث الزمان يعوقها)
(تجهمت خمساً بعد سبعين حجة ودام غروب الشمس لي وشروقها)
(وأيدي المنايا كل يوم وليلة اذا فتقت لا يستطاع رتوقها)
(يصبح أقواماً على حين غفلة ويأتيك في حين البيات طروقها)

ومن كلامه في الاعتبار بالنظر الى القبور والتفكر فيمن مضى ممن

انشبت فيهم المنية أظفارها ما حكاه ابو بكر اللباد حيث قال دخلت على بكر بن حماد فقال اكتب فأملى علي لنفسه قوله

(زرنا منازل قوم لن يزورونا انا لفي غفلة عما يقاسونا)
(لو ينطقون لقالوا الزاد ويحكم حل الرحيل فما يرجو المقيمونا)
(الموت أجحف بالدنيا فخربها وفعلنا فعل قوم لا يموتونا)
(فالآن فابكوا فقد حق البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكونا)
(ماذا عسى تنفع الدنيا مجمعها لو كان جمع فيها كنز قارونا)

اقول ولعله قال هذا لما حل ﴿بتيهرت﴾ بلده ما حل من قضاء الله كما يفهم من بعض كلامه عند التأمل ومن كلامه ايضاً قوله

(لقد جفت الاقلام بالخلق كلهم فمنهم شقي خائب وسعيد)
(تمر الليالي بالنفوس سريعة ويبدؤ ربي خلقه ويعيد)
(أرى الخير في الدنيا يقل بكثرة وينقص نقصاً والحديث يزيد)
(فلو كان خيراً قل كالخير كله وأحسب ان الخير منه بعيد)

﴿ وقال ايضاً مذكراً ولقد أحسن وأصاب ﴾

(قف بالقبور فناد الهامدين بها من أعظم بليت منها وأجساد)
(قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصال وصاروا تحت اطواد)
(راحوا جميعاً على الأقدام وابتكروا فلن يروحوا ولن يغدو لهم غاد)
(والله والله لوردوا ولو نطقوا اذاً لقالوا التقى من أفضل الزاد)
(فبرز القوم وامتدت عساكرهم كيما يوافوا لميقات وميعاد)
(ما بالقلوب حياة عند غفلتها والله سبحانه منها بمرصاد)
(بينا نرى المرء في لهو وفي لعب حتى نراه على نعش وأعواد)

(هذي أبا مالك دنيا منغصة ... فيها حرارات احشاء وأكباد)
(وكلنا واقف منها على شفر ... وكلنا ظاعن يحدي به الحادي)
(في كل يوم نرى نعشا نشيعه ... فرائح فارق الاحباب أو غاد)
(الموت يهدم ما نبنيه من بذخ ... فما انتظارك يابكر بن حماد)

ذكر هذا صاحب كتاب رياض النفوس*

وكان نقله من نسخة عتيقة جداً لانقط فيها على الاصطلاح القديم مع رداءة الخط فلا يفهم الا بالقوة والله أعلم

وقال في احمد بن القاسم بن ادريس حاكم مدينة (كرت) بالمغرب

(ان السماحة والمروءة والندى ... جمعوا لأحمد من بني القاسم)
(واذا تفاخرت القبائل وانتمت ... فافخر بفضل محمد وبفاطم)
(وبجعفر الطيار في درج العلا ... وعلي العضب الحسام الصارم)
(اني لمشتاق اليك وانما ... يسمو العقاب اذا سما بقوادم)
(فابعث الي بمركب أسمو به ... علي أكون عليك اول قادم)
(واعلم بأنك لن تنال محبة ... الا ببعض ملابس ودراهم)

فبعث اليه ببغلة سنية وصلة جزيلة وكان له فيه من مثل هذا كثير على

ماقاله صاحب البيان

وقد ذكره العلامة محقق المعقول والمنقول ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني رحمه الله في سلسلة حديث ساقه في كتابه الدليل والبرهان حيث قال وروى عبد الوارث. بن سفيان ويعيش بن سعيد قالا اخبرنا قاسم بن اصغر قال اخبرنا بكر بن حماد الخ ولم يتعرض لمذهبه

وذكر المراكشي ان وفاته كانت سنة ٢٩٦ بقلعة ابن حمة بجوفي مدينة تيهرت وهو ابن ست وتسعين سنة والله أعلم *

علماء غير الاباضية

واما علماء غير الاباضية فينسب منهم الى تاهرت جماعة نذكر هاهنا بعض المشهورين منهم نقلا عن مؤرخي افاضل المالكية فنقول

﴿ منهم ﴾ العلامة زكرياء بن بكر بن احمد الغسالي التاهرتي قال المؤرخ الفرضي في تاريخ علماء الاندلس عند ذكر الغرباء لما تكلم عليه * يعرف بابن الأشج والأشج هو أحمد (والده) ويكنى ابا جعفر من أهل تيهرت ه يكنى ابا يحي دخل الاندلس مع ابيه واخيه سنة ٣٢٦ الى ان قال * قال لي ولدت بتيهرت سنة ٣١٠ اه وذكر أنه توفي في رمضان سنة ٣٩٣ وذكره صاحب بغية الملتمس وخالفه في تاريخ وفاته مخالفة فاحشة ان لم يكن تحريف في احدى النسختين قال في صحيفة ٢٧٩ زكرياء بن بكر بن الاشج التاهرتي توفي بقرطبة سنة ٢٤ه والنسختان من مطبوعات الافرنج فتأمل وبمثل هذا يتأكد على طالب الحق ان لا يعول على اقوال المؤرخين فيما يحتاج الى النظر والتدقيق الا بعد امعان الفكر

﴿ ومنهم ﴾ العلامة عبد الله بن حمود بن هلوب بن داوود بن سليمان ذكره المؤرخ ابن بشكوال فى الصلة فقال في صحيفة ٢٩٣ يكني ابا محمد طنجي فقيه موضعه وأصله من تاهرت اه

﴿ ومنهم ﴾ الأديب ابن هرمة وقد جاء قاصداً الاندلس فسمع بيت شعر لأحد علمائها فترك العبور اليها وبقي بتاهرت كما قاله صاحب البغية

﴿ ومنهم ﴾ ابو الطيب محمد بن احمد بن ابراهيم بن ابي بردة الشافعي البغدادي قال العلامة الفرضي ووصل ابو الطيب الى الاندلس سنة (٣٦١) فأكرمه أمير المؤمنين المستنصر بالله وامر باجراء النزل له • الى ان قال وكان ينسب الى (مذهب) الاعتزال ورفع ذلك الى السلطان فأمر باخراجه من البلد وكان في رجب سنة (٣٧٣) فصار بتيهرت عند بنت له اه

﴿ ومنهم ﴾ العلامة محمد بن عيسى بن حنين التميمي القاضي نزيل سبتة ذكر العلامة ابن الأبار في معجمه بصحيفة ٩٦ انه انتقل مع ابيه من فاس الى سبتة وأصله من ﴿ تاهرت ﴾ ويعرف بابن الدقاق

﴿ ومنهم ﴾ العلامة عبد الله بن محمد بن عيسى بن حسين التميمي التاهرتي نزيل سبتة ذكره ابن الأبار في الصلة منسوباً الى ﴿ تاهرت ﴾ بصحيفة ٥٢٦)

(ومنهم) العلامة الحسن بن علي بن طريف ابو علي النحوي نزيل سبتة قال ابن الأبار في المعجم بصحيفة ٧٢ يعرف بالتاهرتي روى عنه القاضي عياض

(ومنهم) العلامة قاسم بن عبد الرحمن تلميذ ابن حماد نسبه المؤرخ الضبي الى (تيهرت) وقال فى صحيفة (١٨٨) من البغية دخل الاندلس و كان من جلساء بكر بن حماد التاهرتي وممن اخذ عنه قاله ابو محمد بن حزم اه وذكر ابن

بشكوال في الصلة انه من اهل الحديث

﴿ ومنهم ﴾ ابنه العلامة ابو الفضل قال ابن بشكوال في الصلة ومن الغرباء احمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز يكنى أبا الفضل الى أن قال مولده يوم الثلاثاء عند انصداع الفجر في اول ربيع الاول سنة (٣٠٩) وولد (بتاهرت) الى أن قال وكان ابوه محدثا قال ابو الفضل بدأت بطلب العلم سنة (٣٣٤) وانا ابن (٢٥) سنة ودخلت الاندلس سنة (٣١٧) وانا ابن ثمانية أعوام وتوفي في جمادى الآخرة سنة « ٣٩٥ » اه وذكره الضبي في البغية أيضاً وقال توفي سنة « ٣٩٦ » فزاد سنة على ابن بشكوال وأثنى عليه وقال وقد روي عنه ابو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن ابي حاج فقيه القيروان وهو روى عن منذر ابن سعيد القاضي

﴿ ومنهم ﴾ ابن الخزاز وقد سافر الى البصرة المدينة المشهورة بالغرب وهي من فاس على اربع مراحل فأعجب بجمال نسائها كما ذكره الحموي نقلا من كتاب المسالك حيث قال ونساء البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب اجمل منهن قال احمد بن فتح المعروف بابن الخزاز التيهرتي يمدح ابا العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم

﴿ قبح الاله الدهر الا قينة ﴾

﴿ بصرية في حمرة وبياض ﴾

(الخمر في لحظاتها . والورد في وجناتها والكشح غير نفاض)

(في شكل مرجي ونسك مهاجر وعفاف سني وسمت إباض)

(تيهرت) أنت خلية وبرة عوضت عنك ببصرة فاعتاض)

(لا عذر للحمراء في كلفي بها ﴿ أو تستفيض بأبحر وحياض)

وساق المراكشي الحكاية بعينها الا انه أتى بدلاً من صدر البيت الاول بقوله

﴿ ما حاز كل الحسن الا قينة ﴾

وأتى بدلاً من عجز البيت الثاني بقوله

﴿ وجنانها هيفاء غير مخاض ﴾

وهما أرق وألطف من الاولين فيما يظهر

﴿ ومنهم ﴾ سعد بن أشكل التيهرتي القائل فيما تقدم يتشوق الى مدينة ﴿ تيهرت ﴾ مسقط رأسه ويهجو مدينة تنس داروفاته *

﴿ وأصبحت عن ﴿ تيهرت ﴾ في دار غربة ﴾

﴿ وأسلمني مر القضاء من القدر ﴾

الى آخر الأبيات

﴿ ومنهم ﴾ العلامة السلفي قال الحموي والولجة ناحية بالمغرب من اعمال ﴿ تاهرت ﴾ نسب اليها السلفي ابو محمد عبد الله بن منصور التاهرتي قال وكان من الفضلاء في الأدب والفقه وله شعر وكتب عني من الحديث كثيرا اه

مدينة سجلماسة

ولما انتهى الكلام بقدر الامكان على ﴿ تيهرت ﴾ وما نسب اليها من البلاد وما دخل في دائرتها ابان عمرانها بالاباضية تحت سيادة بني رستم لزم أن نأتي استطراداً بطرف مما وصف به المؤرخون مدينة سجلماسة قاعدة ملك بني مدرار التي كان بعض ملوكها اباضية كما سيأتي وكانت عامرة بالاباضية

حافلة بعلمائهم يؤمها الادباء ورجال العلم من اطراف البلاد للافادة والاستفادة كما يؤمون تيهرت * وقد تكلم عليها المؤرخون فقال المؤرخ الحموي (سجلماسة) بكسر اوله وثانيه وسكون اللام وبعد الالف سين مهملة * مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة ايام تلقاء الجنوب وهي في منقطع جبل درن وهي في وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها من شمالها جدد من الارض يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلا مد البصر * على أربعة فراسخ منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجاري * فيه من الأعناب الشديدة الحلاوة مالا يحدو فيه ستة عشر صنفا من الثمر ما بين عجوة ودقل وأكثر أقوات أهل سجلماسة من الثمر وعلتهم قليلة ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذى بمصر يبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثين دينارا واكثر كأرفع مايكون من القصب الذي بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونه بأنواع الأصباغ وبين سجلماسة ودرعة أربعة أيام واهل هذه المدينة من أغنى الناس واكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التى هي معدن الذهب ولاهلها جرأة على دخولها * وقال الادريسي في النزهة وأما (مدينة سجلماسة) فمدينة كبيرة كثيرة العامر وهى مقصد للوارد والصادر كثيرة الشجر والجنات رائقة البقاع والجهات * ولا حصن عليها وانما هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها كثير الماء يأتى اليها من جهة المشرق من الصحراء يزيد في الصيف كزيادة النيل سواء ويزدرع بمائه حسبما يزرع فلاحو مصر ولزراعته اصابة كثيرة معلومة وفي بعض الاعوام الكثيرة المياه المتواترة بخروج هذا النهر ينبت لهم ما حصدوه فى العام السابق من

بذر وفي الا كثر من السنين اذا فاض النهر عندهم ثم رجع بذروا على تلك الارضين زرعهم ثم حصدوه عند تناهيه وتركوا جـذوره الى العام القادم فينبت ذلك من غير حاجة الى بذر زراعة ﴿وحكى﴾ الحوقلي أن البذر بها يكون عاماً والحصاد في كل سنة الى تمام سبع سنين لكن تلك الحنطة التي تنبت من غير بذر تتغير عن حالها حتى تكون بين الحنطة والشعير وتسمى هذه الحنطة (يردن تيزواو) وبها نخل كثير وانواع من التمر لا يشبه بعضها بعضاً وفيها الرطب المسمى بالبرني وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها صغار في غاية الصغر ولأهل هذه المدينة غلات القطن وغلات الكمون والكرويا والحناء ويتجهز منها الى سائر بلاد المغرب وغيرها وبنا آتها حسـنة غير أن المخالفين في زماننا هـذا أتوا على أكثرها هـدماً وحرقاً انتهى

وقال العلامة المقدسي ﴿ سجلماسة ﴾ قصبـة جليلة على نهر بمعزل عنها يفرغ في قبليها وهى طولانية نحو القبلة عليها سور من طين وسطها حصن يسمى المعسكر فيه الجامع ودار الامارة شديدة الحر والبرد صحيحـة الهواء كثيرة الثمار والاعناب والزبيب والفوا كه والحبوب والرمان والخيرات كثيرة الغرباء موافقـة لهم يقصـدونها من كل بلد ومع ذلك ثغر فاضل * برستاقها معادن الذهب والفضة وهم أهل سنـة وقوم ( ) جياد بها علماء وعقلاء لها باب القبلي باب الغربي باب غـدير الجزارين باب موقف زناتة وغيرها وهى في رمال اهـ

وقال صاحب المسالك ان سجلماسة مدينة عظيمة في جنوبي مدن بر العدوة متصلة بالصحراء الكبيرة من اكبر مدن المغرب واشهرها ذكراً

في الآفاق وعليها نهر كبير ذات قصور مشيدة وأبنية عالية وأبواب رفيعة صحيحة الهواء لمجاورة البيداء الى أن قال وبها نخل كثير ثمره على اصناف يحمل منه الى عامة الغرب ويفضل ثمره ما سواه حتى يضاهى به تمر العراق وتمرها يضرب به في المغرب المثل ولها بساتين خضرة نضرة اه وكان لها أعمال واسعة ومدن كبيرة مشهورة ذكر العلامة البشاري منها في الحجاب هذه درعة * تاد نفوست * اثرايلا * ويلميس * حصن ابن صالح * النحاسين * حصن السودان * هلال * إمصلى * دار الامير * حصن برارة * الخيامات * تازروت * اه

وقد تكلم عليها المؤرخون فقال الادريسي * في درعة ﴿ ودرعة ﴾ ليست بمدينة يحوطها سور ولا حفير وانما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة يتناول ذلك فيها جمل واخلاط من البربر وهي على نهر سجلماسة النازل اليها وعليه يزرعون غلات الحناء والكمون والكروياء والنيلج ونبات الحناء يكبر بها حتى يكون في قوام الشجر يصعدون اليه ومنها يؤخذ بذره ويتجهز به الى كل الجهات ونبات الحناء لا يوجد بذره الا في هذا الاقليم فقط ولا يوجد بغيره من الاقاليم البتة وأما النيلج المزروع في درعة فليس طيبه هناك ولكنه يتصرف به في بلاد الغرب لرخصه وربما خلط مع غيره من النيلج الطيب ويباع معه اه

وقال العلامة البناء * ودرعة * لها رستاق واسع ومنابر على نهر جرار نحو ٦ ايام و (عريش) رستاق فيه منابر وسائر المدن محيطة بها في الرمال عامرات ومعادن الفضة بتازروت ومعدن الذهب بين هذه الكورة وبلد

السودان وليس في العالم اصفى ولا أوسع منه اه وهكذا تكلموا على غيرها من المدن والله أعلم

وقد تلقى العلوم بسجلماسة رجال صاروا الدين حياة وللامة هداة فسارت بذكرهم الركبان وافتخر بوجودهم الزمان ولو لم يكن منهم الا ذلك الطود الفاخر * والبحر الزاخر * لسان الحكم * ونبراس الظلم * الشيخ العلامة ابو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي لأغناها فخراً * كما خلد لها ذكراً فقد رحل اليها مع العلامة النحرير استاذه ابن الجمع من علماء اباضية الشرق وبحارها العظام *

ارتحل هذا الاستاذ من المشرق الى المغرب وقصد سجلماسة (قال الشماخي رحمه الله وكانوا (يعني أهلها يومئذ من اهل الدعوة اه) فأقام بها خير مرشد وأفضل استاذ حتى ابتهجت به محافلها وتنورت مجالسها وعمرت بالعلوم ربوعها ثم سار الى رحمة مولاه تاركاً من تلامذته علماء راسخين ادباء مهذبين ﴿منهم﴾ ذلك الذكي الماهر الأمير ابو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الذي طغى وتجبر في آخر أمره حتى استوجب براءة المسلمين منه كما سنأتي بحكايته بعد هذا ان شاء الله * ذكر هذا صاحب السير رحمه الله نقلا من تاريخ أبي زكرياء رضي الله عنه وقال في صحيفة ٢٧٩ لحضره (اي الاستاذ ابن الجمع) الموت هنالك (اى في سجلماسة) وأوصى بكتبه لأبي الربيع فرجع الى قصطالية (أى توزر ونفطة وما يليهما من بلاد الجريد) واشتهر في العلوم واضطربت قصطالية كلها من اجله واختلف أهل سجلماسة بعد أن خرج من عندهم في مسألة كادوا يقتتلون عليها فاتفق رأيهم على ان يرسلوا امينين الى ابي الربيع ليعملوا بما يجيبهم به فأدركه الرسولان واجابهم فأخذوا بما قال

واصطلحوا اه وممن اخذ عنه التفسير والفقه واللغة والفنون كافة غير علم الكلام ذانك الامامان النيران نخر زمانهما وزهرة عصرهما ابو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلى بن زلتاف رحمهما الله وسيأتي خبرهما والله اعلم

عود الى المقصود بالذات

هذا ولنرجع الى ما كنا بصدده من أمر الامامة بالمغرب وظهورها فيه فنقول (ثم اجتمع اهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وقالوا قد علم ما حل بنا من الشتات والافتراق بعد وفاة امامينا ومبارحتنا طرابلس وقد اجمعنا على انتخاب مكان غيرها يليق بمنصب الامامة ويكون ملجأ للاسلام واذ رزقنا ولله الحمد بهذا المكان وتم تحصينه على حسب المرام وجب نصب امام اذ لا يستقيم أمرنا ولا ينتظم شأننا ولا تجتمع كلمتنا الا بامام نرجع اليه في احكامنا ومشكلاتنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم فينا ما اوجبه الله ورسوله من حدود الشروع الشريف ويظهر الدين ويؤمن السبل ويحقن الدماء ويعضد قنطرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعدل في الرعية ويوسع دوائر العلوم فان ذلك كله مما لا يسعنا التفريط فيه والتواني اذ كنا ولله الفضل في درجة القيام بالامامة ولدينا من القوة عدداً وعدة وعلما ماهو كاف لحمايتها والذود عن حوضها مع الاعتصام بالله تعالى»

فتبادلوا الرأي فيما بينهم بقلوب سليمة من داء الغش والنفاق مطهرة من شوائب كدورات الشقاق معطرة بذكي مسك الايمان منورة بأنوار الهداية والتوفيق والاذعان وذلك في القرن الثاني من الهجرة عام (١٦٠) ستين وقيل اثنين وستين ومائة

﴿ خلافة الامام عبد الرحمن رضي الله عنه ﴾

فاستقر رأيهم بعد طول مذاكرة على نصب الامام الولي ناشر لواء العلم والدين عبدالرحمن بن رستم رحمه الله لما رأوه فيه من حميد الخصال ومجيد الاعمال ولعزم المسلمين على تقديمه بطرابلس لولا امتناعه ولرضاء الامام ابي الخطاب رحمه الله عنه اذ ولاه قاضيا ثم عاملا كما مر وقد تكلم العلامة المؤرخ ابن الصغير المالكي المغربي في تاريخه على خلفاء بني رستم (بتيهرت) كلاما يروح الأنفس ويشفي الغليل نأتي ببعض ما وقفنا عليه منه مع الأسف على ما فقد ولم نعثر له على خبر كلما بحثنا عنه ﴿قال﴾ عند ذكره لهذا الامام الجليل مانصه «(ثم نهضوا اليه بأجمعهم وقالوا يا عبدالرحمن رضيك الامام (ابوالخطاب) في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على انفسنا فقد علمت انه لا يصلح امرنا الا امام نلجأ اليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا فقال لهم ان اعطيتموني عهد الله وميثاقه على الطاعة فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم فاعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم وقدموه على انفسهم والقوا اليه بأيديهم (قال ابن خلدون في ١٢١ من ٦ وبايعوه بالخلافة) فسار فيهم سيرة جميلة حمدها أولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه فى احكامه حكماً ولا في سيره سيرة وسارت بذلك الركبان الى كل البلدان وكانت له قصص حكوها عنه لا يمكن ذكرها الا على وجهها وأن انحرى فيها الصدق ولا احرفها عن معناها ولا ازيد فيها ولا انقص منها اذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس في شيم ذوي المروآت ولا من اخلاق ذوي الديانات وان كنا للقوم مبغضين وليسرهم كارهين اهـ

ثم شرع في بيان تلك القصص حسبما وعد الا أن في عباراته من التطويل

وبعض التكرار ما هو معزوف من تآليف اغلب المتقدمين فخذها مني ايها القارئ مقتبسة من كلامه بعضا باللفظ وبعضا بالمعنى مشيرا الى ماكان بلفظه خالصا الأمر مابكلمة (قال) والى ماكان باللفظ تارة وبالمعنى اخرى مع اضافة شئ نزر من كلام غيره مما له المام بالمقام بلفظة (ممزوج) تنشيطا للنفس بالتفنن فى الاسلوب وطلبا للاختصار بطرح المكرر مع كمال التحري والله على ما اقول وكيل *

﴿ قال ﴾

لما ولي عبدالرحمن بن رستم ما ولي من امور الناس شمر مئزره واحسن سيرته وجلس في مسجده للارملة والضعيف لايخاف في الله لومة لائم وطار صيته فى اطراف الارض شرقا وغربا حتى اتصل ذلك باخوانهم اهل البصرة وغيرها من بلاد الشرق اه فتباشروا وقالوا قد ظهر بالمغرب امام ملأه عدلا وسوف يملك الشرق ويملأه عدلا ايضافأنشطوا الامداده وجدوا لاعانته ورب يوم يأتي يشملكم فيه عدله ويعمكم حكمه ان قدر الله بذلك واراد بكم خيرا

﴿ الاعانة الاولى من اهل المشرق لامام المغرب ﴾
(امتحانا واستكشافا لأحواله)

(ممزوج) وعند ذلك دبت فيهم الغيرة وسري فيهم روح النشاط وتسابقوا الى البر فجمعوا أموالاً عظيمة ووجهوها اليه مع نفر من ثقاتهم وقالوا لهم انهضوا بهذه الاموال حتى تردوا عاصمة امامته فاذا وجدتم الأمر كما نقل الينا من حسن السيرة واقامة العدل بالكتاب والسنة واعلاء كلمة الدين

فادفعوها اليـه ليستعين بها على ذلك (والا فتفرقوها فى فقراء المسلمين هناك) فسار القوم على بركة الله الى أن بلغوا مدينـة ﴿ تيهرت ﴾ ونزلوا بالمصلى الذي به قبر مصالة اليوم ( ) فأناخوا جمالهـم ووضعوا أحمالهـم ودخلوا من باب الصفا يسألون عن دار الامام الى ان اهتـدوا اليها (وكانوا يظنون انها على شيء من العظمة كديار ملوك الشرق) ولما وصلوها وجدوها دار زاهد ورع ووجدوا عند الباب غلاما يعجن طينا ويناوله لآخـر (هو الامام) يصلح به بعض خلل فيه فسلموا على الغلام وطلبوا منه ان يستأذن لهم على الامام ويخبره بانهم رسل اخوانه المشارقة اليه فرفع الغلام رأسه نحو السطح وقد علم ان الامام سمع كلامهم فأشار اليه أن يصبرهم قليلا فصبرهم الى أن نزل وغسل ما كان بيديه من الطين وجـدد الوضوء و اذن لهم فدخلوا فوجدوا رجلا جالسا على جلد فوق حصير وما في البيت شيء سوى سدة ينام عليها وسيف ورمح وما اشبـه ذلك من السلاح الوقتي وفرس فسلموا عليه وبلغوه سلام اخوانه فحياهم بأحسن تحية وامر الغلام فاحضر مائدة عليها قرص سخنـة وشيء من سمن وملح فهشم القرص في السمن وقال على اسم الله ادنوا وكلوا فتقدموا اوا كل معهم اكراماً لهم وهضما لنفسه ثم قال ما وراءكم وما الذى جاء بكم ايها الاخوان فقالوا دعنا نخلو ببعضنا ساعة ثم نكلمك فأخلى لهم المكان وقال بعضهم لبعض يكفينا عن السؤال عنه ما رأيناه منـه مشاهدة من اصلاحه لداره بنفسه ومن طعامه ولباسـه وحلية بيته فما لنا الا ان نسلم له المال ولا نستشير فيه احدا ثم أقبلوا عليـه وقالوا له اعزك الله بعثنا اليك اخوانك بثلاثة احمال من المال تتقوى بها على عملك وتصلح بها بعض شأنك (فتفضل علينا بقبولها) فقال هـذه الصلاة قد حضرت

ونحن ذاهبون الى المسجد الجامع فنعلم المسلمين بما جئتم به حتى نرى رأيهم فيه فقالوا الأمر في ذلك اليك وخرجوا ولما اتوا المسجد وأدوا الفريضة نادى منادي الامام قائلا لتذهب العامة وليتخلف من كل قبيلة وجوهها فخرج عامة الناس وبقي الوجهاء وأهل الشورى وعقدوا مجلسا ثم قال للرسل اخبروا اخوانكم بسبب مجيئكم وبما اتيتم به ولما اخبروهم استشارهم في امر المال فقالوا الرأي رأيك والامر أمرك ولكن هذا رزق ساقه الله الينا بطوع من اخواننا وبدون سؤال منا والمناسب ان وافقتنا ان تحضره بين يديك وتجعل منه ثلثا في الكراع وثلثا في السلاح وثلثا في فقراء المسلمين وضعفائهم فقال للرسل قد سمعتم رأي اخوانكم فما تقولون فقالوا سمعنا واطعنا واحضروا المال في الحال وما خرجوا من هناك حتى قسم على الوجه المذكور (وبعد ان اقامت الرسل ما اقامت من المدة بين اكرام واحترام توجهت حامدة تلك السيرة شاكرة ذلك الصنيع) وبعد وصولهم المشرق اخبروا اخوانهم بما رأوه مما أدهش عقولهم وحير افكارهم من زهد الامام واستقامته وعدله فازدادوا بذلك فرحا واستبشارا *

ثم شرع الامام في شراء الكراع والسلاح وقوى بيت مال المسلمين بالذخائر الحربية ومهمات الدفاع الوقتية وتقوى الضعيف وانتعش الفقير وتحسنت الاحوال وسارت الركبان بأخبارهم في الآفاق ودخل الرعب كل من اتصل به خبرهم من الملوك والامراء على اختلاف مراتبهم وأنسوا من انفسهم قوة دعتهم الى توسيع نطاق العمران والتمدد في الاقطار لتمهيد البلاد وبسط العدل ونفخ روح الاخوة والاتحاد بين أفراد العباد فشرعوا في العمارات والبناء واحياء الموات وغرس البساتين وأنواع الاشجار واجراء

الانهار وسوقها من مكان الى مكان واتخاذ المطاحن عليها والمستغلات . وتفننوا في الصنائع وتسابقوا في ميادين المعارف وفنون العلم ونصبوا لواء الأمن والهناء وطمحت انظارهم الى اخضاع كل من ناواهم وحاد عن جادة الانصاف من اولي الامارات الخارجة عنهم فمهدوا لذلك تامين السبل وتسهيل المواصلات وفتح ابواب التجارة حتى استمالوا الالباب وذللوا الصعاب *

﴿ قال ﴾

واتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصي الأقطار فقل احد أن ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بيتا بين اظهرهم لما يراه من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وامانه على نفسه وماله حتى لاترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين واستعملت السبل الى بلاد السودان والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الامتعة والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار قابلون اهـ بلفظه *

اقول ولهذ والله اعلم يوجد بالمغرب وخصوصاً بجبل نفوسة اماكن وقبائل كثيرة تسمى باسماء اماكن في المشرق ولعلهم اتوا فى ذلك الزمن من المشرق * والله اعلم

فمن ذلك قبيلة الجمران الاباضية بجبل فسطو القاطنة بقريتهم المسماة بهذا الاسم وفيها مقام ابي نوح المرساوني صاحب الكرامات الظاهرة المذكور في تاريخ الشماخي رحمهما الله

ومن ذلك الموضع المعروف بجزوي فى ظاهر جبل فساطو أيضاً * ومن ذلك قبيلة طرميسة التي منها الشيخ عيسى الطرميسي العلامة المشهور فى السير وهي الآن فى قرية صغيرة علي رأس جبل بين بلدة (جادو) (وتاردية) ومن ذلك الموضع المسمى بجندوبة بناحية ككلة وهو جبل صعب المراقي جداً بجنب جبل يفرن لناحية الشرق يتحصن فيه الثائرون على الملوك فى تلك الجهات من قديم * ومن ذلك جبل غريان العامر الآن بقبائل مالكية المذهب خرجوا عن مذهب الاباضية أيام عمهم الجهل وانقطعت منهم العلماء والمرشدون وذلك فى عصر الشيخ الجليل العلامة اسماعيل بن موسي الجيطالي من ناحية فساطو مؤلف كتاب القناطر وكتاب قواعد الاسلام وغيرهما وكان له معهم فى هذا الباب كلام * وغير هذا من الاماكن كثير لو تتبعناه لخرجنا عن موضوع كلامنا والله أعلم

الاعانة الثانية من أهل المشرق لامام المغرب عبد الرحمن بن رستم

ممزوج

ثم فى العام الثالث من رجوع الرسل الى البصرة اجتمعت الاباضية بالمشرق وعنصرهم بالبصرة وراسلوا من لم يمكنه الاجتماع بهم وقالوا ان أخبار التقدم فى الاستقامة عن هذا الامام لازالت شائعة ومحاسنه مستفيضة وعدالته ذائعة فهو جدير بأن يكون فى المغرب خلفاً عن الامام أبي بلال وأبي حمزة المختار بالمشرق فلا تدخروا عنه مالا ولا تحبسوا عنه عطاء وأعينوه بكل ماقدرتم عليه اذ بالمال (مع العلم والعدل) تشد أركان الدولة وبه يوطد عماد

الدين وبه تملو كلمة الاسلام وأهله ولكم في ذلك الشرف العاجل والثواب الآجل *

فما كان غير بعيد حتى اجتمع عشرة أحمال ذهباً فكلفوا بتبليغها الرسل الأولين لخبرتهم واطلاعهم على كنه الحال في تلك الاقطار حتى اذا رجعوا اليهم اخبروهم بما رأوه من الفرق بين الحالين فساروا من (مدينة) البصرة في كنف الله وحفظه الى أن وصلوا «مدينة تيهرت» ونزلوا بمنزلهم الاول ودخلوا المدينة فرأوا هيئتها قد تبدلت ولاح عليها رونق المدنية والملك وعلت وجوه أهلها سيماء الحضارة والرفاهية وبدت من محياهم آثار النعمة والغنى وازينت المدينة بقصور مشيدة ودور منظمة وأبنية مبهجة وقباب مرتفعة وأسواق مزدحمة ومساجد متعددة بمنارات عالية وحمامات متقنة يحيط بها بساتين متنوعة ومطاحن منتصبة على تلك الانهار الجارية واتخذ أهلها الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة (وقد مر أنها مدنها) وتنوعت الألبسة وتعددت اللغات والأزياء ورأوا مالم يخطر لهم ببال ولا سمعوه في مجيئهم الاول بحال من الاحوال .

وعند ذلك دار في خلدهم قائد الوهم وتسلطن عليهم سوء الظن بحال الامام فتسارعوا الى داره ليروا ماتغير من هيئته وحاله فألفوه بأحسن ماعرفوه به قبل ذلك من حسن المقابلة والتواضع والزهد في الدنيا مع الحزم الكامل في ادارة شؤون الامامة وداره كما هي عليه من قبل فاطمأنت خواطرهم بعض الاطمئنان الا أنهم خافوا أن يكون ذلك من ظواهر الامور فلم يخبروه بشي من شأنهم وخرجوا من عنده ليكتسبوا الحقيقة ممن يظنون فيه الصدق والامانة في القول فلاقوا رجالا يثقون بهم ويستأنسون اليهم فسألوهم عن الاحوال فأخبروهم بحسنها وبأن الامام على ماهو مشهور به

وأكثر من ذلك من حسن السيرة والعدل في الاحكام واعلاء شأن الاسلام وأهله ثم أخبروهم بما معهم من المال واستنصحوهم فأشاروا عليهم بتقديمه له وقالوا لهم انا لانراه يقبله منكم وان قبله لم يصرفه الا في مواضعه الشرعية وفي مستحقيه كأول مرة فأتوا الى الامام بعد ذلك وأخبروه بالمال وبحال من خلفوه بالمشرق من اخوانهم وماهم عليه من موالاته وولايته والدعاء له فسر بذلك وانشرح صدره ثم سألهم عن أحوالهم من حيث الظهور والكتمان والقوة والضعف والغنى والفقر في العامة (تلك الامور التي تهم كل حاكم سياسي وعاقل غيور) فاخبروه بضد ما أراده فاستاء لذلك ثم أمرهم بالحضور الى المسجد الجامع ليخبروا اخوانهم كأول مرة فحضروا ونادى منادي الامام بذهاب العامة وبقاء الوجوه من العلماء وأهل الشورى فكان ذلك كله في الحين وأمرهم باحضار المال واخبار اخوانهم فاحضروه واخبروهم وبلغوهم سلام اخوانهم ثم استشار جماعته في شأنه فقالوا له الأمر في ذلك اليك فافعل ما شئت فقال أما انا اذ رددتم الأمر فيه إليّ فلا أرى الا رده الى أربابه ليعينوا به ضعفاءهم وفقراءهم وما قبلنا منهم من قبل هذا ما أتوا به الا لما بنا اذ ذاك من الحاجة اليه وأما الآن فكانا ولله الفضل خاصتنا وعامتنا وبيت مالنا في غنى عن الاعانة وهم أحق به منا فليتفضلوا علينا برده ولهم منا مزيد الشكر فوافقوه كلهم على هذا واستصحبته الرسل لما في رده من المشقة والعناء لبعد المسافة فترددوا اليه المرة بعد المرة مع من التمسوا منه المساعدة من أهل الرأي المقربين عنده في قبوله فلم يساعدهم واذ ألحوا عليه آلى بأيمان مغلظة ان لا يقبل منهم دينارا ولا درهما ولما استيئسوا من امساكه ولوا به راجعين الى ان وصلوا البصرة .

﴿ قال ﴾

فعظم ذلك عند القوم خطر عبد الرحمن وزاد في قدره ورأوا أنه لو كان طالباً دنيا او مؤثراً لها لرغب في الاموال فمنذ ذلك رغب القوم في امامته ورأوا انها فرض عليهم ثم لم تزل الرسل تختلف وتطلع الاخبار والبلد زائدة والعمارة في ذلك كله نامية والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلأة وأصحاب شرطته والطائفون قائمون بما يجب وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم ويأتون أهل الشاة والبعير فيقبضون مايجب على أهل الصدقات لايظلمون ولا يظلمون فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعير فاذا صارت أموالا دفع منها الى العمال بقدر مايستحقون على عملهم ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم امر باحصاء الفقراء والمساكين فاذا علم عددهم أمر باحصاء مافي الاهراء من الطعام ثم أمر بجميع مابقي من مال الصدقة فاشترى منه اكسية صوف وجباب صوف وبراً وزيتا ثم دفع في كل اهل بيت بقدر ذلك ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما أشبه ذلك فيقطع منه لنفسه ولقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بامورِه مايكفيهم في سنتهم ثم ان فضل فضل صرفه في مصالح المسلمين اه بلفظه

﴿ دهاء هذا الامام وحسن تصرفه مع امارة مستقلة ﴾
{ عن تيهرت بعض ملوكها أباضية }

كان هذا الامام رحمه الله ذا بصيرة وقادة * وفكرة نقادة * موفقا في أعماله متدبراً في حركاته وسكناته مراعيا كل المراعاة بكل حذق عواقب

الامور متحرزاً بمباديها عن أواخرها شأن كل حكيم حنكته التجارب وتواردت عليه عوامل تقلبات الدهر وأحواله حتى انه لما توفي أبو حاتم (الامام قبله) بنواحي طرابلس سنة ١٥٥ كما مر وانتقضت نفزاوة بعد ذلك في أفريقية سنة ١٦١ وولوا عليهم صالح بن نصير (قال ابن خلدون ودعوا الى رأيهم رأي الاباضية) وانهزموا بعد وقائع متعددة ولم تقم لهم قائمة تروى عبد الرحمن في الامر وتثبت في الرأي فاستنتج ان السكون والمهادنة أولى بهم وأصلح لشأنهم حتى يندمل جرحهم ويلتئم فلهم وتشتد قوتهم وتجتمع قوائم فمال الى الدعة وجنح للسلم راكنا في ذلك الى استجلاب الخواطر واستعمال المجاملة مع المتاخمين لحدوده فكاتب صاحب القيروان على ان يكف نفسه عنه ويستقل كل بما لديه وما وليه من حيزه فقبل منه ذلك بكل ارتياح كما ذكره ابن خلدون اذ قال في ١١٣ من (٦) ورغب عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت سنة ١٧١ في موادعة صاحب القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فوادعه اه ومما يعد من سياسته وآرائه النافعة مصاهرته لمدرار بن اليا س أحد ملوك سجلماسة حتى آل الامر الى ماستسمعه أيها القارىء ان شاء الله .

﴿ خطبة رئيس الصفرية لأروى ﴾

﴿ كريمة الامام عبد الرحمن رحمه الله وأخبار ذلك ﴾

كانت الصفرية في نواحي سجلماسة في جموع كثيرة تفوق الحصر غير مستقلين بالامر ثم اجمعوا على تأسيس مدينة سجلماسة فكان ذلك سنة ١٤٠ أي قبل تأسيس ﴿ تيهرت ﴾ باربع سنين ودخل اكثر مكناسة المجاورة لهم في مذهبهم ولما قوي أمرهم وتألفت كلمتهم قدموا عليهم بالبيعة عيسى

ابن يزيد ثم قتلوه وولوا أبا القاسم سمكو بن واسول وكان أباضيا كما ذكر ابن خلدون في صحيفة ١٣٠ ثم مات سنة ١٦٧ فولوا ابنه الياس ثم خلعوه وولوا اخاه اليسع وهو الذي شيد سور سجلماسة وحصونها وعلى عهده استفحل أمرهم واشتد ملكهم وكان يرى في نفسه العظمة لكثرة الجنود والاتباع وله ابن يعرف بمدرار فلم ير له كفؤاً للمصاهرة غير الإمام عبد الرحمن وكانت له ابنة تعرف بأروى فخطبها اليسع وبعد أن أظهر الامام العزة والامتناع مع الحاح الخطيب أجابه الى طلبه وزوجها من مدرار ابنه ولم يصغ للمعترضين والمنكرين عليه مؤملا ان يأتي يوم ما على أولادها ان قدر الله بحملها وهم على مذهبه فيضمهم هو أو خلفه اليه أو تتوثق علائق الوداد بين المملكتين فلا يطرقه منهم طارق سوء ولا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته او يوجب له قلقا او خللا في داخليته اذ كان تحت حكمه من الصفرية ما يعد بعشرات الألوف من المقاتلين الموصوفين بالشجاعة والبسالة كما ان بسجلماسة من الاباضية أمثال ذلك من الفرسان الاشداء ولولا حكم القدر بهذه المصاهرة مع قرب الجوار لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن متتابعة حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام الى امام مذهبه ويظهر التظلم حقا أو باطلا من مخالفه في المذهب الحاكم عليه وهذا أمر طالما سفكت به الدماء انهارا بجعله مريد الخروج عن الطاعة ذريعة يتوصل بها الى غرضه وحسب المعتبر شاهداً ما أجراه الافرنج في عصرنا هذا بجزيرة كريد انقاذاً لاخوانهم المسيحيين من أحكام المسلمين وما هم الآن في نسجه بمقدونيا ادعاءً بهذا الوجه عينه غيرة على بني جلدتهم وحمية دينية لا انصافا وحقا * وبأمر هذه المصاهرة التي دبرها الامام كفي شر ذلك كله وكانت العاقبة ما ستراه ..

حمل أروى بنت الامام بولدها ميمون

كان من قدر الله وقضائه ان حصلت الالفة وحسن العشرة والوفاق التام بين الزوجين المتباينين مذهبا ومشربا المتباعدين دارا ونسبا (مدرار وأروى) وحملت أروى ووضعت ولداً سموه ميمونا وكان لزوجها ولد آخر من البغي اسمه ميمون أيضاً ولما مات والد مدرار تولى هو أمر الصفرية سنة ٢٠٨ وتلقب بالمنتصر وطالت ولايته فكان مع الرستميين في ولاء ومسالمة بجانب المصاهرة * ولشغفه بزوجته أروى مع ماراه في ابنها ميمون من الكفاءة حدثته نفسه بتسليم أمر مملكته اليه في حياته ولما أحس ابنه ميمون الثاني بذلك أوعز الى رؤساء الصفرية ومقدميهم بذلك فهاجوا وماجوا واضطربت أقوالهم واستعظموا الأمر خوفا من انضمام ملكهم الى ملك بني رستم ومن سيادة الاباضية عليهم في المملكتين فثار ميمون بمن تبعه من الصفرية على والده ونازعه الملك وكان بينهما ما كان من الفتن والمقاتلات الى أن توفي سنة ٢٥٣ لخمس وأربعين من ملكه وأقام ميمون في الامارة الى أن مات سنة ٢٦٣ وولي ابنه محمد قال ابن خلدون في صحيفة ١٣١ وكان أباضيا وتوفي سنة ٢٧٠ لثمان من ملكه فولي اليسع بن المنتصر (مدرار) الى ان اقتحم عليه الشيعي سجلماسة سنة ٢٩٦ وقتله وولى عليها ابراهيم بن غالب المراسي الكتامي وبقي فيها الى أن قامت عليه أمراء سجلماسة سنة ٢٩٨ وقتلوه وولوا عليهم الفتح الاباضي ابن ميمون قال ابن خلدون وبايعوا الفتح بن ميمون الامير بن مدرار ولقبه واسول وميمون ليس هو ابن البغي الذي تقدم ذكره اهـ فيظهر أنه أراد ميمون بن الرستمية اذ لا ميمون آخر لمدرار غيره قال وكان أباضيا وهلك قريبا من ولايته لرأس المائة الثالثة فولي أخوه احمد واستقام أمره

الى أن هجم عليه مصالة بن حبوس من طرف الشيعي فنزعه وولى مكانه
ابن عمه المعتز فاستبد ومات سنة ٣٢١ وولي ابنه المنتصر الى ان ثار عليه
كما قال ابن خلدون ابن عمه محمد بن الفتح (الاباضي) بن ميمون (الاباضي)
الأمير وتغلب عليه الخ اه وذكر أن محمداً هذا رجع في آخر أمره أشعريا
وتلقب بالشاكر واتخذ السكة باسمه وكانت تسمى الشاكرية الى أن زحف
اليه جوهر الكاتب في جموع كتامة وصنهاجة سنة ٣٤٧ ففر امامه تاركا
ملكه ثم قبض عليه واخذه اسيراً الى القيروان وانقضى ملك بني مدرار
الذي علمت ايها القارئ أن بعض ملوكه صفرية وبعضهم أباضية على ماذكره
مؤرخو غيرهم كما سمعته وأما مؤرخوهم فلم يتعرضوا لهذا الامر قط اذ لاذكر
لذلك في سير الشماخي رحمه الله ولا في الطبقات ولا غيره فاما ان يكونوا
قد احدثوا احداثاً أوجبت البراءة منهم فاهملوا ذكرهم (ولا نظن انهم
ارتكبوا من الموبقات اكثر مما اتاه ابو يزيد صاحب الحمار الآتي خبره وقد
ذكروه كثيراً) واما ان يكونوا مذكورين في تاريخ نفوسة الكبير وغيره
من الكتب القديمة التي لا وجود لها الآن الا بالاسم والله اعلم .

والحامل على ذكرهم هاهنا مجرد الافادة للمطالع وبيان ما آل اليه تدبير
الامام عبد الرحمن رحمه الله وما نتج عن مصاهرته لمدرار من بث دعوته في هذه
العائلة القابضة على زمام ملك الصفرية بدون رمح ولا سنان وهذا لاشك
مما يشهد له بطول الباع في القيام بادارة مملكته واخذ الاحتياطات لدفع كل
طارئ يطرأ عليها * وأمر المصاهرة وقع كثيراً قديما وحديثا من الملوك
لغرض التوقي من فتنة قبيلة كبيرة اوسلطان آخر كما وقع للامام عبدالوهاب
على ماسيأتي في كلام ابن الصغير ولتميم بن المعز بن باديس الشيعي صاحب

افريقية فانه صاهر بنته الناصر صاحب القلعة سنة ٣٧٤ على ماذكره ابن خلدون في صحيفة ١٦٠ وانطفت نار الفتنة بينهما بسبب ذلك * وفي زماننا هذا يقع بكثرة خصوصا عند الافرنج حتى صار أغلب ملوكهم وأمرائهم أقارب لبعضهم بعض .

وبهذا عظم اتحادهم وفتر ما كان بينهم من الخلاف وتناصروا على المسلمين وتحالفوا على محو كلمة الاسلام وأهله الذين لم تربطهم ببعضهم بعض الا كلمة الشهادة وهي رابطة عند التحقيق منحلة لما تهدد به منذ ظهرت من الاختلافات المذهبية والمشاكل الاعتقادية التي صارت أساسا متينا لاتزلزله الازمان والدهور لكل شقاق وتباين بين أفراد الجامعة الاسلامية *

ومن طالع التاريخ ورأى الوقائع الماضية التى جرت بين أهل الاسلام من عهد الصحابة بعد الخليفتين ابي بكر وعمر الي مالا يبعد عن عصرنا هذا رأى بلا ريب مايرعب فؤاده ويكدر صفو راحته وأغلبه ان لم نقل كله متولد من انحلال المذاهب ولوكانت لديهم آلات الحرب الحاضرة براً وبحراً لقضي أمر هذا الدين وأهله من زمان بعيد

﴿ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك﴾

فلو فتح امراء الاسلام باب المصاهرة بينهم وسعوا في توحيد المذاهب لأصبحوا وكلمتهم واحدة والحق في ذلك على أعظمهم سلطانا وأشدهم شوكة في هذا العصر امير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان فانه لو صاهر الامراء المنفصلين عن دائرة نفوذه وحكمه ببنات وزرائه فضلا عن كريماته لبادروا الى معاضدته وعضوا بنواجذهم على حبل الاتصال بعرشه وأضحوا ولا وجهة لهم

غير انتظار اشارته وفي ذلك مما يهم العالم بأسره ويزلزل دعائم السياسة مالا يخفى على الناقد البصير .

وكان الامام بالمشرق في عاصمة عمان ذلك الوقت الامام الوارث وذكر أبو زكرياء رحمه الله ان في مدة الامام عبد الرحمن توفي أمام المذهب الكبير أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري رضي الله عنه والصحيح ماسنذكره بعد ان شاء الله .

وكان رحمه الله مشهوراً بالعلم معدوداً من فحول العلماء الراسخين له تفسير جليل القدر تكلم عليه المؤرخون ولا وجود له الان * وله ديوان خطب نفيسة ذكر العلامة الوارجلاني رحمه الله أنه رآه * وله رسائل متعددة وجوابات كثيرة مفيدة في فنون من العلم بعضها موجود وبعضها مفقود وبالجملة فقد كانت مدة هذا الامام بالمغرب أيام سكون وراحة وعدل لاحرب ولا شقاق وكان محبوباً عند الجميع مهيباً مطاع الاوامر والنواهي .

وفاته

(قال) فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عنه ولا طاعن يطعن عليه الى أن اخترمته منيته وانقضت أيام مدته وكنت قد وقفت على عدد امارته كم كانت ولكن نسيتها مع مرور الايام وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب وكان محمود الافعال وكان قد رشحه للقيام بعده فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية اليه الامر بعده اهـ

أقول ولما أيقن رحمه الله بدنو الاجل وانقضاء العمر وأيس من الحياة تأسى بأمير المؤمنين ثاني الخليفتين عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقتفى أثره

اعتناء بشأن الاسلام والمسلمين فجعل الامامة شورى بين سبعة رجال ممن تفرس فيهم الصلاح لتلقيها بما أحرزوه من كمال الاقتدار وبما علمه فيهم من التضلع في العلوم مع التقوى والورع * وهم ولده الهمام العلامة المقدام عبد الوهاب * والعلامة مسعود الاندلسي ذلك الرجل الفاضل البارع في الفقه وغيره الشهير بالورع * والعلامة أبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني * والعلامة عمران بن مروان الاندلسي * والعلامة أبو الموفق سعدوس بن عطية * والعلامة شكر بن صالح الكتامي * والعلامة مصعب بن سدمان.

ولما ختمت أنفاسه رحمه الله وسيقت روحه الطيبة الى حيث أراد بارئها من مواقع التنعم ان شاء الله شيع المسلمون جنازته ودفنوه وولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً وأفئدتهم ترجف فزعا * وكانت خلافته أحد عشر عاما لا أربعين كما قيل ولا سبعة كما قاله المراكشي وسيأتي وجه ذلك * ثم اجتمع أهل الشورى منهم والصالحون للنظر فيمن يولونه الامر بعده * ولشدة تحريهم رحمهم الله لم يقصدوا بها أحداً الا وتبرأ منها ودفعها عالماً بحرج موقفها وبقي الامر كذلك موقوفاً نحو شهر كامل لم يثبت لهم فيها قرار ولم يستقر لهم رأي الا ان لعامة الناس ميلا زائداً الى اثنين من السبعة المذكورين وهما الامام عبد الوهاب والعلامة مسعود الاندلسي فبعض يريد هذا وبعض يرغب في ذاك ثم مال الكل الى مسعود وقاموا لمبايعته وفي حينما أدركه الخبر اختفى فراراً من الوقوع فيها واذ لم يجدوه أعرضوا عنه وابتدروا عبد الوهاب لمبايعته ولما سمع مسعود بذلك خرج الى مجتمع الناس ليكون في مقدمة المبايعين منهم وكان فيهم يزيد ابن فندين وقد أدركه من الغيرة مالم يستطع اخفاءه اذ لم يرغب فيه أحد ولما رأى أنه لا حظ له في الامامة اشتدت رغبته في تولية عبد الوهاب رجاء أن

يدرك في ظله بعض المناصب العالية وان يقلد مهم الأمور اعتماداً على علاقة النسب التي بينهما لما أنه من أخوال عبد الوهاب فان والدة عبد الوهاب كانت يفرنية الا أن لعله هو ومن معه بما انطوت عليه بواطنهم من المقاصد السيئة أيقنوا بأن عبد الوهاب على ماهو معروف به من الشدة في الحق والصلابة في الدين لايدع لهم مجالا يبلغون به أمانيهم ولو أدركوا من المنزلة عنده ماأدركوا * ولما وقف الكل بين يدي عبد الوهاب قام ابن فندين خطيباً فقال انا نقدم لك بيعتنا ياعبد الوهاب على شرط واحد وهو أن لا تقطع أمراً دون اتفاق جماعة معلومة معك عليه راجياً أن يكون هو من المنتخبين في ذاك المجلس (وبمثل هذا المطلب ينادي الحزب المسمي بالاحرار من الترك وغيرهم من أهالي الدول ذات الحكم المطلق في هذا الزمان) فوقف مسعود وأجابه قائلا على طريق الانكار * ماسمعنا بهذا وما علمنا أن في الامامة شرطاً غير أن يحكم الامام بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين أهل الحق والصدق ممن تقدم فسكت يزيد تاركاً ذكر الشرط وأجمع هو ومن معه من المسلمين على البيعة .

خلافة الامام عبد الوهاب رحمه الله

وكناه المراكشي بأبي الوارث ولم نره لغيره

فقام مسعود الى الامام عبد الوهاب وبايعه ثم بعده الحاضرون وحملوه الى دار الامامة في موكب حافل غصت به طرق المدينة ومناهجها وهنالك تمت البيعة العامة وامتلأ الناس فرحا وسروراً وسكن بعض ما كان بهم من الجزع على والده اذ حل هو في محله ورجوا سعادة مستقبلهم وذلك في صدر عشرة السبعين بعد المائة تقريباً اذ لم نقف على مايوجب اليقين في ذلك كلما

بحثا غير انا علمنا أن تولية الامام عبد الرحمن كانت سنة ١٦٠ وانه في سنة ١٧١ عاهد صاحب القيروان كما مر غير بعيد وعلمنا أن الامام عبد الوهاب كان راسخ القدم في الامامة في تلك السنة نفسها أعني سنة ١٧١ أيضاً على ماذكره ابن خلدون حيث قال في صحيفة ١٩٤ من الجزء ٤ ورغب يعني زوحا صاحب القيروان في موادعة عبد الوهاب بن رستم وكان من الوهبية فوادعه اهـ ولم نعثر على مايحقق وجود عبد الوهاب في الامامة قبل هذا التاريخ ولا على مايثبت وجود عبد الرحمن بعده فالموادعتان وقعتا في سنة واحدة كما رأيته فاما أن تكون الاولى وقعت مع عبد الرحمن مباشرة والثانية مع عبد الوهاب بالنيابة عن والده وهذا مما لا معنى له لاختلاف الطالبين لها واما أن يكون عبد الرحمن طاب المعاهدة ووقعت وعلى اثرها توفى فطلب روح تجديدها من عبد الوهاب توقياً منه لما شهر به من علو الهمة والشدة فساعفه عبد الوهاب جزاء لما ساعف به والده من قبل وما جزاء الاحسان الا الاحسان وهذا هو المناسب والله اعلم فليحرر

فقام رضي الله عنه بالعدل احسن قيام واجرى الامور على احمد وجه وأتقن نظام فظهر ما انطوت عليه خلقه السليمة وانفاسه الكريمة الى عالم الظهور من الآثار الشريفة والمقاصد الخيرية والبسالة الكاملة والانعامات الشاملة وأرسل في اطراف مملكته ودواخلها اوامره الشديدة بامتثال الاوامر واجتناب المناهي الشرعية ورتب العمال والحكام والقضاة ورجال الشرطة في سائر انحاء اتباعه فعمهم عدله وشملهم حكمه ولم ينقم عليه احد شيئا في احكامه وسيرته الى ان حدث خروج ابن فندين عنه

خروج ابن فندين عن طاعة الامام

لما رآي ابن فندين ما عليه الامام من الحزم وتنقية ارباب الخبرة والعفة والاستقامة في تعيين الموظفين ولم يبلغ هو ما كان يؤمله من التقديم ونيل بعض المناصب لم يطق صبرا على ذلك وأظهر الانكار على الامام في توليته لبعض من كان يرى انهم لا ينالون مع وجوده شيئا وقال ان هؤلاء الذين ولاهم الامور ليسوا بأحسن منا سيرة ولا اقوى منا اقتداراً على اشغال الدولة وتدبير امر الرعية بل نحن اولى بالتقديم اذكنا نحن السبب في اخذ البيعة له وغير هذا من الكلام الذي لم يصب من الناس كافة اذنا صاغية ولم يستمل به قلب أحد ولما علم ان ذلك لايجديه نفعا قام مطالبا بالشرط الذي تكلم به أولا (مجلس الشوري باصطلاحنا تقريباً) وتدرج بذلك الى انكار الامامة قائلا انا قد شرطنا عليه أن لا يقضي أمراً دون موافقة جماعة عليه وهاهو قد استقل برايه ولم يشارك أحداً في شيء ونبذ الشرط وراءه ظهريا فطاعته غير واجبة علينا لفسخه البيعة بتركه الشرط ثم زاد تدرجا في دركات الشقاق واعلن بفساد البيعة من مبدئها بدعوى ان في المسلمين (الاباضية) من هو أكثر منه فهما وأغزر علما واوسع ادراكا وفكرا فلا يجوز تقديمه ولا البيعة له ما داموا موجودين وطفق ينشر هذه الاقوال في المجامع والمنتديات حتى استمال لفيفا من الناس ممن كانوا على شاكلته في المقصد والطبع واكثروا النجوى والاجتماع والدخول الى المدينة والخروج منها الى المنازل والجبال جماعات يتلو بعضها بعضا قصداً لاثارة الفتنة وتشويشا لخواطر العامة وارهاباً لنفوس رعاع الناس فأبلغهم الامام النهي عن ذلك وحذرهم سوء العاقبة ان لم ينتهوا فقالوا للمرسل اليهم من طرف الامام

هـذه مدينتنا وتلك منازلنا فان عصينا في الدخول والخروج اليها فليخبرنا الامام بوجه ذلك فاعرض عنهم وتركهم وشأنهم مع مراقبة حركاتهم وسكناتهم بالتدقيق التام بواسطة الامناء (البوليس السري في اصلاحنا الآن)

تدبير مكيدة لقتل الامام

ولما رأى ابن فندين ومن معه خيبة مساعيهم وتحققوا عدم نجاحها وانيلها بنتيجة تضمن لهم حصول أمولهم فكروا فيمن تقدمهم من الثائرين على الملوك والخلفاء فوجدوهم لم يظفروا بشيء مما كانوا يحاولونه الا بالقتل فلووا أعنة أفكارهم الى تدبير مكيدة يتوصلون بها الى الفتك بالامام والغدر به ولشدة تحفظه رحمه الله وأخذه الحذر من نفسه بما ارتسم في صحيفة ذهنه مما درسه في وقائع المتقدمين ووقف عليه في اخبارهم من قتل الملوك في الطرقات والغدر بالخلفاء في المساجد حيث كانوا بسطاء الحالة لم يجدوا له سبيلا ثم بعد استعمالهم الجهد في التفكر ضلوا الى مكيدة لو لم يعارضها القدر فذهبت أدراج الرياح وردت عليهم لكانت القاضية على الامام والمصيبة العظيمة على المسلمين*

وذلك ان الامام كان له بيت خصصه لنفسه فيه مايحتاج اليه من كتبه يخلو فيه للمطالعة والتهجد بالليل على مايؤخذ من كتب السير فاتفق القوم على ان يجعلوا رجلا بسلاحه في صندوق ذي قفل من داخله ويحمله اثنان منهم ممن لا ريبة فيهم الى الامام ويظهران له انهما متنازعان فيه ويطلبان منه حفظه على وجه الامانة حتى يعودا اليه وكأنهم علموا انه اذ قبله لا يضعه الا في ذلك المحل المخصوص به محافظة على الامانة وحرصاً عليها فيخرج صاحبهم من صندوقه في الليل ويقتله اذا علم انه نام فاتفقوا على هـذا الرأي

وتيقنوا بنجاحه وقاموا لانجازه على نحو ما ذكر فزجوا صاحبهم بطلب ورغبة منه في صندوق مصيبته متقلداً سيفه وهو لا يعلم انه وقع في هوة هلاكه * واتفقوا معه على انه اذا قتله يذهب الى المنارة ويؤذن فيها ليعلموا بتمام مرادهم فيهاجموا المدينة ويحتلوا فى ذلك الليل دار الامارة و يتمكنوا من الحصون والنقط الحربية من سور المدينة وغيره مما لاحرس فيه .

ولما أتوا به الى الامام أجاب طلبهم وأمرهم بحمله الى المحل المخصوص ولاحظ حركاتهم عند حمله فرأى فيهم من الرفق بالصندوق مادله على ان ما في جوفه انسان وأدرك بفطنته الوقادة في الحال أن المسئلة لاتخلو من مكيدة غريبة فوضعوه في المكان وذهبوا مستبشرين فرحين بما توفقوا اليه من الرأي .

فأقبل الامام على الصندوق وتأمل فيه مليّاً وجسه من جهاته الاربع فلم يجد له قفلا من خارج فازداد يقينا فيما فهمه أولا .

ولما جن عليه الليل قضى ما يجب عليه من أمور البيت ثم عكف حسب عادته على مطالعة الكتب جانبا من الليل ولما حان وقت النوم عمد الى زق (قربة) ونفخ فيه حتى امتلأ هواء وربطه ربطا خفيفا بحيث يخرج منه نفس خفيف ذو حس كنفس النائم ووضعه فى احدى زوايا البيت وغطاه برداء أبيض ليرى في الظلام وأوقد قنديلا في زاوية أخرى وغطاه بوعاء يحجب ضوءه عن الناظر وتنحى لجانب من البيت لاحياء بقية ليله بالصلاة والاستغفار ولما أحس صاحب الصندوق بعدم وجود القنديل وسكون حركة الامام ظن انه نام ففتح الصندوق برفق وخرج وسيفه في يده ووقف مصغيا الى أن سمع النفس من القربة وتخيل بياض الثوب في تلك الظلمة فظن انها

الامام فحمل عليها حملة الابطال وقدها نصفين وعند ذلك كشف الامام الغطاء عن القنديل فبهت الآخر وأدركه الفشل وسقط في يديه فبادره الامام بسيفه البتار وقده نصفين أيضاً وضمه في ثوبه ورده في صندوقه حفرة الخداع وبيت الخيانة وأتم بقية ليله بالذكر والصلاة حامداً لربه على ماوفقه اليه من التنبه لهذه المكيدة ولعمري انها لمن أعظم المكائد لو صادفت المرمى وانها لأشبه شيء بحكاية الزباء وهي من أقوى الدلائل على ما كان لهذا الامام من الانتباه والذكاء المفرط *

ولما أصبح الله بالصباح ولم يقم بالمنارة أذان وقد قضى القوم ليلتهم في سهر تساءلوا فيما بينهم عن صاحبهم وقالوا اما انه لم يفعل شيئاً واما ان يكون قد دارت عليه الدائرة وقتل ثم اتفقوا على الذهاب الى الامام لاخذ الصندوق بدعوى انهم أصلحوا ولم يبق بينهم في شأنه نزاع ولما أتوه قابلهم بكل بشاشة بحيث لم يفهموا منه مما كان له مع صاحبهم شيئاً وهذا لعمر الحق أيضاً من الثبات الذي لايطيقه الا أمثال هذا العظيم القلب واذ سألوه رد الصندوق قال لهم هو في مكانه الذي وضمتموه فيه لم يتحول فخذوه ولما حملوه وذهبوا به الى مأمنهم وفتحوه وجدوا صاحبهم ملفوفاً في ثيابه مخضباً بدمائه وقد صدق عليه قولهم •

(من حفر حفرة سوء لأخيه المسلم أوقعه الله فيها)

وعندئذ توقعوا فتك الامام بهم فخرجوا من المدينة وأعلنوا أنصارهم بالتأهب للحرب وصاروا يردون الى المدينة بالسلاح في جموع مع اظهار الشدة فكرر لهم الامام النهي عن ذلك بواسطة بعض خواص دولته فقالوا ما في امساك السلاح معصية ولا في حمله من باس والمؤمن بسلاحه وان رآى

الامام ان في ذلك معصية فليقنعنا بالحجة فتركهم وشأنهم أيضاً وأمر أهل
المدينة بأخذ الحذر بحمل السلاح مثلهم وبالاستمداد للحرب عند مجرد
الاشارة منه فازداد الناس خوفاً واشتدت وطأة الثائرين واكثروا من التمدي
حتى فتحوا مع الامام باب الحرب وكانت وقائع متعددة سفك فيها من
لدماء ما اضطر به الامام والمسلمون معه الي طاب الهدنة ووضع أوزار الحرب
حقنا للدماء الى ان يكتبوا لاخوانهم المشارقة بايضاح القضية وتفصيلها ويعود
اليهم الجواب منهم بتخطئة المخطيء وتصويب المصيب من الفريقين فقنع
الطرفان بهذا الرأي وأذعنوا للسلم وكتبوا الكتب على نحو ما اتفقوا عليه
من حكاية الواقع (وبكل أسف لم نعثر على شيء من هذه الكتب قط مع
طول البحث عنها) ووجهوها مع امناء مخصوصين ليعرضوها على علماء
أباضية الشرق ورجالهم بمصر والحجاز واليمن والبصرة وعمان وخراسان
وغير ذلك من بلاد الشرق العامرة بهم *

ولما وصل الرسل مصر قصدوا العلامة أبا المعروف شعيبا ومن معه
وأخبروهم بما كان من وفاة الامام عبد الرحمن ومبايعة عبد الوهاب وخروج
ابن فندين وادعائه الشرط في الامامة وغير ذلك مما وقع كله وتوجهوا الى
مكة المكرمة وكان بها يومئذ من معتبري علماء الاباضية ورجالهم ذلك العلامة
الجليل المحدث المشهود له بالورع المقدم في الفتوى والمرجع في الرأي عند
المشارقة كافة أبو عمرو الربيع بن حبيب صاحب كتاب المسند في الحديث
والعلامة أبو غسان مخلد بن العمرد الغساني والعلامة وائل بن أيوب وغيرهم من
رجال العلم والدين فدفعوا لهم الكتاب وبينوا لهم مشافهة ما استفهموهم عنه
وانتظروا الجواب

جواب علماء المشارقة الى المغاربة

فجمع الربيع رحمه الله خيار المسلمين وعلماءهم والوجوه من أهل الفضل والصلاح وطرح الكتب في المجلس وبعد مطالعتها وفهم معانيها وادراك روح القصد منها أجمع رأيهم على رد الجواب بما اقتضته قواعد الشرع العزيز وميزانه المحكم ولم يألوا جهداً في النصيحة وبيان الحق فجازاهم الله عن الاسلام وأهله خيراً وهذا نص ماكتبوه بالحرف الواحد *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيئنا محمد وآله الطاهرين

(اما بعد) فقد بلغنا ياإخواننا ما كان قبلكم وفهمنا ما كاتبتمونا به * اما ما كتبتم به من أمر الشرط * فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا الشرط في الامامة ان لا يقضي أمراً دون جماعة *

* ولو صح في الامامة شرط لما أقيم لله حق ولا حدٌّ ولعطلت الحدود وبطلت الاحكام وضاع الحق * على ان الامام اذا قدم اليه سارق فلا يصيب ان يقيم عليه حداً فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرنا أو زني أحد فلا يرجم ولا يجلد حتى تحضر أيضاً ولا يجاهد الامام عدواً ولا ينهى عن فساد الا بحضرة الجماعة المعلومة والجماعة يتعذر اتفاقها * فالامامة صحيحة والشرط باطل *

واما ماذكرتم من تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم منه * فذلك جائز اذا كان الثاني من القناعة والفضل بمنزلة حسنة * فقد ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه * وزيد بن ثابت أفرض منه * وعلي ابن أبي طالب أقضى منه * ومعاذ بن جبل أعلم منه * وهذا ليس فيه اختلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرضكم زيد وأقضاكم علي وأقرأكم أبي واعلم

أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وقوله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غداً يوم القيامة امام العلماء وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اه

ثم ألقى العلامة مخلد الكتاب الى العلامة عبد الله بن محمد بن مسلمة وأمره بنقل نسخة منه وحفظها لتكون حجة للمسلمين بعدهم في مثل هذه الحادثة والله أعلم

ارتحال شعيب من مصر الى تيهرت طمعاً في الامامة

هذا ما كان من أمر الرسل مع علماء الحجاز واما العلامة شعيب المصري فانه لما أخبرته الرسل مع من معه بمصر من العلماء بما صدر من ابن فندين من شق عصا الطاعة ومفارقة الامام هزته شنشنة الطمع في الامامة وسولت له نفسه مالم يكن له أهلا فعزم على التوجه الى (تيهرت) ولما سمع من في مصر من عقلاء وعلماء الاباضية ورجالهم وكانوا أهل فضل وورع نهوه عن السفر الى المغرب وقالوا له لا يسوغ لك الذهاب الى قطر فيه من الاختلاف والشقاق بين الامام ورعيته ماسمعته ووعيت تفصيله وان كان ولا بد فالزم مكانك حتى تنفرج أزمة هذه الحوادث وينحسم الاشكال ويزول الاختلاف ثم ان شئت الزيارة فاذهب في أمان سالماً من التهمة فلم يقنع برأيهم وكأنه أظهر للملاء أنه يريد بذهابه الى المغرب اصلاح ذات البين (وما هو الا من المفسدين) اذ جعل الامامة نصب عينيه ورأى ان حصولها له أقرب اليه من جنبيه وما ذلك الا غرور وغلط وجهل بمقام الامامة فهي بعيدة عنه بعد ما بين المشرق والمغرب ومصر وتيهرت لو تأمل.

ثم انه خلا ببعض خواصه وأصدقائه منهم الرجل المعروف بالمتوكل

وكشف لهم عن خفي سره واستشارهم فيه وأظهر لهم من وجوه التحسين وضروب الترغيب ماأخذ بمجامع قلوبهم ومناهم بما جلهم على مساعفته وتصويب رأيه .

فخرج بهم في الليل من مصر وطفق يمسح الارض مواصلا الليل بالنهار رغبة في دخول تيهرت قبل رجوع الرسل من المشرق فبلغها يوم العشرين من خروجه من مصر وقد أضنى السير رواحلهم وكأنها من الهجين الذي يطوي مراحل في يوم ويعرف عند بعض القبائل بالمهري والافان المسافة بعيدة جداً لاتقطع بالسير العادي الا في اضعاف هذه المدة .

وقبل ان يجتمع بأصحابه استأذن على الامام لتقديم الزيارة فأذن له وقابله بما يجب من الاكرام والاحترام اذكان من مشاهير العلماء ورجال المذهب ولم يخطر له انه انطوى على نية سوء وفساد لما عرف به قبل ذلك من حسن الحال وبعد السلام والسؤال عن الاحوال الشرقية سأله الجواب عن المسئلتين المختلف فيهما ولعلمه بما عليه الامام من غزارة العلم والاطلاع لم يمكنه الا أن يجيب بما هو الحق طبقاً لما أجاب به الربيع ومن معه وهو أن الامامة صحيحة والشرط باطل وأن امامة من استكمل أوصاف الامام جائزة ولو كان في المسلمين من هو أعلم منه .

اجتماع شعيب بابن فندين وخروجهما عن الطاعة

ثم خرج وذهب الى ابن فندين وأصحابه فأظهروا له الاستبشار بقدومه وبالغوا في اكرامه واحترامه وأكثروا التودد له والخضوع بين يديه حتى طمع في الامر ورجا نيل ما كان يؤمله الا انه ندم كل التندم على ما أجاب به الامام في المسئلتين واغراءً لابن فندين واستمالة له بالغ في الرضاء عنه

وفي تخطئة الامام ووازره على رأيه ورأي جماعته وتداعوا الى الاجتماع خارج المدينة فخرج اليهم كل من كان على رأيهم واجتمعوا بكدية غير بعيدة عنها واتفقوا على انكار امامة عبد الوهاب والسعي في نزع السلطة من يده وعولوا على الحرب الا انهم لم يجمعوا رأيا على تقديم واحد منهم باسم امام ولو مؤقتاً إلا ما كان من تقدم ابن فندين في الرأي لاغير ولما لم يدرك شعيب من هذا الحال نتيجة ولم ينل شيئاً مما كان يمني به نفسه وأصحابه الذين أتى بهم معه من مصر ضاق صدره وخاف ان يكون من المذبذبين لا الى جهة الامام لما ظهر منه من موازرة ابن فندين ولا الى جهة ابن فندين لما صدر منه من الجواب للامام في المسئلتين بمحضر من الناس وخاف رجوع الرسل من المشرق بتخطئة ابن فندين وحزبه وهو منهم فتقوم عليهم الحجة ويفارقهم كل عاقل ممن استغفلوه واتبعهم على غير هدى وبصيرة.

فقال لابن فندين ما الذي تنتظرونه من القوم وقد أظهرتم انكار الامامة وشهرت عنكم وما لكم في رسل الشرق وكتبه من نفع فناوشوهم الحرب لعلكم تنصرون فلا تعود الرسل الا وأنتم قد توليتم الامور وصفت لكم الولاية وارتفع النزاع.

فأجابوه الى ذلك وهيئوا أنفسهم وتفقدوا أسلحتهم وجعلوا ينتظرون غرة الوثوب على المدينة على حين غفلة من أهلها الى ان صادفوا خروج الامام لبعض مآرب بعيدة عن المدينة فزحفوا بجيشهم وثارت الصيحة الى المدينة وكان أفلح فيها عند أخته قد ظفرت له أحد شقي شعر رأسه فقام قبل ان تتم له الشق الآخر وتقلد سيفه وقد اشتد غيظه وزفرت نيران غضبه على الثائرين وكان عظيم البنية قوياً شديداً واقتفى أثره أهل المدينة

مساحين وتلاقى الفريقان لدي بابها فوقف أفلح على العتبة مدافعاً وانسلخت رجله الى العرقوب ولم يشعر بها وصارت الابطال تتوارد عليه وهو يناضل بسيفه متقياً بدرقته الي ان أبادتها السيوف ولم يبق بها مايصلح للتوقي به فاختطف احدى دفتي باب المدينة بيده وصار يتقي بها وكان ممن أثقل كاهله بشدة البأس والقوة من مقابليه ابن فندين نفسه فلوى عنان الطرف اليه وقصده وهو يسوق الناس ميمنة وميسرة وعلى رأسه بيضتان وضربه على قمة رأسه فشقه مع البيضتين نصفين وصوب معه السيف الى ان نشب في الباب فحس أفلح عند ذلك زلزلة واضطراباً في يده لم يعهدهما قبل ذلك فظن أن ذلك من صلابة رأس ابن فندين فقال ماأقوى رأسك يابربري يامشوم ولما خر صريعاً ورآه قومه بين القتلى ولوا منهزمين وقد مات منهم بشر لايقل عن اثنى عشر ألفاً سالت بدمائهم البطاح وتلطخت بها الابواب ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها * ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فياليت الامام كفى المؤمنين عناء الحرب بتسكين هذا الرجل من أول الامر ولو بأدنى وظيفة من وظائف الدولة حيث كان قيامه وخروجه انما هو لمجرد ذلك على ماصرح به حسبما مامر ولكن القضاء المبرم غالب وما تشاءون الا أن يشاء الله .

ولما افترق الجيشان قصد جمهور من أهل المدينة الى رد دفة بابها في مكانه فلم يقدروا فقالوا لأفلح هلم لترد مانزعت فقال ردوا على ذلك الغيظ الذي كان بي أوان نزعه حتى أرده والا فأنا الآن كواحد منكم فتعاونوا عليه وردوه كما كان .

ثم عاد الامام من سفره ووجد القتلى في أماكنها والناس على أثر حرب مهولة في رعب وانزعاج فاستغرب السبب وسأل عنه فأخبر بالواقع فأمر بجمع قتلى الفريقين وصفت صفوفاً وصلى على الجميع صلاة الجنازة تطييبا لنفوس بقية أتباع ابن فندين وتأنيساً لهم وتأليفاً لقلوبهم ولما وقع البحث عن شعيب وجد قد خرج عقب الهزيمة هارباً الى مدينة طرابلس ولما وصلها أظهر البراءة من الامام والانكار عليه وتغالى في ذلك حتى صار يعترض الحاج ابان التشريق ويعلن بذلك فاتصل خبره بالمشرق فأجمعوا كلهم على البراءة منه ومن ابن فندين وأتباعه الا من تاب وأشد الناس عليهم في البراءة منهم العلامة الربيع رحمه الله فانه كان يجهر بذلك في مجالسه ويعلن بولاية الامام قائلا عبد الوهاب امامنا وثقتنا وامام المسلمين أجمعين فانا براء ممن خالفه أو أنكر عليه شيئاً على غير حق واذا قيل له كيف تبرأ من شعيب بدون حدث قال وأي حدث أعظم من براءته من عبد الوهاب أمير المؤمنين

* وبموت ابن فندين انقطعت القلاقل وسكنت الحركات وانحسمت جرثومة الفساد وانحاز من بقي من أصحابه الى ربوة خارج المدينة يعلو ظواهرهم الخضوع والمسكنة وفي القلوب حزازات وضغائن لم ينشأ عنها شيء يكدر الراحة .

﴿ عودة الرسل من المشرق وما وقع بعد ذلك من قتل ميمون بن الامام ﴾

ولما عادت الرسل من المشرق بكتاب الربيع المتقدم ومن معه من المسلمين وفيه مامر من صحة ولاية الامام وبطلان الشرط وغير ذلك فرح المسلمون بموافقتهم الحق وتأكدت أسباب المودة بينهم وبين امامهم وازداد

هو نشاطاً في التقدم في الاصلاحات وبينما الحال كذلك اذا صبح ميمون ابنه قتيلا ممزق اللحم مفرق الاعضاء ممثلا به تمثيلا شنيعاً غدر به أصحاب ابن فندين لما كمن في صدورهم من الحقد على الامام بسبب تلك الوقائع المتقدمة ووقعة صاحب الصندوق وكأنهم أرادوا بهذه فداء تلك واذ بلغ الخبر الامام قام مسرعا الى موقع الحادثة ووجد ابنه ميمون الناصية ثمرة فؤاده على تلك الحال فتسربل ثياب الصبر وأبرز من شهامته عظيم التجلد وكامل الثبات وان كان في نفسه من الكئابة والحزن مايذيب المهج ويدك الجبال وقال وهو ينظر اليه •

* أي بني اجتمع فيك ثلاثة قولهم • ويل لمن مرت الخيل على كسائه وقولهم • ويح من أصيب بليل • وقولهم اذا مسست ابن السلطان فامسسه مساً عنيفاً • ثم أمر به فكفن وشيعت جنازته حسب الواجب وغض طرفه عن الطالب بدمه اذ لم يثبت ذلك على أحد ولم يعول على الظنون وأقوال المحركين وأرباب الاغراض وكان شديد التحري في الدماء وحسب القائل بذلك حجة هذه الحادثة التي قل من يتربص امامها التحقيق مع الاقتدار وتوجه التهمة من أول وهلة الى أرباب الجريمة •

وكان لميمون ولد هو من النجابة والذكاء بمكان رفيع فرق جده الامام لحاله وولع به ولوعا زائداً واقامه مقام والده يتسلى به عنه صارفا همته في تذريبه معمراً جل أوقات فراغه في تربيته وتهذيب اخلاقه وطبعه على الآداب اللطيفة حتى شب على ذلك وحصل من العلوم النافع منها ولاغرابة اذ كان يغترف من ذلك البحر الزلال * كل مارق وطاب من السحر الحلال ويختار النفيس من اللآل * من معدنها المباح له في الغدو والآصال * فما

كذب اذا من أطنب فيه المقال * ولا ينسب الى الاتيان بالمحال .

ولما حسن ذكره وتأكدت الثقة به وتحلى بمحاسن الصفات ورآي منه جده القدرة على القيام بمعالي الأمور قدمه على جباية الحقوق الشرعية وغيرها من مطالب بيت مال المسلمين فقام بما عهد اليه قيام عاقل حكيم يعامل الرعية بكل رفق وسياسة وصار ينتقل من حي الى حي حتى استخلص مطالبه بطيب نفس لا ازعاج ولا قهر فيها لأحد الى أن بلغ مجتمع بقايا ابن فندين فطالبهم برفق حتى استوفى حقه وقبل ان يرتحل عنهم سمع بعضهم يقول وهو يعنيه (يابن المهدور دمه) فتغافل عنه وأوهم الحاضرين بأنه لم يسمع ذلك أو لم يدرك المراد منه ولم يفه ببنت شفة سياسة ودهاء وتأدباً مع جده بعدم الدخول في أمر كهذا قبل استئذانه وهذا يعد من نتائج تلك التربية وذلك الارشاد * فما أحسن العمل بالعلم . وما أبهى مراعاة الحقوق وجانب الأدب . وما أسلم عواقب الثبات . وما أشد تأثير الدهاء ونفوذ أعمال السياسة . وبعد استيفاء ما كلف بجمعه من الحقوق قفل راجعاً يحمله تيار الغيظ الى ان وصل (تيهرت) وفي الحال دخل على الامام جده وباح له بما حل به وما سمعه من القول فأمره بالصبر والكتمان وعرفه بما لسفك الدماء في نظر الشرع العزيز من التعظيم وأفهمه بأنه سيأخذ بثار والده متى وجد لذلك سبيلا شرعيا بينة لا تقبل الشك ولو طالت المدة وامتد الزمان ان ساعد القدر وكان للعمر مجال يسع ذلك . ثم عمد الى البحث على الجاني وثابر على ذلك حتى اتضح جلياً بالحجة التي لا ريب فيها ان ذلك القائل من القاتلين لميمون الممثلين به فأرسل في طلبهم فامتنعوا واحتموا بمن كان معهم من بقايا قوم ابن فندين

الأخذ بثار ميمون

فوجه اليهم حينئذ جيشاً يرأسه ابن ميمون المذكور فوافاهم في مواطنهم على مسير أيام من المدينة مستعدين للقائه متحصنين وما كاد يصلهم حتي شمروا لمبارزته وصففوا صفوفهم وأوقدوا نار الحرب والتحم القتال بين الفريقين مدة أظهر فيها ابن ميمون من البسالة سعياً وراء ثار والده ماشتت أعدائهم فولوا الأدبار منهزمين وتركوا من قتلاهم مايكثر عدده وقد قيل ان بعضهم رام حصرهم ولما رآى كثرتهم عمد الى أقل الاسماء استعمالا عندهم وهو هارون فعد من سمي به من القتلى فكانوا ثلاثمائة فانكسرت من هذه الوقعة شوكتهم وتفرق جمعهم وأخلد من بقي منهم الى الطاعة والانقياد فاستراح الامام عند ذلك وعمت الطاعة سائر رعيته. الا أن بسبب توالي هذه الوقائع وحصول هذا الافتراق في عصابة هذه النحلة وهو أول افتراق وقع فيها صارت الدولة مظنة للضعف ومرمى لسهام الطاعنين والطاغين من سائر الفرق الأخرى الداخلة تحت سيطرة هذا الامام ولوائه .

ولشدته رضي الله عنه مع ذلك في اقامة الحدود الرعية والانتقام من كل من ظهر منه انتهاك حرمة من شعائر الدين المقدسة تضايقت النفوس الميالة الى الهوى وحب اللذات والشهوات انقياداً لقائد الاغراض وطلباً لحل عرى عقدة الاجتماع القاضية بالضغط على النفوس الشريرة والمنع من تنفيذ المقاصد الخبيثة . ثار الثائرون من ذوي العصابات القوية والأتباع الكثيرة من رؤساء المشائر والقبائل من اخوانه الاباضية وغيرهم من الفرق الموجودة تحت لوائه كالواصلية من المعتزلة وكالصفرية والازارقة والعجم فتكدر صفو الخواطر وتغير سماء الراحة وكثرت الآراء والاقوال واتحل البحث في

المذاهب وعظم الجدال وفشت المناقشة في المسائل الخلافية بين علماء الفرق وأهمها مسألة الامامة فقام كل فريق يطلب الاختصاص بها ويدعي انه أولى وأحق بها ويقيم علي ذلك الحجج ويرتب الأدلة

فعظم التباغض وظهرت مبادئ الاختلال والفساد ونبغ في كل جهة داع للجدال ومناد بالمبارزة والنضال وشنت الغارة في الأطراف ونصبت أعلام الفتن والحروب فسفكت الدماء (بين أهل الاسلام والامر لله) وقطعت المواصلات من الجهات لعموم البلوى بقطع السبل ونهب الاموال فكان ذلك سبباً لنهوض الامام رحمه الله واقتحامه المفاوز والوهاد لكبح جماح الطاغين وقطع دابر المفسدين فشمر عن ساق الحزم وكشف عن ساعد الجد وجمع العساكر وجهز الجيوش ووالى الحروب الهائلة وصرف الأموال الطائلة حتى أخمد نيران تلك الفتن وشتت شمل تلك الجموع القوية الطاغية بعد وقائع يشيب لهولها الشباب وأعظمها خطراً تلك الحروب الواصلية . .

خروج الواصلية من المعتزله عن الامام

وحروبه معهم

كانت الواصلية وهي فرقة من المعتزلة في جموع قوية عددا وعدة بجهات المغرب وهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة لهم رئيس في مدينة قريبة من مدينة طنجة وهو الذي بايع ادريس صاحب المغرب الأقصي وكان بنواحي تيهرت منهم فريق لا يقل عن ثلاثين وقيل عن أربعين ألف مقاتل فيهم من مشاهير العلماء وأبطال الحرب وأولي الثروة عدد وافر لا ينكر قدره يفوق الكل رجلان أحدهما عالم غاثر الاجة حائز قصبة السبق في ميادين المناظرة

ذو علوم جمة ولسان طلق ومنطق بليغ وله في المجادلة أطوار وطرق يعجز دونها فحول العلماء فغدا معجب بنفسه فأضحى يزخرف للملا مذهبه ويزين حججه ويطلب مناظرة كل من ينسب الى العلم من علماء غيرهم من الفرق وبفوزه في مواطن متعددة تطاول الى الامام وفتح معه أبواب البحث وجرت بينهما محاورات عديدة كاد الامام يعجز فيها عن الجواب .

* والآخر وهو ابن رئيسهم فتى عرف بالشجاعة وشدة الاقدام والبسالة وشهر بالفروسية والبطش بكل من بارزه حتى صار أشهر من نار على علم في في تلك الاقطار .

* فاهتدت رجال هذه الفرقة الى تأليف القلوب وبث روح التعارف بين افرادها حتى اتحدت كلمتهم وتوحد رأيهم فقامت تشق عصا الطاعة تأسياً بابن فندين وتطلب الاستقلال والخروج عن حكم الامام زاعمة انها في درجة يمكنها ان تحكم فيها نفسها بنفسها وان تقوم بادارة شؤنها وكأنها رأت ان من العار عليها خضوعها لمخالف لها في المذهب مع وجود رئيس لها يدعي الامارة . ولعل هذا الرئيس أغراها على ذلك فتكاتب رؤساؤها على الخروج ومناصبة الامام الحرب وأتوا من أقاصي الأطراف رجالا وعلى كل ضامر من كل حدب ينسلون حتى اجتمع منهم وممن انضم اليهم ممن يسعى في الارض فساداً من غيرهم قريباً من المدينة جيوش غطت السهل والجبال فناصحهم الامام المرة بعد المرة وخوفهم الوعيد وكرر لهم الارشاد والتنبيه ودعاهم الى ترك ما به ضلوا والى الاستسلام والسكون فلم يكن منهم الا العتو والعناد والجهر بانكار امامته ثم بدأوه بالحرب فصار يجهز اليهم العساكر ويسوق الجيوش فتظفر تارة وتنهزم أخرى وفي كلها لم يدرك ذلك

الفتى ابن الرئيس المتزلي أحداً من الفرسان الا ويقتله ويتولى سلبه حتى تقهقرت امامه الأبطال وطارصيته فهابه كل موسوم بالشدة والبسالة ولما كان الامام لايقل عن درجة والده في الدهاء ان لم يتجاوزها وعلم انه قد انتقل من حرب قوية (حرب ابن فندين) الى حرب أقوى منها مع قوم هم أشد من الاولين بأساً وأكثرهم قوة وان الاسترسال في ذلك ربما يؤدي به الى مالا تحمد عقباه دعاهم الى الاتفاق على هدنة الى أمد معلوم يكف فيها القتال ويقصر فيها الفساد وينظر فيما هم قائمون لأجله ولعله يهتدي الى ما فيه اصلاح الحال فأجابوه الى ذلك وكف القتال واستراح الناس .

طلب الامام الاعانة الحربية من جبل نفوسه لمحاربة الواصلية

لما أنهى الامام عقد الهدنة مع الواصلية صرف همته الى الاستعداد لهم وتهيئة مايطفئ به جذوة نفاقهم ولما كان جبل نفوسة وما يليه من حيز طرابلس من جملة ولايات مملكته التي تدين بطاعته وتتفانى في رضائه وفيه من أهل النجدة والشجاعة وأبطال الحرب وفحول العلماء مايعد بالالوف رأى ان يطلب منهم الاعانة على مستقبل حروبه . فأرسل الى عامله بالجبل كتاباً طلب منه جنداً يتألف من أربعمائة نفر مائة منها من خيرة فرسان نفوسة وصناديدهم الممارسين لفنون الحرب الماهرين فيها الموصوفين بشدة الاقدام . ومائة من المتبحرين في علم التفسير . ومائة من علماء الكلام الواقفين على نزغات الفرق العارفين بطرق الرد على المخالفين ونقض مقالاتهم . ومائة من العلماء المتضلعين في مسائل الحلال والحرام .

ولما بلغ العامل أمره المطاع جمع أهل النظر في الامور وأصحاب الرأي

وعرض عليهم كتاب الامام و بعد مذاكرة وتربص في الأمر اتفقوا على توجيه أربعة من خيار رجالهم قد شهروا في اصنافهم بعلو المنزلة والكمال ليقوم كل واحد منهم مقام مائة ممن طلبهم الامام وهم العلامة المتكلم مهدي النفوسي والعلامة المفسر محمد بن يانس . والعلامة الفقيه أبو الحسن الأبدلاني . والفارس الشجاع البطل الشهير العلامة أيوب بن العباس .

* فأرسل العامل اليهم ولما حضروا عنده أخبرهم باتفاق اخوانهم المسلمين على ارسالهم الى المغرب اجابة لطلب الامام فأجابوا بالسمع والطاعة مسرورين وبعد أن هيئوا أنفسهم للسفر وودعهم اخوانهم ودعوا لهم بالفوز ساروا على بركة الله ملحوظين بعنايته محفوظين برعايته .

ولما تجاوزوا حد جبل نفوسة ودخلوا البادية احتاجوا الى من يقوم بخدمتهم فطلب ابن يانس وهو منهم ان يتولى ذلك بنفسه وان يقوم بأمورهم الى أن يصلوا المغرب فامتنعوا وأبوا نظراً لعلو مقامه ورفعة مكانه عندهم فألح عليهم في الطلب الى أن ساعفوه وصار كلما نزلوا منزلا هيأ لهم مقعدهم ومصلاهم وربط خيلهم وأحضر لهم الطعام والماء حيث يلزم للشراب أو الوضوء ثم اذا صلوا وناموا قام الى التهجد والصلاه فيظل راكعاً ساجداً حتى يطلع الفجر فينبههم ويهيء لهم الخيل وبعد الصلاة جماعة يركبون وكان هذا دأبه ودأبهم وهو صائم النهار قائم الليل فشق عليهم الأمر شفقة عليه فسألوه الرفق بنفسه والتخفيف مما هو عليه اما بترك الصوم واما بترك جانب من السهر والقيام بالليل فأبى الا التمادي وأبوا الا التخفيف ولما لم يمتثل قالوا له اما أن تترك السهر واما ان ننظر غيرك لخدمتنا . وأما قيامك بخدمتنا بالنهار مع الصوم والقيام بالليل الى الصباح فلا نرضاه منك بعد هذا اليوم وان

لنفسك عليك حقا فحافظها .

ولما لم يجد ملجأ مما الزموه به قال لهم اني رضيت بحكمكم الا اني أستأذنكم في صلاة ركعتين كل ليلة مع البقاء على خدمتكم فرضوا بذلك وأذنوا له .

وفي الليلة المقبلة قام بعد أن ناموا ليصلي الركعتين فقرأ في الاولى النصف الاول من القرآن وفي الثانية النصف الثاني وما سلم حتى طلع الفجر ففطنوا له فازدادوا اشتغالا وقالوا له قد نهيناك عن طريق فسلكت أشد منه فانك كنت تستريح في كل ركعتين برهة من الزمن لقراءة التحيات فصرت تقف من العشاء الى الفجر فارجع الى ما كنت عليه أولا فانه أخف مشقة وقد رضينا بك خادماً .

فرجع الى ذلك ولم يسأم رحمه الله ولم يقطع عادته طال الليل أم قصر صحا الجو أم أمطر الى أن وصلوا تيهرت . ومما يحكى عنه انه قام حسب عادته في ليلة ذات برد شديد ورياح عاصفة ومطر قوي فانتبه أحد رفقائه فرآه واقفاً يصلي والريح تعبث بطرف كسائه كالعلم فقال ان كان لا يدخل الجنة الا من كان مثلك يابن ياس ستصيبك فيها الوحشة . فلله دره من مجاهد صابر مخلص جامع بين خدمتي الظاهر والباطن ورحمه الله رحمة واسعة . هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما الامام فانه بقي في انتظار جيش نفوسة منذ أرسل الكتاب الى الجبل ونذر أن يعتق من يبشره من مماليكه بوصوله فصاروا يترقبون ويقفون على قارعة طريق الشرق ويستخبرون من القادمين أخبارهم وكان له مملوك أعرج لا يقدر على الخروج فلازم احدى شرافات السور ناظراً نحو طريق

الشرقيين غير غافل عن المماليك الواقفين هناك الى أن رآهم يوما يتسابقون الى المدينة فأدرك انهم ماتسابقوا الا ليبشروا بوصول الوفد فنزل ودخل على الامام قبل أن يصلوا وأخبره فوفاه بما وعد به من العتق ولما وصل الآخرون ليبلغوه الخبر قال لهم (فاز بها الاعرج) فأرسلها مثلا وهو أول من قالها ثم وصل النفوسيون واذ علم انهم أربعة لاغير وقع في نفسه ماوقع من انهام نفوسة بالتقصير في اعانته اذ طلب أربعمائة وقبل أربعة آلاف وجاءه أربعة رجال فقط .

* فأمر بانزالهم في دار الضيافة وبعد استراحتهم اجتمع بهم وأظهر لهم السرور التام بقدومهم وان كان في نفسه من الانكسار ما كان .

* وبعد أن أخبروه بوظائفهم وبما كلفهم به اخوانهم وتعهدوا لهم بالوفاء به طابت نفسه وقال لمهدي اصغ الي حتى أعرض عليك ماجرى بيني وبين المعتزلي من المحاورات لتكون على بصيرة من الامر وتعلم مقدار معرفته فأصغى اليه وصار يسرد له الحديث وكلما رأى خطأ في كلام المعتزلي قال ها هنا حاد عن جادة الصواب وسفسط وكان من الصواب ان تجيبه يا أمير المؤمنين بكذا وكذا فأطلع الامام عند ذلك على جميع خطاء المعتزلي في كلامه وأدرك حيلته في السؤال والجواب فازداد بذلك سروراً ورجا بلوغ القصد وهمّ بالأمر بالمناداة في القبائل للاجتماع وفتح باب المناظرة أولا ثم المبارزة فقالوا له دعنا أياماً نستريح فيها وتستريح دوابنا فقد أضناها السفر ولحقها التعب فترك الامام ماهمّ به والنفوس من الفريقين في اشتياق الى رؤية النفوسيين اذ كان لمجيئهم صدى أطبق الاقطار .

* وفي بعض تلك الايام تغيب مهدي عن رفقائه من الصبح ولم يأتهم

الا في الليل فغلط في عجين كان في وعاء بجنب عشائه فأكله وبعد أن أتمه قال لهم أري ان عشاءكم لم ينضج كثيراً واذ تحقق غلطه قال اني أحمد الله على ثلاث خصال لم أرها لغيري * أنفي أربي من كل طعام صادفته ولا يلحقني ضرر منه *وأقل شيء من النوم يكفيني ولا يضرني السهر ولو توالى. ولا أخاف باذن الله مخالفاً ان يدحض حجتي الا ان داهنت في دين الله. (لا سامح الله) ثم قال لهم قد أتممت في هذا اليوم تسعين عالماً من المخالفين واسترحت منهم والحمد لله. ولما قرب انتهاء مدة استراحتهم تقدم أيوب الى الامام وقال له ان جوادي قد أضعفه السير وأدركه الحفاء وأخاف أن لا يقوم بحاجتي عند مبارزة فارس المعتزلة فاختر لي غيره من خيل بيت المال فأمره الامام ان يدخل المحل ويختار ما أعجبه منها فدخل وكلما رأى جواداً حسن الصورة قوي البنية قبض على ناصيته بيده وجذبه اليه فلا يثبت ويكاد يقع على ركبتيه فيتركه وينتقل لغيره وكهذا حتى أتى عليها كلها ولم يجد فيها ما يناسبه فقال علي بجوادي فأوتي به اليه وفعل به كما فعل بغيره فرآه لم يتزحزح عن مكانه وأرسى أرجله في الارض ثابتة كأنها ضربت بمسامير فقال البركة في البرذون فأرسلها مثلا وأخذه وعالجه بالدهن والرمل المحمس حتى زال ما به من أثر التعب.

المناظرة والمبارزة

وبعد أن انتهت مدة استراحتهم دعا الامام المعتزلة الى الطاعة فأبوا فنادى مناديه بالحضور الى المناظرة والمبارزة فهرعت من الفريقين أمة كالجراد المنتشر شاكة السلاح في خيول تدك حوافرها الجبال ورجال تذيب لامة حربها مهج الابطال أزعج ضجيجها الثقلين وسد نقع غبار حركتها ما بين الخافقين في يوم

بلغت فيه أرواح الفريقين الحناجر، وخطب فيه خطباء الرخم والسباع على المنابر وزلت فيه عند الامتحان أقدام الطاغين ورفعت فيه رايات النصر لاهل الحق المبين وكان القائم بأمر المناظرة في هذا اليوم المشهود من الاربعة المذكورين ذلك العلامة المقدام السميذع الهمام خائض لجج الفنون على الاطلاق، حائز قصبات السبق في ميادين السباق، الشيخ مهدي النفوسي بعد أن عرضها على العلامة ابن يانس وقال له تقدم أنت ولست بأعلم مني ٠

* وكأن المعتزلي داخله الرعب أو قصد الخيانة فقال لمهدي ماناولا بداء عوراتنا للناس وكلانا ممن شهر في قومه ونال الصيت البعيد فهلم لنتعاهد على أن يستر كل منا صاحبه سواء حاجتني أم حاجتك ولا يعلم أحد بمن كانت له الغلبة منا على صاحبه فأجابه مهدي لذلك وقد أدرك انها مكيدة منه وقال لأصحابه اني قد عاهدته على الستر وعدم التكلم ولكن اذا نزعت القلنسوة من رأسي ووضعتها تحت ركبتي فادركوا اني قد فزت عليه وظفرت بالقضية٠

* ولما خرجا الى ما بين الصفوف ومع كل منهما خواصه من العلماء كان الامام معهم فتناظرا في المسائل الخلافية وأطالا في ذلك ودخلا ابوابا وفنونا صعب على الحاضرين فهمها حتى كان الكلام بينهما كصفق الحجر لايدرك أحد من الحاضرين معنى له على ما قيل ثم عجز المعتزلي وسلم ٠

* فنزع مهدي قلنسوته كما وعد به أصحابه فكبروا لما رأوا ذلك تكبيرة رجل واحد بلغ صداها عنان السماء فبهت المعتزلي وقال غدرت يا مهدي وخالفت العهد وما هكذا كان الوعد بيننا وقاما والفخر يصاحب هذا والقهر يوازر ذاك فبرز على أثر ذلك فارس المعتزله وابن رئيسهم في هيئة مرهبة شاك السلاح على جواد سابق وهو يزأر كالاسد ويرمح كالعقاب ويظهر

للناس من أنواع فروسيته ماجعلهم في غرابة وعجب .

* فخرج أيوب من بين الصفوف يقود جواده مع سكينة وهدو الى أن ترا آي للفريقين وكانت العيون شاخصة لرؤيته مصوبة السهام نحوه من كل الاطراف لما يبلغهم من أخباره في الفروسية وشهرته ولما أراد الركوب وكلهم ينظرون تجاهل فركب من جهة اليمين خلافاً لما هو المتعارف عند الناس من الركوب من جهة الشمال .

* فضحك المستعجلون من المعتزله الذين لا علم لهم بمكائد رجال الحرب واستبشروا وضمنوا الفوز لصاحبهم الا والده فانه أدرك ذلك في الحال وقال متأوهاً وقلبه يرجف ولسانه يتلجلج هيهات هيهات الآن حل أجل ولدي اذ جاء قاتله بلا شك .

* فسأله بعض الناس عن ذلك فقال ألم تروا كيف تدلى اليه فرسه ولا يفعل الفرس ذلك الا مع الفارس الحاذق .

* وبعد أن استوى مهديـے على ظهر جواده قذف حربته في الهواء كما هي عادته حتى كادت تغيب وكانت تزن ثمانية عشر رطلا وهيأ لها رمحه فجاءت فيه مستوية متمكنة لا تحتاج الى تركيب وذلك أول ما ألقى به الفزع في قلوب الناظرين فاستعظموه وهالهم أمره ثم جال في ذلك المضمار جولات الاسد الضائر وأقبل وأدبر مع المعتزلي على جواد كالعقاب الطائر .

﴿ مكر مفر مقبل مدبر معا . كجلمود صخر حطه السيل من عل ﴾

حتى رآى منه الاقران من فنون الاحتيال وغريب طرق الفروسية في النزال وبديع الخداع في الاقوال والافعال ماقذف في قلوبهم الرعب

وصدهم عن القتال .

* وما كان غير ساعة حتى التقم فارس المعتزله وابن رئيسهم التمام عصا موسى سحر سحرة فرعون وجندل به الارض مع ذلك الجواد المستأسد وذلك السلاح المكنون فتحمست المعتزله وزحفت الى القتال فتسعرت نار الحرب بين الفريقين برهة من الزمن حمى فيها الوطيس واشتد الخطب وعظم المصاب وكان افلح بن الامام وأيوب يجزان الهام ويشتتان الصفوف ميمنة وميسرة الى أن سقط في أيدي القوم ورأوا أنهم قد ضلوا وضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله وولوا الادبار منهزمين وقدمات منهم خلق كثير حسبوا منه ماقتله افلح وما قتله أيوب فوجدوا لايوب قتيلا زائداً على أفلح وكأن كلا منهما استقل بجهة والا فكيف يصح تمييز ذلك خصوصا في يوم كذلك اليوم المزدحم والله أعلم.

* وكان أيوب قد أحس في اثناء الضرب بزلزلة شديدة في ذراعه فاخبر بها بعد ذلك وقال انى قد ضربت شيئا صلبا لا أدري ما هو ولا أظنه آدميا فتصفحوا القتلى فوجدوا بينها عمودا قائما ولما جسوه بأيديهم وقع الى الارض نصفين فعلموا أنه هو الذى أخبر به أيوب وقد ضربه وهو يظن أنه رجل وكان لسيفه مقدار شبر لاحد له مما يلي مقبضه لكي لا يضره ان جعله على عاتقه اذا سئم من حمله أو تعب من الضرب به وبعد استسلام المعتزلة واقرارهم بالطاعة التامة لم يبق لهم طمع ولا رجاء في القيام بعد هذه الحادثة

* فعاد الامام الى عرش خلافته يكتنفه الظفر ويتوجه الفخر وقد ناله من الجذل ماحمله على نشر الثناء الفاخر والذكر العاطر على ذلك الوفد

النفوسي المنصور .

استدعاء المعتزله أبا العباس للضيافة

بقصد الغدر به

ثم بعد ذلك بيومين على ما قيل ارسل وجوه المعتزلة الى أبي العباس يدعونه للضيافة عندهم فمنعه خواص المسلمين وحذروه الغدر به فأبى الا اجابة دعوتهم والمسير اليهم ولما وصلهم رحبوا به وأظهروا له من أنواع التبجيل ما ظنوا انه أغتر به ولدى اجتماعهم وتبادل الرأي في كيفية غدره وقتله رأوا أنه لا يمكنهم ذلك وهو في اليقظة لما علموه من شدة باسه وأجمعوا أخيراً على أن يكثروا له من الاطعمة الجالبة للنوم حتى اذا نام قتلوه فقدموا له عند العشاء قصعة طعام عليها عجل صغير برمته وقربة من اللبن الحامض وكان رحمه الله عظيم البنية جداً كثير الاكل فاستوفى الطعام أكلا وانتقى العظام عظما عظما وشرب ذلك اللبن كله اظهاراً للقوة أمامهم اذفهم مرادهم من ذلك ثم استوى في وسط الخص متربعا وأخذ في تلاوة القرآن العظيم حتى طلع الفجر فصلى الصبح بوضوء العشاء اذ لم ينتقض لا بنوم ولا بحدث وكأن ما أكله من الطعام واللحم وما شربه من اللبن لم يكن شيئا مذكورا

ولما طلعت الشمس طلب جواده ليذهب فأحضروه وقد أبهرهم ما رأوه منه في تلك الليلة وقالوا له ان فتيان الحي طلبوا منك ان تعلمهم شيئاً من الفروسية ومما عندك من فنون الحرب فقال أجل وليحضروا فركبوا خيلهم وبأيديهم قضبان ليعلمهم كيفية العمل بها عوضاً عن السيوف وكان فيهم رجل مشهور عندهم بالاقدام والقوة تعهد لهم بقتله وبينما هم في أثناء التعلم أخذ الرجل في الاحتيال لضربه ففطن له وتغافل عنه حتى

هم به فاتقى ضربته والتفت اليه فصرعه الى الارض ميتا ومال عن يمينه فقتل ثمانية ثم عن شماله فقتل مثلها وصاح بنساء الحي وهن يرقبن ويبكين فقال أزيد أم يكفيكن وترك الكل في نحيب وعويل وتوجه راجعاً من حيث أتى فمر بواد فيه سباع قل من يتجاوزه وينجو سالما ولما أحسوا به تسارعوا اليه فشمر لهم عن ساعده وقطع أرجلهم وتركهم يزحفون وجاز على بعض أحياء البربر فقال لهم من أراد اللحم المكروه فليذهب الى الوادي الفلاني ولما جاء الى الامام ورفقته أخبرهم بما جرى فحمدوا له السلامة وشكروا الله على نجاته وخلاصه من هذه المكيدة * ذكر هذه الحكاية كما سمعتها كل من العلامة الشماخي والعلامة أبي زكرياء رحمهما الله والظاهر ان في كلامهما اختصاراً مجحفاً بما يقتضيه المقام من الايضاح والا ففي بعضها عندي نظر فان استدعاء المعتزلة أبا العباس بعد يومين من تلك الحرب العظيمة مع ما حصل منه فيها مما يستبعده العقل جداً ثم أجابته دعوتهم وذهابه اليهم بدون رفقة كما يفهم من كلام الشيخين أشد بعداً اللهم الا ان تكون الحكاية واقعة قبل اعلان الحرب رسمياً لا بعدها أو كان الذين دعوه لا دخل لهم في هذه الحرب وانه استصحب معه رفقة وأهمل الشيخان ذكرها والله أعلم بالحقيقة. وكان يقول لا أعلم أن لي مقابلا يبارزني فيما بين مصر وفاس. وبعد أن قضوا وطرهم من ﴿تيهرت﴾ في أيام وليالي قطعوها بين احترام وتعظيم ونالوا حسن التوجه من الامام وتزودوا بالدعاء من أكابر العلماء وأفاضل الصالحين والاولياء عطفوا أعنتهم نحو وطنهم ومقر عزهم موطن الفخر والعلاء اذ ذاك ذلك الطود الشامخ عالي القمم والهمم مرتفع الرؤس والنفوس ﴿جبل نفوسة﴾ سيد جبال الغرب ومجمع الفحول من الرجال ومنبع علوم المعقول والمنقول

في ذلك الوقت بلا جدال .

ولهؤلاء الاربعة فضائل ومآثر كثيرة وكرامات ذكر الشماخي رحمه الله بعضاً منها فلتراجع هناك

ومما يؤثر بالذكر من كرامات العلامة مهدي في هذا السفر ماذكره الشماخي من انهم ضربوا أخبيتهم في الطريق أثناء رجوعهم من (تيهرت) لحر أصابهم وكان مهدي خارج الاخبية فسمعهم يتمنون أموراً خطرت لهم فقال أحدهم لا أتمنى في هذا الحر الا لبناً صافياً بارداً وقال آخر مامناي الا شربة من ماء (أيندل) وهي عين بقرب الجزيرة المعروفة بقرب (مدينة شروس) ولم اقف على ماتمناه الثالث ولما سمع ذلك منهم دخل اليهم وسألهم عهد الله وميثاقه على كتمان ماسيطلعهم عليه من السر فاعطوه العهد على ذلك فحل وكاء قربة لهم فيها شرابهم وصب منها لمن تمنى اللبن لبناً خالصاً ولمن تمني الماء ماء لايشك في انه من عين (أيندل) وصب للثالث ماتمناه أيضاً فحمدوا الله على نيل مطالبهم وشكروا فضل مهدي وزادوا في توقيرة لمارأوه من الكرامة على يديه وجدوا السير الي ان وصلوا الجبل وقد خلفوا الامام بتيهرت راضيا مستريح البال لاحرب ولا شقاق ولانفاق الى أن تنوسي الامر بمرور الزمان وبلغ الامن منتهاه وحدث من لم يحضر تلك الوقائع من حديثي السن وقريبي العهد بالدخول في زمرة المعدودين من الرجال وأولي الثروة فنبت في قلوبهم بذر النفاق وسري فيهم سم الخيانة فكانوا سبباً لحصول وقائع وحروب اخرى حملت الامام ودولته مشاق التجهيزات والخسائر القوية في الاموال والرجال وقد ذكرها ابن الصغير المالكي مفصلة على وجه لم يذكره غيره من المؤرخين فخذها على سبيل الاجمال طبقا للقاعدة المتقدمة

حرب أخرى لهذا الامام

(ممزوج) جرت عادة قبائل البربر وغيرهم من سدراته ومزاتة وغيرهما من أهل البوادي أن يرتحلوا من أوطانهم التى يجتمعون فيها من بلاد الزاب وغيره من الجهات في زمن الربيع الى حوالي (تيهرت) وما يليهـا من الاودية والجبال والغابات لما فيها من العشب والاتساع مع الأمن ولما يجري لرؤسائهم عادة من الاكرام والضيافات والاحسان من أقاربهم وأحبابهم الذين هم بالمدينة ومن وجوهها وتجارها مع مشاركتهم في الرأي فيما يختص بمصالح الاسلام والامام ولاداء حق التزاور في الله وصلة الرحم.

* ولما دار في الخواطرها جس الفساد وسرى سم النفاق في صدور أهل البغي والعناد من أهل المدينة كان الارتحال من قضاء الله في سنة من السنين (ولم يعين ابن الصغير تاريخ تلك السنة) خارقا للعادة فجاء من كل قبيلة وفرقة خلق لا يحصى حتى امتلأت المدينة برؤساء تلك العشائر فوجد ارباب الفساد ومن قصد الشقاق من رجال المدينة فرصة لبث وسائل البغضاء وبذر ناقع السم في الدسم فاستمالوا القوم على حين غفلة من انفسهم وناجوهم بالطعن في ولاة الامام وقضاته وأصحاب شرطته وقالوا لهم قد ساقكم الله الينا وأنتم من أكرم الاضياف يسمع لكم القول ويقبل منكم النصح وقد تعين عليكم الدخول الى الامام لتسألوه عزل هؤلاء الولاة وتبديلهم بغيرهم ممن يحمد الناس سيرتهم (ولا يخفي على العالم الخبير ما عليه غالب أهل البوادى من جهل السياسة الحضرية وعدم ادراك الحيل ومقاصد أهل الحضر شأن سائر أرباب البادية) فأثر ذلك في نفوسهم وظنوا أن ذلك من النصيحة في الدين بمكان كبير به ينال المرء عظيم الدرجات

عند ربه .

* فاجتمعوا واستأذنوا على الامام فاذن لهم ولما دخلوا تلقاهم حسب عادته بكل بشاشة وقابلهم أحسن مقابلة وبعد تبادل عبارات التحية قام متكلمهم فحمد الله وأثنى عليه وقال . ان رعيتك ياأمير المؤمنين قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك وقد جئناك نطلب منك أن تستبدلهم بغيرهم ممن يرضونه من خيارهم وبذلك تحوز رضاءهم وتفوز برضاء مولاك .

* فأظهر الامام الارتياح لهذا الطلب وقال لهم جزاكم الله من وفد خيراً فقد افتقدتم من الاسلام مايفتقده من كان مثلكم وها أناذا قدفوضت لكم الامر في ذلك فبينوا لي من ترونه صالحا لذلك لأقدمه .

* فدعوا له وأثنوا عليه بخير اذ ساعفهم فيما اقترحوه عليه وانصرفوا فدخل على الامام بعدهم وجوه رجال دولته وقواده وأهل الاصلاح من جماعة المسلمين وقالوا له ما بال اخواننا أتوك اليوم بأجمعهم وأخليت لهم المجلس وحجبت غيرهم ولعلهم أشاروا بخير ودلوا على صلاح .

* فذكر لهم ماقالوه مفصلا وما أجابهم به فاغتموا وقالوا له قد أسأت الى نفسك والى جميع اخوانك المسلمين ورجالك فقال وكيف ذلك وقد قالوا خيراً وما سألوا شططاً . فقالوا لو كان ذلك منهم لقصد الاصلاح والنصيحة فى الله لهان الامر ولحسن المآل ولكنهم سألوك عزل من أرادوا من رجالك بدون سبب ليحرفوا عنك قلوب العامة ثم اذا فعلت ماطلبوه شكروك وحمدوا فعلك وأتوك بعد ذلك قائلين ان المسلمين قد نقموا عليك أشياء أخرى فاتركها فان أجبتهم الى ذلك شكروك وان أبيت خلعوك ثم لا تأمن

وان أجبتهم الى كل ماسألوه اذ يقولوا الك ان المسلمين لم يجتمعوا عليك في ابتداء أمرك فازدد اليهم أمرهم حتى يجتمعوا عليك ويكون ذلك زيادة في شرفك .

* وعلى كل حال فسئوا لهم هذا هو عين الفساد وأس الاضطهاد .

* فأمعن الامام النظر وقدح زناد الفكر في الكلامين الى أن أدرك سر الطلب وما كمن فيه من المكائد فقال وما الرأي الآن وقد تقدم مني لهم من الجواب ماسمعتموه ولا يجمل بمثلي الرجوع فيما قال . فقالوا له ان الامر في ذلك سهل قال وكيف ذلك قالوا اذا رجعوا اليك غداً لانجاز الوعد فقل لهم ان لناولكم اخوانا لاغنى لنا عن مشاركتهم في الرأي في أمر عظيم كهذا لما فيه من العزل والتولية فيجب حضورهم معنا ثم أجمع بيننا وبينهم فنكفيك مؤنة الجواب ان شاء الله .

* وفي الغد دخل القوم على الامام في الوقت المعين لهم لاتمام ماوعدهم به وبعد تمكن كل من مجلسه سأل مقدمهم من الامام الوفاء بالوعد فقال رضي الله عنه اني على ماعاهدتكم به من قبل ولكني أرى من القبيح بي وبكم أن نستأثر بمثل هذا الامر دون اخواننا لما فيه من تغيير قلوبهم وكسر خواطرهم الموجبين لشتات الرأي والاختلاف فقالوا صدقت وأصبت فأحضرهم ولا نراهم الا موافقين لنا فأمر بهم فحضروا في الحال وقال لاولئك أخبروا اخوانكم بما به أشرتم وبما لأجله اجتمعتم فبينوا لهم عند ذلك مادار بينهم وبين الامام من الكلام فقالوا لهم جزاكم الله عن الاسلام وأهله خيراً على هذا الاهتمام الا انا نطلب منكم بيان علة هذا الطلب والداعي اليه اذلا يخفى على كل عاقل مثلكم ان العزل بدون سبب بين وجرحة واضحة لايمكن

ان يصدر من الامام لما قد ينشأ عن ذلك من المضار فأبرزوا ان علمتم شيئاً يوجب ذلك حتى يجعله الامام حجة عليهم جبراً للخواطر وأما العزل بمجرد سعي السعاة فلا نرى انكم تطلبونه مع ماأنتم عليه من الدراية والعقل فلم يكن منهم الا أن قالوا هذا رأى حادث وأمر مبرم وما هكذا كان اتفاقنا مع الامام بالامس ٠

* ثم خرجوا ممتلئين غيظا حالفين على أن لايدخلوا في أمر دون عزل من سألوا عزله أومحاكمة الامام فشاع خبرهم بين قبائلهم وأنضم اليهم لفيف من الناس ومن كان على رأيهم وظهرت المناقشات في ذلك وفشا الخلاف واتسع خرقه فاستشار الامام رجال دولته ومن تجب مراجعته من ذوي الرأي والعلم فأشاروا عليه بالقاء المواعظ اليهم واعلامهم بحرج موقفهم وانذارهم بسوء عاقبة ماانتحلوه من الشقاق ان لم ينتهوا عما يقولون ثم ان أصروا وأبوا الا العناد والعتو في الارض كانوا بغاة فيجب على الامام والمسلمين ردعهم وقتالهم (عملا بقوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) .

* فعمل الامام بمقتضى هذه الاشارة ولم ير منهم الا الاعراض والعناد والسعي في اثارة الفتنة فشمر لاقتناعهم بالسيف ٠

قال

* فلما رأى ذلك عبد الوهاب ومن معه برز اليهم فما كان الا كلمح البصر الا وجميعهم صرعى الا من شذ وولوا ولم يتبعوا لهم موليا ولا أجهزوا لهم على جريح ثم انصرف عبد الوهاب قافلا بمن معه وولت القبائل الداعية الى مواضعها واستملك الأمر لعبد الوهاب وبقيت حزازات في النفوس في

قلوب عشائر من قتل ثم اشتد أمر عبد الوهاب وقوي وانتقل من حال الامامة الى الملك اه .

﴿ تزوج الامام من قبيلة لواتة وحرب بني مسالة معه لذلك ﴾

« ممزوج »

* لا يخفى أن القبائل الكثيرة العدد قلما تخلو في الغالب من رؤساء متعددين متفاوتين في كثرة الاتباع والمنتسبين اليهم وقد كانت القبائل القاطنة بازاء (تاهرت) على هذا المنوال فكانت في هوارة تلك القبيله الطويلة العريضة من الاباضية رؤساء مقدمون يقال لهم الاوس ويعرفون ببني مسالة فتقرب رئيسهم لرئيس قبيلة لواتة (وقيل لغيرها من قبائل البربر الكبيرة) بقصد مصاهرته في ابنة كانت له توصلا الى تعزيز جانبه بضم تلك القبيلة اليه.

* ولما أحس من له بصيرة وعلم بحقيقة ذلك أشار على الامام بالمبادرة الى تلافي الامر بأن يخطب البنت ويتزوجها او يسعى في تزويجها من يامن شره اضعافا لشوكة ذلك الرئيس وابعاداً له من الالتحام بقبيلة البنت وانضمام القبيلتين بطريق المصاهرة اتقاء من حصول الاتحاد على الفساد والتعصب (وهكذا شأن الملوك في سياستهم حتى الآن فانهم يخافون من حصول الوفاق بين القبائل ولا يطمئنون لكل من رأوا له اتباعا من الرؤساء واصحاب الطرائق لما ينشأ عن ذلك غالبا من الفتن وظهور الثائرين حسبما قضت به التجربة وشهدت به التواريخ بما دون فيها من الوقائع)

* واذ ذاك خطب الامام البنت وتزوجها ولما بلغ خبر ذلك الى الرئيس الأوسي غضب وآلى أن لا يساكن الامام في مدينته وارتحل منها الى واد

ينسب الى هوارة على بعد نحو عشرة أميال من المدينة وهنا لك انضمت اليه عشيرته ومن غضب لغضبه ممن ضاقت بهم سبل الحق وقيدتهم خطة العدل وراموا الزيغ عن جادة الاستقامة ولما صار في جموع كبيرة أعلن الخلاف ٠

* ولم تزل السعاة بين الفريقين رائحة غادية الى أن أوقدت نار الحرب وبدأت بالغارات فأصابت أول غارة لهوارة ولداً لبقال على نهر هنالك يعرف بنهر أبي سعد الله فقتلوه وتركوه ولم يغيروا من حاله ولا من ماله شيئا وثارت الصيحة الى المدينة فابتدر الناس الغلام فأصابوه ولا روح له ولما لم يجدوا فيه تغييراً حاروا في الامر ثم صاروا يبحثون في متاعه الى أن فقدوا خاتما كان في أصبعه ٠

قال

* فكبروا وقالوا هؤلاء قد استحلوا الاموال والسلب اه حل للمسلمين واماهم قتالهم فحملوا قتيلهم وواروه التراب وأخذ الامام في التهيء للحرب والخروج اليهم فاجتمع له من العسكر خيلا ورجلا ما ملأ البقاع واجتمع للآخرين من الجموع ما لم يجتمع لمثلهم

قال

* حتى عدوا في خيلهم من لون واحد الف فرس أبلق وخرج عبد الوهاب بعساكره من المدينة في جموع لا يعلم عددها الا الله واتصل خروج عبد الوهاب ببني أوس . فجمعت جموعها وعبت كتائبها على نهر يقال له اسلان قالوا وكان عبد الوهاب قد أصابته ريح فأمر براحلته فرحلت وجعل عليها محمل وجعل عديله رجلا من نفوسة وقائد راحلته رجلا من نفوسة

وكان القائد ربما عجل ويقال له رويدا رويدا قال فيقال له ويحك انما قيل رويدا فيقول هو ذاك فلم يزل يسير حتى تراآى العسكران آه

مزوج

فرتب الامام قواده وصفوفه وجالت الخيل في ميدان الحرب ميمنة وميسرة وتنازلت الابطال من الصفين والتحم القتال فسد غباره ما بين الخافقين وكلما نظر الامام ذات اليمين وذات الشمال والقلب رآى فارسا فاق الاقران ودوخ الكتائب فيقول من الفارس فيقال له هو ابنك أفلح فقال معجبا به قد استحق أفلح الامامة (فانها انما تنال بامثال هذا الاقتدار لا بغيره)

قال

* فكان أول يوم عقدت له فيه الامامة قال فلم يزل الناس يقتتلون لا يولي بعضهم لبعض الدبر الى أن سال وادي سلى ذلك اليوم دما اه .

* (ممزوج) ولما رآى الامام صبر الفريقين وعدم تزحزح العدو عن موقعه والسيوف تحز الهام ولبرقها لمعان في سحب تلك السهام اشتد غضبه وزاد في الثقل ونادى يادينار زم الخطام وتقدم بنا فنزع زميله النفوسي وخف فرجح الامام به ولما شعر بذلك قال ما بال المحمل فقيل له قد خف زميلك النفوسي (وقد يكبو الجواد والا فان لنفوسة الثبات في الحرب) فقال ثقلوه بحجر ولا زال دينار يتقدم والامام يثقل والنفوسي يخف فيزيدون معه حجرا الى ان هزم العدو وولى الادبار ولحق بجبل نفجان واستكان للطاعة وخمدت نار الفتنة ورجع الامام يحف رايته النصر والظفر فأقبل على ابنه أفلح وقربه اليه ورشحه للامامة .

قال

* وانقطع له (أي لافلح) المنقطعون ودارت الحوائج اليه والعطاء من تحت يده اه .

وصار الامام بعد ذلك في راحة ودولته في تقدم الى ان كان كما وصفه بعد ذلك .

قال

وكان عبد الوهاب هـذا ملكاً ضخماً وسلطاناً قاهراً قد اجتمع له من امر الاباضية وغيرهم مالم يجتمع لأباضي قبله ودان له منهم مالم يدن لغـيره واجتمع له من الجيوش والحفدة مالم يجتمع لأحد حتى انه لقد حكى لي جماعة من الناس انه لقد بلغت بهمته الى ان حاصر مدينة طرابلس وملك المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان اه .

ومدينة تلمسان الآن من اعمال الجزائر وهي نهاية حكمها مما يلي مملكة فاس فيها من الأبنية العجيبة والصنائع المهمة مايستحق الذكر واهلها اولو رفاهية ونظافة غير بعيدين في ذلك عن سكان مدينة تونس ذات الأدب والعلم والحضارة في المغرب بهذا العصر ولهم في التجارة غرباً وشرقاً حسن اقتـدار وقد استبحرت في العمران بعد استيلاء الدولة الافرنجية (فرنسا) عليها تبعاً للجزائر ونمت تجارتها بما جرى فيها من تسهيل طرق المواصـلات والنقل كغيرها من مدن قطر الجزائر وتونس التي لا تبعد كلها في الوضع والشكل والترتيب عن بعضها بعض اذ كان نافخ روح العمران والحضارة العصرية وبث الصنائع على اختلاف أنواعها وفنونها في الكل دولة واحدة .

ــ﴿ عزم الامام على اداء فريضة الحج ﴾ــ
ــ﴿ ومروره بجبل نفوسة ﴾ــ

* ولما رأى الامام رحمه الله من سائر اتباع دولته كمال الانقياد واستيلاء الامن والعافيـة على البلاد وانقطاع دواعي الفساد وجرثومة العتو والعناد حن متشوقا الي زيارة ضريح أفضـل الخلق على الاطلاق نور الوجود . ونبراس اليوم المشهود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الابرار والى تلك الديار المقدسـة الطاهرة . وقد علم من نفسه رحمه الله انه ممن تعين في حقه القيام بأداء فريضة الحج المعظم لما لديه مما أتاه الله من فضله من الثروة الواسعة اذ كان رحمه الله قبل تحمله أعباء الامامة من أعاظم أولي الاموال الوافرة في عصره فكانت تجارته في أشهر المدن والجهات كالسودان والحجاز واليمن والبصرة وغيرها من مدن الشرق حتى قال شاهداً على نفسـه بالغني شـكراً لله تعالى وتحدثاً بالنعمة مامعنـاه ﴿ لو لم أكن الا أنا وابن جرني وابن زلغين لأغنينا بيت مال المسلمين بما علينا من الحقوق الشرعية ﴾ فهو ذو ذهب وفضة . وابن جرني فلاح عظيم كانت زكاته في السنة آلاف حمل من البر والشعير وقيل ان أندر زرعه يرى من مسافة أيام كالجبـل . وابن زلغين ذو ابل وغنم له من ذلك مايعد بمآت الالوف ذكر المؤرخون ان له من صنف الحمير وحده اثني عشر ألف حمار .

* وبعد أن أبرأ ذمته من التباعات وقضى ماعليه من المطالب ديناً ودنيا امتطى متن جواده مستصحباً معه (زوجته) وتوجه الى الحجاز مع البر في جمع كبير فمر على جبل دمر وأقام فيه أياماً اعترفوا له فيها بالامامة وقدموا له البيعة مباشرة واستعمل عليهم عاملا يعرف بمدرار .

* وله هناك مسجد كبير ومصلى مشهور به في موضع يقال له (تلالت) فيه رخامة كان يستند اليها تساوي رأسه عند قعوده وقد ذكر صاحب السير رحمه الله وهو من علماء آخر المائة التاسعة انها في وقته تساوي صدر الواقف وكأنه رحمه الله كابنه أفلح عظيم البنية. وله في وادي تناوين بجهة أفريقية مصلى أيضاً أصلح خرابه العلامة الشماخي رحمه الله باعانة مجاوريه من العرب كما حكاه في سيره أثابه الله.

* ثم سار الامام من جبل دمر الى أن دخل حدود جبل نفوسة وبينما هو يسير بين المنازل والقرى الغربية اذ أدركه المطر واشتد البرد وكان ذلك بالقرب من قرية (ويغو) الكائنة فوق جبل مدينة (سروس) وهي قرية جميلة المنظر تدل اطلالها ورسومها العتيقة على اتقان صنعة بنائها. فقصد الامام دار العلامة مهدي فيها فوجدها دار رجل زاهد عابد لاغطاء ولا وطاء وقد حصل للامام ومن معه من البرد والمطر تعب كبير.

* وكان الشيخ فرج بن خالة مهدي رجلا مترفا متحضرا ذا بسطة في المال وكثيراً ماعاتب مهديا على غلوه في التقشف والاعراض عن الدنيا وكأنه يميل الى استحسان أمثال قولهم « لا يستقيم الدين الا بالدنيا. وقول الشاعر.

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الجهل والافلاس بالرجل

* فيعكس مهدي عليه القضية ويعاتبه على اشتغاله بالدنيا وتعلقه بأسباب جمعها تعلقا زائدا حتى انهما اجتمعا ذات مرة بتيهرت بين يدي الامام قبل قدومه الى الجبل فشكا له كل منهما صاحبه فقال مهدي ان ابن خالتي هذا يا أمير المؤمنين قد اشتغل بدنياه حتى كاد يضر بآخرته وقال فرج ان مهديا

هذا ابن خالتي وقد اشتغل بآخرته حتي أجحف بدنياه وطالما نهيته عن ذلك
ولم يقبل فمن المصيب منا ياأمير المؤمنين . فسكت الامام ولم يرد لهما جوابا
الى ان كان قدومه هذا الى الجبل بعد سنين متعددة وبينما هو بدار
مهدي على ما وصفناه من عدم توفر أسباب راحته من مشقة السفر والمطر
اذ أقبل ابن خالته من غيبته فطلب منه نقل الامام ومن معه اليه فساعفه
وفي الحال حضرت الخدم وهيأ لهم ولدوابهم مايكفيهم من المحلات
وخصص لكل واحد منهم فراشاً ووسادة وغطاء وبدلة ثياب نظيفة
طاهرة ونشر أثوابهم المبلولة بالمطر وقدم لكل واحد كانوناً من الجمر
أمامه وأحضر لهم في الحال ما كفاهم من أنواع الطعام الفاخر وأكرم
دوابهم بما لزم من العلف والشعير وبسط عليهم مما لديه من الخير ما
جعلهم في راحة تامة .

* واذ ذاك تذكر الامام الحكاية المتقدمة فدعا مهدياً وقال له قد حاجك
ابن خالتك يا مهدي (لأن للدنيا في اقامة الدين يداً طولى) . وقد تعجب
القوم من استحضار فرج في أقرب وقت على حين غفلة تلك الكوانين كلها
ويقال أنها محابس فخار كان اعدها للغرس . وكأنهم كانوا يستعملونها على
نحو مايستعملها الناس اليوم في المدن . وهذا دليل على أنهم كانوا أهل اعتناء
وعمل للدين والدنيا لا أهل بطالة وكسل على حد قول حكيم زمانه وامام
أوانه العلامة أبي نصر الملوشائي النفوسي رحمه الله

احب فتى ماضي العزائم حازما * لدنيا وأخرى عاملا بالتشمر
وأما أخو النومات لامرحبا به * ولا بالجثوم الراكد المتدثر

* وبعد أن قضى الامام في قرية (وينو) أياما استراح فيها من تعب

السفر ارتحل الى بلدة (ميري) وهي قرية متوسطة بقرب حصن بني زمور المشهور في التواريخ ولبلدة ابي يحي التردتي وبلدة أبي الشعثاء السنتوتي مستجابي الدعاء الشهيرين في جبل نفوسة بالعلم والورع والكرامات الباهرة وتعرف تلك الناحية في زماننا هذا بناحية الرجبان لعمرانها بعد خرابها وجلاء نفوستها منها بعرب يسمون بهذا الاسم يتمذهبون بمذهب الامام مالك وهي تابعة في الحكم الآن لحاكم فساطوا المقيم في بلدتنا (جادو) المسماة باسم مدينة جادو المشهورة في التواريخ التي خربتها قبائل العرب عند ضعف نفوستها ولا تبعد عنها الا بمقدار نصف ميل تقريبا .

منع نفوسة الامام من الذهاب الى الحج وخبر « ذلك »

ولما فشا خبر توجه الامام الى الحج اجتمع العلماء وأصحاب الرأي من نفوسة وغيرهم واتفقوا على منعه والتعرض له خوفا من غدر ملوك الشرق (بني العباس) به ومن قبضهم عليه لان الملك في تلك الاقطار لهم . ولانهم كانوا منه في رعب شديد .

* فاستأذنوا عليه فأذن لهم ولما دخلوا وأخذوا مجالسهم قام متكلمهم وقال انك قد تقلدت يا أمير المؤمنين أمور المسلمين فأحسنت السيرة وقمت بالعدل ولا يخفاك ما لملوك الشرق نحوك من الحقد وخبث النية وانا لنخاف أن يقبضوا عليك أو يغروا أحدا على قتلك فتعظم مصيبتنا وتضيع الحقوق وتتعطل الاحكام . ولذلك اجمع اخوانك المسلمون الرأي على أن يشيروا عليك بالاستخارة في ترك ذلك والرجوع اخذاً بالرخصة (لانه ورد أن الله يحب

أن توخذ رخصه) وما كلفت به من امر الامامة ومصالح الاسلام والمسلمين واقامة العدل شيء عظيم عند الله تعالى .

* وبعد أن أثنى عليهم بما أظهروه من الاهتمام بالدين بين لهم شدة تعلق قلبه بزيارة تلك البقاع المقدسه وانه لا يمكنه الرجوع الا بقول معتمد ظاهر الحجة من أكابر علماء المذهب وكانه لم يطمئن الى الاخذ بقول علماء الغرب بانفراده وبما علمه هو وأراد تقويته بقول علماء المشرق وكان المرجع في الفتوى لاصحابنا في المشرق اذ ذاك العلامة المحدث الربيع بن حبيب والعلامة ابن عباد رضي الله عنهما فارسل الامام اليهما رسولا بكتاب من عنده يستفتيهما في ذلك وبقي في انتظار الرسول الى أن عاد بالجواب . فكان من جواب الربيع جواز اعطاء الاجرة لمن يحج عليه حيث كان مشغولا بامر المسلمين والاسلام مع خوفه على نفسه من ملوك الشرق وكان من جواب ابن عباد سقوط فرض الحج بالكلية عمن كان بهذه الصفة (وبكل أسف لم نعثر على كلا مهما حتى ننقله بعينه)

* فأخذ الامام احتياطاً بقول الربيع واستأجر رجلا من بلدة (تمزدا) بفتح التاء والميم وسكون الزاي وهي من احدي القرى الكبيرة في ناحية جبل فساطو عامرة الآن بالاباضية وفيها قليل من العرب المالكية وبعد أن توجه الاجير الى الحج أقام الامام بقرية (ميري) وكانها من اشهر بلاد الجبل في ذلك العهد ولذلك اختارها لاقامته أو فعل ذلك لانها جاءت وسطا بين طرفي الجبل وبنى فيها مسجده المشهور الآن بمسجد سيدي عبد الوهاب وقد تهدم بعضه لخراب البلدة بجلاء أهلها وتفرقهم في البلاد بتسلط العرب عليهم بالغارة عند قلتهم وفي هذا الوقت يضع عرب الرجبان في وسطه

وفيما يليه من الارض مما يعد من حريمه زرعهم تأميناً له من السرقة كما هي العادة في كثير من القرى والبوادي لما يشاهدونه لتلك المساجد والمقامات من الكرامات حتى هابها المفسدون وطالما نهنا عليهم هنالك على هذا العمل ولم يغن الكلام شيئاً لما عليه العامة في كل الجهات من شدة التمسك بالعوائد وأشدهم تمسكا بذلك أهل البوادي والقرى الصغيرة والتي لاعلم فيها حتى انهم قد يعدون العادة من الدين وان كانت في الواقع معصية فتراهم يهتكون الحرمة توصلا لى الاحترام فيدخلون دوابهم الي المسجد فتبول فيه وتروث ليضعوا فيه زرعهم حماية له باعتقاد البركة فيه وقد زرت هذا المسجد مراراً فوجدته في غاية الاتساع والكبر وما بقي فيه من البناء الاول وانقاضه يدل على ما كان فيه من حسن الترتيب والصنعة طالما عمره هذا الامام بمجالس الذكر العظيم وأضاء فيه الليالي الطوال بالعبادة والقاء الدروس على اختلاف فنونها ويقال ان غالب دروسه في السبع سنين التي أقامها هناك في مسائل الصلاة خاصة ولم يتمها .

* وبالجملة فقد نشر في تلك المدة من درر البيان وجواهر التبيان مااهتدى به كل جاهل واستضاء به كل مظلم وتنبه به كل غافل من علوم زاهره . ومواعظ زاجره . وأحاديث فاخره . عطفت عليه الالباب . وأخضعت له الرقاب . فاتسعت حلقة مجلسه المهيب وانتظم في سلك عقدها العلماء الراسخون وأمها من الفقهاء والعلماء والادباء والعباد وأهل الصلاح من نفوسة وغيرهم من يتلج ذكرهم الصدور ويملأ حديث مفاخرهم ومزاياهم الدفاتر والسطور . فرحم الله الكل ورضي عنهم .

حكاية أبي عبيدة في نهي الامام رحمهما الله

* ويمادون في التاريخ ان خيل الامام ودوابه أفسدت بعض المزروعات والاشجار المجاورة لمرعاها بتهاون الرعاة واهمالهافبلغ الخبر أباعبيدة عبدالحميد الجناوني ذلك الرجل الباسل علامة عصره وكان شديد الشكيمة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عالي الهمة بعيد أباه لايخاف في الله لومة لائم ذا علم غزير وورع زائد وزهد فائق وفصاحة بالغة فأتى الى الامام مستأذناً فأذن له ولما دخل وسلم كما يلزم قال وهو قابض على سيفه مخاطبا للامام ياأمير المؤمنين قد آذيت الضعفاء والفقراء واليتامى بخيلك لاهمال رعاتك فكفها عن المضرة والا حال بيننا وبينك هذا (يعني السيف) فأطرق الامام لحظة من الزمن مفكراً وقال ان كان أبو عبيدة في شيء من هذا القطر فهو هذا فقال له الحاضرون الامر كذلك فقال صدق المشائخ الذين زارونا بتيهرت وأعجبنا حالهم وسألناهم عمن خلفوه في الجبل اذ قالوا تركنا من هو خير منا وهو أبو عبيدة ثم قرب مكانه منه وشرف منزلته ورسخت محبته عنده حتى اختاره بعد ذلك لامارة الجبل كما سيأتي. ذكر الحكاية كل مؤرخينا وفيما ذكروه اختصار مجحف بما يقتضيه المقام بل في كلامهم مايوهم ان الحكاية وقعت بعد وصول الامام الى قرية ميري واقامته فيها وهو أمر يستبعده العقل جداً فان أبا عبيدة مع جلالة قدره وشهرته لايمكن ان يجهله الامام حتى يستفهم عنه بل لايمكن أن يعرف أحداً قبله فالمناسب أن يقال ان القضية وقعت حال مسير الامام بين قرى الجبل قبل وصوله ناحية فساطو وقبل اجتماعه برجال تلك الجهة أو يقال ان أبا عبيدة كان مسافراً في بعض جهات بعيدة ولم يأت

الا بعد وصول الامام واقامته والله أعلم بالواقع وعلى كل حال فالمسئلة دليل قاطع على ما كان لرجال الأباضية من قلة المبالاة في الدين وما كان لائمتهم من الخضوع للحق وقبول المراشد من أربابها والمكافأة عليها بزيادة الاحترام والاعتبار والرضاء التام وفي ذلك من الترغيب في ابداء النصائح مالا يخفى رضي الله عن الجميع .

محاصرة هذا الامام لمدينة طرابلس

* كانت قبيلة هوارة من البربر قبيلة كثيرة الافخاذ واسعة الاطراف ذات جموع كثيرة رجالا وفرسانا تحيط منازلها بطرابلس احاطة السوار بالمعصم وكلها أباضية المذهب والآن كلها مالكية وكانت كلها او غالبها خاضعة لعامل بني الاغلب بطرابلس ثم وقع بينها خلاف كبير (لم يذكر المؤرخون سببه) أدى الى وقوع شقاق فخرج اليها الجند من طرابلس الى وادي الرمل ولما التقى الجمعان وانتشبت الحرب ولى الجند منهزما الى المدينة فاتبعته جنود هوارة اليها وحاصروها قال ابن خلدون عند الكلام على ذلك في الجزء (٦) هكذا

* ثم ثارت هوارة من بعد ذلك على ابراهيم بن الاغلب سنة ١٩٦ وحصروا طرابلس وافتتحوها وخربوها وتولى كبر ذلك عياض ووهب آه ولا ذكر لهذين الرجلين في كتب الاباضية أصحابنا ولعلهما في غير الولاية عندهم . ولما ضاق الحال بالجند خرج هاربا الى ابرهيم بن الاغلب بافريقية وكان بمدينته القيروان والياً لهارون الرشيد ثم لابنه الامين.

ولما بلغه بعد أن لاقى من الخسارة في الاموال والرجال شيئا كثيراً وجه الى طرابلس ابنه عبد الله في ثلاثة عشر الف فارس وعدد وافر من

الرجال وجدد القتال مع هوارة حتى كاد يأخذ بثاره منهم فاستغاثوا بالامام عبد الوهاب ولما لم يمكنه الا تلبية دعوتهم للعلاقة المذهبية ولما في اغاثة المظلوم للقادر من الثواب الجزيل جهز من الجبل جيشاً جراراً وسار به حتى نزل على المدينة وحاصرها محاصرة شديدة مدة من الزمن لم يبينها المؤرخون فسد عبد الله باب زناتة وصار يقاتل من باب هوارة وفي أثناء ذلك استشهد العلامة الشيخ مهدي النفوسي المتكلم الجليل الذي تقدم انه ذهب الى تيهرت في مقام مائة عالم . وذلك انه انفرد عن العسكر على شاطيء البحر ورأوه من المدينة فسبحوا اليه وقتلوه وأخذوا رأسه وعلقوه على السور فان قالوا له انهزم أصحابك الاباضية عبس وانقبض وان قالوا له انهزم الجند تبسم وانبسط . نقل ذلك الشماخي وغيره رحمهم الله (وان لله خرق العوائد فلا غرابة) . وقد صعب موته على الامام والمسلمين كثيراً واستعظموا مصيبته وان كان القضاء لا يرد وكل حي خلق للموت الا ان لموت مثله في مثل ذلك الوقت الذي هم في حاجة فيه الى أمثاله وقع عظيم .

وحيث ان المدينة حصينة جداً وسورها في غاية المنعة صعب على الامام افتتاحها فصار يجمع رجاله لتدبير الوسائل المعينة على ذلك كل ليلة وكلما دبر بالليل رأياً وجده بالنهار فاشيا في العسكر فيؤخر عن حضور مجلسه في الليلة المقبلة من يتهمه بافشاء السر وصار يفعل ذلك كل ليلة الى أن بقي هو ووزيره ذلك السياسي الكبير المدبر الخطير العاقل الشهير باصابة الرأي والصدق في الاقوال والافعال (مزور بن عمران) فقال عند ذلك لا أحاصر مدينة كهذه في المنعة برجل واحد .وفي ذلك الوقت أرسل اليه عبد الله رسولاً يطلب منه الصلح لما بلغته وفاة والده ابراهيم بالقيروان فأجاب الامام طلبه وخفف وطأة

الحصار وأبرم معه عهداً على أن تكون المدينة والبحر لعبد الله وما كان خارج المدينة كله الى نهاية أرض سرت للامام فدخلت هوارة كلها ومن معها من القبائل في دائرة حكم الامام وولى على الكل عمالاً من عنده وعاد بمسا كره راجعاً الى الجبل وقد نودي بالأمان في العسكرين وفتحت أبواب المدينة وعادت المعاملة بين الناس الى مجراها واستقل كل بما خصصته له تلك المعاهدة .

والظاهر أن حركة هوارة وتشبثها بمخالفة بني الاغلب انما كانت والله أعلم لغرض خاص وهو التوصل الى الانضمام الى دولة بني رستم الحاكمة على جبل نفوسة الموافقة لها في المذهب وزادها رغبة في ذلك حضور الامام بالجبل طمعا في اعانته أياها كما وقع وهو المفهوم من كلام ابن خلدون حيث قال وحجي هوارة بعبد الوهاب بن رستم من مكان امارتهم بتاهرت فجاءهم واجتمعوا اليه مع قبائل نفوسة وحاصروا أبا العباس الخ وان كان الصحيح أن اصل مجيء الامام من تيهرت الى الجبل كان لاجل الحج كما مر لا بطلب من هوارة كما قال والله أعلم .

﴿ محاصرة عسكر الامام لمدينة قابس ﴾

ولما توجه الامام من طرابلس الى الجبل أرسل من طرفه قطفان بن سلمة الزواغي في عسكر الى البلاد الغربية من طرابلس فرتب فيها العمال ولما وصل مدينة قابس امتنع عامل بني الاغلب فيها من الدخول في الطاعة والتسليم فشدد قطفان الحصار على المدينة الي ان استولى عليها وهي مدينة مستبحرة العمران ذات نخل وافر وأنهار جارية مشهورة بين مدن الغرب في ذلك العصر ثم انتقل منها الى ما يليها من القرى والجبال كمطماطة وزنزفة

الى جبال دمر التي هى في حكم الامام من قبل ذلك والي جزيرة جربة فاستولى على الكل ورتب فيها العمال .

—﴿ رجوع الامام الى تيهرت وتعيينه السمح عاملاً ﴾—
﴿ على الجبل بعده ﴾

وبعد أن اطمأن الامام على ما استولى عليه في رحلته هذه ورتب كل مايلزم ترتيبه مما يعود على الرعية بالراحة والامن في هذه الولاية الطرابلسية التي تحد شرقا بأرض سرت وغربا بجبال مطماطة ودمر وعاد اليه أجيره من الحج عزم على العود الى تيهرت ولما شاع خبر ذلك اجتمع اليه اهل الفضل والصلاح من نفوسة وغيرهم وسألوه أن يولي عليهم والياقبل سفره يسندون اليه امورهم ويقيم فيهم العدل ويقبض حقوق بيت مال المسلمين ويرسلها اليه.

* فخيرهم في بعض وزرائه فأبوا الا وزيرة السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى الامام الاول بطرابلس وكان الامام ضنينا به محبا له لما رآه منه من النصح لدولته مع سداد الرأى وحسن السياسة فصعب عليه فراقه ولما لم يجد مخلصا من توليته لشدة رغبتهم فيه أجاب طلبهم وقال (قد علمتم يامعشر المسلمين ان السمح وزيري وأخص الناس بي وأحبهم الي وأنصحهم لدولتي وبذلك لا أصبر على فراقه وقد آثرتكم على نفسي تتميما لرغبتكم فها انا ذا قد وليته عليكم فاحسنوا الطاعة له والانقياد لاوامره ماسار فيكم بسيرة المسلمين ولم يحد عن جادة العدل والانصاف ولم يرتكب مايوذن بسخط الرب وعنا الفتنا)

* وقد ذكر العلامة الشماخي رحمه الله في السير أن من كان مع الامام من الفرس والاتباع تزوجوا أيام اقامتهم معه في الجبل باماء بني زمور خوف العنت

ولما أرادوا الرجوع معه أيضا الى تيهرت رفعوا ما ولدن منهم من الاولاد أمامهم على الخيل فجاء أبو عبيدة رحمه الله وأنزلهم عن السروج قائلا خذوا عبيدكم يابني زمور (لان ولد الامة ملك لسيدها)

ثم ودعهم الامام وودعوه بأعين سائلة وقد حل بهم من الاسف والحسرة بفراقه وفراق مجالسه العلمية ما جعلهم في حيرة وزاده محبة في قلوبهم فأحسن السيرة فيهم بعده واليهم السمح وعدل في الاحكام وساس الرعية بأقوم سياسة ورتب العمال والقضاة ورجال الشرطة من امناء الاهالي في النقط المهمة ومراكز العمران وفق مرغوب أمامه بحيث لم ينكروا عليه شيئا في مدة ولايته كلها لا يخرج عن رأي الامام ولا يخالف له أمراً الي ان أدركته منيته والمسلمون والامام في رضاه عنه

وفاة السمح رحمه الله وولاية ابنه خلف وما نشأ عنها من الفساد

ولما حضرت السمح الوفاة اجتمع اليه أهل الرأي من المسلمين وقالوا له أوصنا بما بدالك يرحمك الله وانصحنا فاننا مطيعون لامرك وقابلون لنصيحتك اذ لم تقصر من قبل هذا في كل ما يجلب لنا الخير دينا ودنيا وانا نقدم لك على ذلك الشكر ونسأل الله تعالى أن يكافئك بما هو أهله .

فقال لهم أوصيكم بتقوى الله تعالى وباتباع ما أمركم به الشرع الشريف وبطاعة امامكم عبد الوهاب وتأييده ونصرته ما دام مستقيما على الحق الذي مضى عليه السلف الصالح من المسلمين .

ثم سار الى رحمته تعالى ماسوفاً عليه يندبه كل من عرف سيرته وأطلع

على أحكامه وقد بلغ في الناس موته مبلغا عظيما وبعد تشييع جنازته ودفنه اجتمعوا للنظر فيما يصلح أمرهم ويحفظ جامعتهم الى أن يعرفوا الامام بوفاته ويأتيهم الامر منه بتعيين غيره ·

ولدي المذاكرة بادرت العامة ومن لا نظر لهم في عواقب الامور الى نصب ابنه خلف مكانه ظنا منهم ان ذلك أرضى لامير المؤمنين وأوفق لرأيه لما فيه من احياء أثر السمح وجبر خاطر عائلته وتهوين مصيبتهم. وأنكر الخاصة ذلك كأبي الحسن أيوب بن العباس وأبي المنيب اسماعيل بن درار الغدامسي وغيرهما وقالوا لا يجوز لنا أن نقدم أحدا قبل ان نستأذن ولي الامر في ذلك فتعللت العامة ومن رغب في تقديم خلف ببعد المسافة قائلين نقدمه موقتا ونعرف الامام فان رضي به رضينا به وذلك ما كنا نبغي وان عين لنا غيره قبلناه وتركنا هذا فسكت من انكر ذلك طلبا للسلامة وفرارا من التفرق وتشعب الآراء ووصولها الى درجة المراء ثم كتبوا كتابا الى الامام بينوا له فيه وفاة السمح وتقديم بعض الناس ابن خلف وانكار بعضهم ذلك وقالوا له الامر موقوف الي أن يأتي كتابك فان رضيت به قبلناه وان أخرته أخرناه وأرسلوه الى الامام مع رسول مخصوص ولما بلغ الامام تأسف واغتم وتحسر تحسراً لا مزيد عليه لوفاة وزيره السمح وأجابهم عن كتابهم بهذا الجواب ·

جواب الامام رحمه الله الى جبل نفوسة في مسألة خلف

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله »

﴿ من أمير المؤمنين عبد الوهاب ﴾ الى جماعة المسلمين بحيز طرابلس

أما بعد فاني آمركم بتقوى الله واتباع ما امركم به واجتناب ما نهاكم عنه . وقد بلغني ما كتبتم به اليّ من وفاة السمح واستخلاف بعض الناس خلفا ورد أهل الخير ذلك .

فان من ولى خلفا من غير رضاء امامه فقد اخطأ سيرة المسلمين ومن أبى من توليته فقد أصاب فاذا اتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله منكم السمح الى عمالته التي ولي عليها الا خلف بن السمح حتى يأتيه امري وتوبوا الى ربكم وراجعوا التوبة لعلكم تفلحون اه .

ودفعه للرسول فأتى به الى طرابلس ولما فتحوه في الجبل ووجدوا فيه تخطئة من نصب خلفا والرضاء عمن أنكر ذلك استعظم الذين قدموه الامر وأنفوا من ابطال الامام عملهم وقد ذاق خلف في تلك المدة حلاوة الحكم وتلذذ بطلاوة الأمر والنهي فعض بنواجده عليها وحث أصحابه على التمسك بما فعلوه وأن يكرروا الكتابة الى الامام في تنفيذ ما كان منهم من تقديمه .

وكأني به وقد وعدهم بالوظائف ومناهم بأماني جعلتهم أشد الناس حرصاً على الطلب كما فعل ابن فندين وشعيب فكتبوا عند ذلك الى الامام كتاباً آخر في ذلك وأرسلوه ولما وصل الامام استشعر من القوم الدخول في دور العناد وأحس بوقوع التفرق فتربص في الجواب وتفكر في سد هذه الثلمة ملياً ولا ريب في انه لا محيص له من احد أمرين خطيرين فاما أن يجيبهم الى ما طلبوه فيعدون ذلك عجزاً عن مما كتبهم ويستفحل أمرهم وتنكسر شوكة الآخرين وربما يعود خلف الى التسلط عليهم اذا استبد بالرأي واستقل (والناس أتباع لمن غلب) واما ان يصدهم عن طلبهم ويعين غيره فينمو غيظهم ويتضاعف شرهم ويفسدون في الارض ويجعلون ذلك ذريعة

الى طلب الاستقلال متى وجدوا فرصة بمساعدة أولي الفساد وعلى كلا الحالين فالأمر مشكل .

ثم جزم بعد اقدام واحجام على طريقة اكتشف بها الحقيقة ووقف على نوايا خلف وحزبه وذلك انه كتب باسم خلف كتابين أحدهما فيه عزله وأمره بتقوي الله تعالى واعتزال أمور المسلمين والتوبة مما صدر منه من الخطاء وحرم عليه فيه أخذ صدقات الناس . وثانيهما فيه توليته . وكتب كتاباً ثالثاً الى من ائتمنهم من وجهاء المسلمين بحيز طرابلس أمرهم فيه بأن يعطوا لخلف كتاب عزله أولاً فان قبل وسلم الامر ولم يعاند سلموا له الكتاب الثاني الذي فيه أمر ولايته وفوضوا له الامر وان أبى ترك الامور والتسليم واستكبر تركوه وغيه وعرفوه بذلك ليبدي لهم فيه رأيه .

ولما وصلت الكتب الى من وجهت اليهم بطرابلس امتثلوا الأمر فسلموا لخلف الكتاب الاول ولما وجد فيه عزله أبى واستكبر وأصر على مباشرة الامور غير مكترث بعزل الامام رضي المسلمون أم كرهوا وساعده على ذلك جماعته واختل نظام الحكم عند ذلك ثم ان جماعته كتبوا كتاباً الى العلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل وهو اذ ذاك مرجع أهل الدعوة بالشرق بعد الربيع ومعاصريه يستفتونه في المسئلة راجين أن يجوز لهم الخروج عن طاعة الامام ونصب خلف اماماً مستقلاً بدعوى انهم منقطعون عن تيهرت ومنفصلون عنها بولايات بني الاغلب كما مر فكتب اليهم بعد أن وصله كتابهم مع رسلهم بتخطئة من ولى خلفاً وأمرهم بطاعة الامام وحرم عليهم الخروج عنه (وكلما بحثنا عن هذين الكتابين لم نقف لهما على أثر) ولما وصلهم الكتاب وكان على خلاف مأمولهم نبذوه وراءهم ظهرياً وأنكروا امامة عبد

الوهاب وبايعوا خلفا . وعند ذلك حرر جماعة المسلمين الى الامام كتاباً في ذلك مفصلا .

ولاية أيوب بن العباس رحمه الله على الجبل

ولما وصل كتابهم الى الامام كتب بالولاية الى العلامة الباسل أبي الحسن أيوب بن العباس أحد الاربعة المتقدمين في الذكر وكان ذا بأس وشدة في الدين ولما بلغه الامر فرح المسلمون بذلك وهابه خلف وأتباعه فالتزموا السكينة ورفع هو راية العدل وحمل الناس على الواضحة وسار فيهم سيرة حمدها جليلهم وحقيرهم ولا زال في رضاء الامام وقبوله الى ان حضرته منيته وسار الى عفو ربه وسعة رحمته وهو في رضاء المسلمين (ولم نقف على مابين مدة ولايته) فلحق المسلمين بفقده من الكدر مالم يلحقهم على أحد قبله لما أظهره في مدة ولايته من العدل ولا خماده فتنة خلف .

وبعد أن شيعت جنازته ودفن أرسل المسلمون من نفوسة ومن معهم الى الامام كتاباً بوفاته وطلبوا منه تعيين من يقوم مقامه ولما وصله الكتاب أدركه من الكدر ماأنساه حرارة جمرة وفاة السمح قبله ثم تفكر مليا فيمن يوليه الأمر فلم يهتد الى أحد لارتباك أفكاره وتغير سماء ذهنه بمصيبة هذا الشهم الجليل التي ذكرته رزية ذلك الطود الفاخر فأرسل اليهم ان يختاروا من كان منهم أهلاً لها ويعرفوه ليأذن لهم في تقديمه .

ولاية أبي عبيدة عبد الحميد رحمه الله على الجبل

ولما ورد عليهم كتاب الامام اجتمعوا لقراءته واتفقوا على أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني ذلك الرجل المشهور بالعلم والورع وكتبوا الى الامام بذلك كتاباً ولما وصله رد في الحال اليهم كتاباً بالاذن في توليته ولما بلغهم استبشروا

وأرسلوا الى أبي عبيدة (وكأنه لم يبلغه خبر اتفاقهم الاول ولعله كان سراً)
فحضر الى المجتمع وبلغوه اذن الامام وقالوا له ان أمير المؤمنين يأمرنا بطاعتك
والانقياد لأوامرك على ان تقضي فينا بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين
فماذا تقول .

فاستعظم أبو عبيدة الامر ورهب من ذلك الموقف الجلل لما في مستقبله
من الصعوبات بوجود خلف واتباعه الشاقين لعصا الطاعة ولما في تقلد أمور
المسلمين من المشقة وسوء العاقبة دينا ودنيا ان زاغ يوماً ما (لا سامح الله)
عن جادة الصواب فلم يكن منه الا أن دفع ذلك عنه وتبرأ قائلا أنا ضعيف
أنا ضعيف أنا ضعيف (عن القيام بهذا الامر العظيم فانظروا غيري) ولما لم
ينالوا منه طوعا ولم يظفروا بمراد بعد كل رجاء اعادوا الخبر الى الامام وبينوا
له ماجرى مفصلا فازدادت رغبة الامام فيه وتفرس فيه النجاح .

فأرسل اليهم كتابا مصدراً بأيمان مغلظة بأربع لغات عربية وحضرية
وبربرية وحبشية (لانه كان رحمه الله يتكلم بلغات متعددة) على انه لا يقلد
أمر المسلمين الا رجلا يقول انا ضعيف وكأنه رحمه الله أدرك بذكائه
حكمة تكرير ابي عبيدة جملة انا ضعيف ثلاثا فكتب اليه الامر بالدخول
في العمل وحتم عليه قبول الولاية وقال له ان كنت ضعيفا في البدن فادخل
في امور المسلمين والله يقويك وان كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين
يسعك ويسع غيرك وان كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء التوكيتي .

ولما ورد الكتاب على نفوسة اجتمعوا وطلبوا ابا عبيدة فحضر
وأطلعوه على قول الامام وقالوا له لا يسعك الآن الا القبول وامتثال
الامر . واذ ذاك علم انه لا محيص له عن القبول الا أن من باب الثبات

والثاني في ذوات البال من المسائل سألهم المهلة في الجواب ثم توجه الى عجوز هنالك مشهورة بالعلم والزهد وكان بيتها مجمعاً للعلماء واهل الصلاح من المسلمين وقال لها ان امير المؤمنين قد ألح علي في التولية على الجبل بعد كل امتناع مني وقد جئتك مستشيراً فما رأيك . فقالت له ان كنت تعلم ان في نفوسة من هو افضل منك واقوى على القيام بالامر وتقدمت فستكون خشبة في جهنم وان علمت انه لا يوجد فيهم ذلك وتأخرت فكذلك . (وليس هذا الكلام من قبيل كلام ابن فندين ومن معه فليتأمل) فقال لها أما في امور الرجال فلا ارى ان احداً يقوم مقامي (وهذا ايضاً منه رحمه الله حكاية للواقع لانه في مقام الاستشارة الموجبة لذلك لا افتخار) فقالت له ادخل حينئذ في الامر واشهر الحق والا فسخ الله عظامك في النار . فرجع الى الجماعة وهم في انتظار وقبل الأمر ففرح الناس فرحا شديدا وعمهم السرور حتى قالوا امضوا بنا لزيارة (وقاية) فانها افضل من عمائمنا حيث كانت السبب في قبوله الولاية .

فشمر رحمه الله لاحياء السيرة وعدل في الاحكام واستعمل على النواحي من حسنت سيرته وطابت سريرته من المسلمين واستصحب معه للمشورة في مهمات الامور خيار المسلمين وارباب العلم والنصيحة في الدين كابي زكرياء المذكور وابي مرداس وابي الحسن الابدلاني وغيرهم ممن يطول ذكرهم

* وقد ذكر العلامة الشماخي رحمه الله نقلا من الطبقات انه كان احد علماء نفوسة الموصوفين بالاخلاق النفيسة ميالا الى ما طبع عليه من الورع واطراح الحرص في الدنيا وترك الطمع وقال كان غاية في انفاذ الامور وامضائها وقائما بالمدافعة لاحوال البغاة ودفاعها ووافياً بما امر به من

اصلاح النفس والدين والدنيا وتحصينهما اهـ

* ولما بلغ خبر قبوله الولاية الى خلف طارت شرارة غضبه بين قومه وتولى الشيطان كبره فرفع راية العناد وجدد الخلاف والانكار على الامام ثم شن الغارة على بعض الاطراف مما تحت حكم أبي عبيدة وعثا في الارض وأخاف السبل وقطع المواصلة بين الناس فأرسل أبو عبيدة الى الامام ببيان ذلك كله وأستاذنه في محاربته وكان الامام كما قلناه شديد التحري فى سفك الدماء واعلان الحرب فلا يقدم على شيء من ذلك الا بوجه شرعي لاخلاف فيه فرد الي أبي عبيدة الجواب بملاطفة خلف ومناصحته وعدم المبادرة الي فتح باب القتال معه الا ان فأجأهم بمكروه فليدفعوه عن أنفسهم بأقرب وسيلة وأبعد طريق عن المضرة فامتثل أبو عبيدة الامر وعدل الى السكون فهدأت حركة خلف قانعاً بما في حيزه ساعياً في استمالة الناس اليه .

حكاية ابن يانس المفسد التابع لخلف وجواب الامام اليه

وكان من خواص رجال خلف عمرو بن يانس منبع النميمة ومعدن الفساد وجرثومة الشر وأس المفتريات الذي كان دابه تتبع خطايا المسلمين وزلاتهم والتجسس عن أحوال الناس خاصتهم وعامتهم لالنهاهم عن منكر فعلوه أو يأمرهم بمعروف ضيعوه بل ليتوصل بتلك الاكتشافات الي القاء العداوة والبغضاء بين الناس وايقاد نار الفتنة . فان هذا الرجل كان يكاتب الامام بكل مايسمعه من خطاء في فعل أو قول من أعيان المسلمين مع زيادة أضعاف ذلك زوراً وبهتاناً بدون أن يكلفه الامام بشيء من ذلك زاعماً انه يخدم دولة الامام والاسلام تشبهاً بأرباب الاصلاح (وما هو الا مفسد كذوب) شان كثيرين من شياطين الانس في كل زمان ومكان ويعبر عنهم في بعض

البلاد الآن بالشاشيدات فان شأنهم مخابرة الحكام سراً بعورات الناس مع الطعن في خواصهم على افتراء في أكثر الاحوال غواية من الشيطان الرجيم وحسداً وطمعاً في حطام الدنيا والعياذ بالله .

* ولما أكثر عمرو هذا من مخاطبة الامام وتبين له زوره وكذبه كتب اليه كتاباً في غاية الايجاز كله حكم وجواهر ترشد الحائر وتهدي الضال وتبكت الكاذب كما تدل على ذلك قطعة منه عثرنا عليها تصدق مايقال من أن كلام الملوك ملوك الكلام وهذا نصها .

—« أعاذنا الله ياعمر بن يانس من النزول بعد الطلوع ومن الترك بعد الاجتهاد ومن بغض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تخفيه الصدور ومن اقتحام الاشياء من غير تجارب اهـ . »—

* وأمر رسله أن يبلغوه اليه وقال لهم ماأظنكم الا أن تدركوه ميتاً وقد كفى الله المسلمين شره . ولما أشرف المرسلون على بلدته رأوا نعشاً خارجا فقالوا من هذا فقيل لهم عمرو بن يانس فقالوا الحمد لله الذي استجاب دعوة الامام فيه .

* وكان عمرو هذا ممن يتلقى العلوم عن شيخه العلامة الكامل أخيه أبي المنيب مامد (محمد) بن يانس مع الشيخ العلامة أبي خليل الا أن للشيخ رحمه الله فرقاً فيهما في المعاملة بالهام من الله فكان اذا دخل عليه أبو خليل أظهر احترامه وتعظيمه حتى انه ليقعد اذا دخل عليه وهو مستند بخلاف ما اذا دخل عليه عمرو فانه يعكس الامر ولما سئل عن ذلك قال اما أبو خليل فانما يتعلم لله وأما عمرو فانما يتعلم ليؤذي المسلمين ويعنتهم فآل أمر أبي خليل الى أن صار قدوة في الدين وكهفاً للمسلمين وآل أمر عمرو الى ماذكرناه من الانضمام

الى خلف . ولله في خلقه تصرف غريب . يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا ﴾ وبقي أبو عبيدة رحمه الله قائما بأموره في حيزه مواصلا للامام بما يجب من المال حتى انقضى أجل الامام فذهب رحمه الله الى دار البقاء والمسلمون شرقاً وغرباً راضون عنه كما ستطلع عليه في هذا الجواب .

—﴿ جواب الى امام عمان ﴾—

* وقد وقفت على رسالة من أرباب الصلاح والاصلاح من أهل الدعوة الاباضية بالشرق كتابها مجهولون أرسلوها الى امام عمان بتاريخ ٢٣٧ هجريه تقريباً ينصحونه فيها كما هو شانهم في كل عصر افتتحوها بما نصه .

—﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله ﴾—

الى امام المسلمين الصلت بن مالك المبتلى بأمور أهل عمان ومن وصله كتابنا هذا من المسلمين أهل عمان من أهل النصيحة لهم والشفقة عليهم اخوانهم وأهل دعوتهم من أهل الستر في أمكنتهم . سلام عليكم الى آخرها . وهي طويلة تتجاوز عشرين ورقة كلها مراشد وقواعد لشد دعائم الامامة وحفظ هيكلها وفيها ما يدل صريحاً على أن أباضية المشرق في مسئلة الامام عبد الوهاب مع ابن فندين كلهم على رأي واحد موافقون لرأي الربيع رحمه الله في الرضاء عنه والاقرار بامامته في المغرب وتخطئة المنكرين عليه وهذا ما حرره كاتب تلك الرسالة في ذلك بالحرف الواحد .

—﴿ قال ﴾—

* ولو أن فرقة من المسلمين خرجوا عن الامام يلتمسون منه أشياء

ويدعونها عليه مما لا يستدل المسلمون على أنهم صادقون فيه او كاذبون والامام ينكر ذلك ويدعي عليهم ظلما أيضاً لا يعرف المسلمون ما يذكر فيه فخرجوا عليه واستحلوا قتاله من قبل أن يوضحوا عليه تلك الاشياء التي ادعوها فهم بغاة على الامام ويحل للامام قتالهم . وذلك لانه لا ينبغي للمسلمين أن يقاتلوا امامهم بالاشياء التي يدعونها عليه حتى يوضحوا له ما ادعوه ويستتيبوه فيصر ولا يتوب ويابى الاختلاع عنهم . فان تعدوا عليه فقاتلوه وزحفوا اليه يطالبون ازالة امامته بمجرد الدعوى لا غير فقد حل للامام وجميع المسلمين قتالهم لبغيهم وتركهم رأي من كان قبلهم من المسلمين .

* وبهذه المنزلة كانت الخارجة على عبد الوهاب (أمام المغرب) لاستحلالهم الخروج عليه بدعوى الشروط التي يقرون على أنفسهم بالظلم فيها وقولهم نعزلك لاننا أصبنا من هو أعظم منك . وقد كان المسلمون رحمة الله عليهم ولوا من ولوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الرعية من هو أعلم منهم في الاحكام ولو كان الامر كما زعموه من عزل الامام كلما حدث من هو أعلم منه لكان أمر المسلمين مختلطا أبدا ولكانوا كل يوم في انتظار ظهور من يزيل امامة امامهم والحال أن المسلمين قد ولوا أبا بكر رحمه الله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل حاضر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ أعلم العلماء وقال معاذ اعلم أمتي بالحلال والحرام فلما استحل الخارجون على عبد الوهاب الخروج عليه بالاشياء التي يعلم المسلمون انها بدعة وخطأ وانها لا تزيل امامته علموا انهم مخطئون مبتدعون فدعوهم الى ترك مادخلوا فيه من البدعة والى مراجعة الحق فأبوا

الا تماديا على المعصية ثم زحفوا الى المسلمين فقاتلهم المسلمون وامامهم عبد الوهاب على اصرارهم على المعصيـة وادعائهم زوال امامته بلا حدث واضح عند المسلمين انتهى المراد منه .

تصحيح قول

* كنت أعتقد أن الامام الكبير ابا عبيدة مسلما رضي الله عنه توفى في أواخر دولة الامام عبد الرحمن رضي الله عنه لما يؤخذ من ظاهر كلام أبي زكرياء رحمه الله وقد مرّ ذكره . ولعدم ذكره في الكتب الموجهة الى المشرق مدة خروج ابن فندين عن الامام عبد الوهاب. ثم عثرت في رسالة للعلامة محمد بن محبوب العماني الى أهل المغرب على ما يوذن بخلاف ذلك اذ قال رحمه الله بعد كلام هكذا « وذلك في زمان ابي عبيدة مسلم وعن رأيه كان ذلك من عقد أهل المغرب لابي الخطاب ثم ابن رستم بعده ثم عبد الوهاب بعد ذلك اهـ

* فدعاني هذا الى البحث على اكتساب حقيقة ذلك حتى وقفت على قطعة رسالة في مجموع لبعض أصحابنا المشارقة ذكر كاتبها انها من الامام أبي عبيدة الى الامام عبد الوهاب فتحققت انه حضر له وانه كتب الرسالة في صدر امامته وتوفي قبل خروج ابن فندين عنه ولذلك لم يذكر في جوابات الشرق والله أعلم .

* والموجود من هذه الرسالة آخرها لا غير لان صاحب الكتاب المنقول منه قال هكذا .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

﴿ ومن سيرة الامام أبي عبيدة الى الامام عبد الوهاب ﴾
« بن عبد الرحمن بن رستم »

﴿ قال ﴾ لا يخلو اما أن تكون دعوت الناس الى نصرتك على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يجيبوك وأفردت فهلك القوم وثبتت ولايتك لاخوانك وزالت أمامتك . واما أن لا تكون دعوتهم فزالت امامتك بالتضييع واستعلان الباطل قبلك واماتة الحق فلا امامة لك . واما ان تحمل سيفك على عاتقك فتفيء الله بما ضمنته له وتلحق بائمة المسلمين قبلك فيهلك من استنصرته فخذ لك . واما ان تكون رجلا قد عزت نفسك عليك ومن قبلك فخلت المسلمين من ولايتك والسلام انتهى .

* وعلى أثر هذا تفسير له لم ينسبه صاحب الكتاب لاحد الا ان الذي يدل عليه بعض منه انه له والذي يدل عليه البعض الآخر انه لغيره وعلى كل حال فقد سلك فيه كاتبه طريق الشدة معرضا فيه بما اشتهر به بيت الرستميين رضي الله عنهم من علمي التنجيم والرمل مشيراً الى بعض ما ادعاه قوم ابن فندين على الامام والله أعلم بالحقيقة قال صاحب الكتاب .

* (وتفسير ذلك والله اعلم ان الامام اذا رأى الرعية لم تستقم لله على الطاعة التي ينالون بها ثواب الله عليه ان يدعوهم الى الوفاء لله بطاعته فان لم يجيبوه الى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله علية وسلم وبقي منفرداً بنفسه هلك كل من كره الاجابة الى الاستقامة وبقيت ولاية الامام عند من حضر من المسلمين وزالت امامته عند الناس لانه قد صار في هذا الوجه الى حد الكتمان واذا كتم الامام خرج من حد الامامة والظهور بالاسلام لان

البيعة انما هي على اقامة كتاب الله وسنة نبيئه عليه السلام واتباع آثار المسلمين منه ومن الرعية واذا لم توف الرعية بذلك ضلت وصار الامام الى حد الكتمان لانه لا يظهر المنكر بحضرته الا على احد وجهين اما ان يكون مقهوراً ذليلا فعليه ان يخرج من الامامة ويعتزلها

* واما ان يكون مداهنا مقصراً فلا امامة له بالنكث وتركه الوفاء بما عاهد الله والمسلمين عليه

* وقد بلغنا ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه بلغه أن أناساً من المسلمين كرهوا مقامه فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال (يأيها الناس كرهتموني فاستقيلوني أقلكم فقال له علي بن أبي طالب هيهات هيهات لا تقال ولا تستقال) فاجمع صالحو المسلمين على الرضاء بامامته وذلك لانه لا يلتفت في هذه الامور الى انكار العامة ولا الى رضائهم وانما ينظر الناظر لله ولدينه وللاسلام وأهله وهم المستنبطون وأما سواهم من الناس فانما عليهم الاتباع والانقياد وليس لهم من النظر للاسلام وأموره والتقديم فيها شيء قال الله عز وجل (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وهم أهل العلم بالكتاب والسنة لانهم المنهاج . ألا ترى انه ذمهم حين لم يردوا الامر الى الرسول والمستنبطين .

* وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآى من المسلمين تقصيراً قال لهم اما ان تقوموا بما عاهدتم الله به والا خرجت اليكم من الامامة . فكذلك ينبغي . لان كلاً قد وجب عليه الوفاء لله بما عاهده به وذلك اذا كان عن مشورة من خيار المسلمين ورضائهم به لله ولدينه ثم كان منهم الوفاء بذلك والاستقامة فيه فان عمر رضي الله عنه قال (الخلافة) ما ائتمن عليها يعني

ما كانت عن مشورة أهل العلم والصلاح و (الملك) ماأخذ بالسيف فكل امامة كانت عن غير مشورة من أهل العلم والصلاح فهي ملك وكذلك من عقد له الاشرار فهي ملك .

* (أصل)واما أن لاتكون دعوتهم فزالت امامتك بالتضييع واستعلان الباطل قبلك واماتة الحق فلا امامة لك . (تفسير) وذلك لان الامام اذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود وصلاة الجمعة بالناس من غير عذر يعذر بذلك مثله الفقهاء وترك جهاد العدو ودفعه عن المسلمين زالت امامته بما قصر فيه من أمر الظهور بذلك كله أو ببعضه وكذلك اذا بدل السيرة فسار بغير سيرة من مضى وبغير ماهو معروف من سيرتهم وكذلك اذا ترك الاحكام .

* (أصل)واما ان تحمل سيفك على عاتقك فتفيء الله بماضمنته له اوتلحق بأئمة المسلمين قبلك فيهلك من استنصرته لخذ لك .

* (تفسير) هذا تفسير لاول الكلام لانه اذا بقي معه أربعون رجلاً من أهل الصلاح فلا عذر له في الضعف فاذا لم يبق معه أربعون من أهل الصلاح والامانة فعليه ان يعتزل الامامة ويحل اللواء وتسعه التقية فان رجعوا اليه فليلزم بيته ولا يقبل ذلك منهم فقد اختبر غدرهم ويقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

* فكل من دخل في الامامة والعمالة وله فيها رأي اذا كان يعجبه ذلك يعني يحب الدخول فيها ويحن اليها وامام المسلمين وعاملهم فيها كالمسجون وهو كاره لذلك فانه على خطر عظيم . والذي يوجد عن المسلمين أيما امام جبي ارضا جباها غيره من الجبابرة فلم يمنعهم من الظلم لضعف منه أو

مداهنة هو امام جائر فاسق نخلعه ونبرأ منه ولا نلبس الحق بالباطل ونحن نعلمه لاتختلف أحكامنا على الناس وهذا ديني ومذهبي واعتقادي ولست ممن يصدق بالنجوم والكهانة ولا بالملاحم لكني اتبع النبي محمداً صلى الله عليه وسلم وأقتدي بآثار الصالحين الذين لم يتخذوا دينهم لهواً ولعباً. ديني دينهم. وان كنت قد بان لك الحق فالحق مقبول. والسلام عليك وعلى المسلمين من تلك البلاد أجمعين وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما انتهى فليتأمل

وفاته وعدد مدته وأولاده ومقدار علمه

رضي الله عنه

(هذا) والذي يوجد في بعض التقاييد أن امامته كانت ٤٠ سنة والذي ذكره المؤرخ المراكشي المالكي انها كانت عشرين سنة لانه على رأيه ولي سنة ١٦٨ وتوفي سنه ١٨٨ والصحيح ان ولايته كانت سنة ١٧١ كما تقدم ومدته ١٩ سنة فوفاته تكون سنة ١٩٠ تقريباً كما سيتضح وكان له من الاولاد المشهورين ميمون المقتول في حياته ويوسف وافلح الامام بعده ومن الحفدة محمد بن يوسف ومحمد بن ميمون (ولعله هو الذي قدمه قائداً للجيش المذكور سابقاً) وأبو معبد عبد الرحمن حفيد ميمون. وكان له عدة رسائل وأجوبة مفيدة جداً في فنون شتى بعضها موجود وبعضها مفقود قال ابن الصغير وكان لعبد الوهاب كتاب يعرف بمسائل نفوسة الجبل كتبت اليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسئلة مما سألت عنه وكان هذا الكتاب في أيدي الأباضية مشهوراً عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن الى أن لحق الفضل ... فأخذته من بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه ألخ.

* وله أقوال مشهورة معتمدة في كتب الفقه وغيرها. وذكر أبو زكرياء وغيره انه رحمه الله ارسل الى اخوانه بالبصرة في الشرق ألف دينار ليشتروا له بها كتباً ولما وصلتهم اتفقوا على أن يشتروا بها كلها رقاً فكان ذلك واستنسخوها من عندهم فكانت وقر أربعين جملا ولما بلغته اجتهد في مطالعتها وتصفحها اوقات فراغه من الأشغال وجد في ذلك حتى قيل انه يتجرد من ثيابه ولا يترك الا السراويل حتى أتمها فقال الحمد لله الذي علمني كل ما فيها من قبل ولم أستفد منها الا مسئلتين وقيل ثلاث مسائل ولو سئلت عنها لاجبت فيها قياساً كما رسمتا فيها. فلله دره من بحر. وكانت مكتبته تشتمل على آلاف من المجلدات وذكر الشماخي رضي الله عنه نقلا عن ابن سلام ان نفات بن نصر النفوسي حدث ان هذا الامام أرسل الى الامام الربيع بالمشرق اثنى عشر ألف درهم (اعانة له كما أعانوا والده الامام عبد الرحمن قبل ذلك) فاشترى بها الربيع سلعة وأرسلها اليه مع أخيه فكلف الامام بها بعض تجار تيهرت فباعوها واشتروا له بثمنها غيرها في ثمانية أيام وأرسلوها اليه.

* وقيل أن علماء من أصحابنا المشارقة زاروا جبل نفوسة وتيهرت ولما سئلوا بعد ذلك أختاروا من تيهرت الامام ووزيره مزور بن عمران ومن جبل نفوسة أبا مرداس وابا زكرياء التوكيتي والعباس بن أيوب وقال أبو العباس في الطبقات وكفاك في فضل الامام وعدله قول أبي مرداس لا أعرف الا الامام ووزيره وهذا الفزاني ولم أره وانما أعرفه بكتابه اه يعني عبد الخالق الفزاني المشهور وأخبار هذا الامام كثيرة والله اعلم.

عمال هذا الامام

* وكان من ولاته وعماله المشهورين العلامة وكيل بن دراج النفوسي من

بني يخلف عامله على مدينة (قفصة) ومايليها، والعلامة سلام بن عمرو اللواتي عامله على (سرت) ونواحيها . والعلامة محمد بن اسحاق الخزري عامله على (نفزاوة) والعلامة جارون بن القمري الزناتي . والعلامة نهدي بن عاصم الزناتي . والعلامة يبران اليزمرتني المزاتي . وهؤلاء لم أعلم أماكن ولايتهم اذ لم يبين الشماخي رحمه الله ذلك . والعلامة أبو يونس وسيم النفوسي التمزيني عامله على قنطرارة (مدينة تيجي) والعلامة أبو عبيدة الجناوني واليه على (جبل نفوسة) ويعرف الآن بجبل الغرب . والعلامة مدمان الهرطلي وقد امتحنه الامام فبعث اليه ذات مرة كتابين في أحدهما عزله وفي ثانيهما ولايته ولما فتح الاول قال رحم الله الامام علم ضعفي وقصوري عن هذا الأمر فكتب بعزلي ولما رفع اليه الثاني وقرأه قال رحم الله الامام علم أن لاأحد يحاني من هذا الأمر فاستحسن الناس منه هذا الانقياد التام وكان مستقيم الحال . والعلامة أيوب بن العباس واليه على (جبل نفوسة) . والعلامة سامة بن قطفان الزواغي عامله على مدينة (قابس) . والعلامة مدرار عامله على (جبل دمّر) والعلامة مناد . والسياسي الشهير مزور بن عمران الهواري قبل تقليده الوزارة ولم يذكر أحد محل ولايته هو والذي قبله . والعلامة السمح بن أبي الخطاب واليه على (جبل نفوسة) والمشهورون من وزرائه السمح ومزور وغير هولاء كثيرون أهمل ذكرهم المؤرخون المتأخرون لعدم وجود المادة بفقدها بالحرق في أواخر الدولة وبعدها كما سيأتي خبر ذلك والله أعلم .

خلافة الامام أفلح بن عبد الوهاب

﴿ رحمهما الله ﴾

« وكناه المراكشي بأبي سعد ولم نره لغيره »

* لما كانت الامور بجبل نفوسة مضطربة بخلف وأتباعه وقد وقع بأطراف تيهرت ما مر ذكره من الحروب التي أبقت في النفوس حزازات وربت في الضمائر أحقاداً خاف أهل الرأي وأصحاب الشورى من المسلمين بعد وفاة الامام عبد الوهاب ان يحصل بتأخير نصب امام غيره بعض حركات فسادية فبادروا في يوم وفاته الى ابنه الامام أفلح الذي كان مترشحاً للامامة بأعماله العالية وعلومه ومداركه الواسعة فبايعوه وسلموا له مقاليد الامور بدار الامارة قطعاً للخلاف على أن يسير فيهم بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح فقبل منهم ذلك على ذلك سنة ١٩٠ مائة وتسعين من الهجرة وعلى قول المراكشي يكون ذلك سنة ١٨٨ وليس كلامه في هذا الباب بسديد لما سيأتي تحقيقه.

* وما كاد ينتشر خبر وفاة الامام عبد الوهاب وولاية الامام افلح حتى وردت اليه كتب العمال وصلحاء المسلمين من كل الجهات والولايات بالتعزية مع تقديم البيعة ومن ذلك كتاب ابي عبيدة ومن معه في حيز طرابلس وفيه استأذنه في محاربة خلف وحزبه اذ اشتد فسادهم وكثر جورهم وتعديهم بعد سماعهم بوفاة الامام ظناً منهم أن الامر بتيهرت لا يستقيم بعده وأن الذي يتولى الامامة سيكون له اضطراب وارتباك فلا يلتفت اليهم فينالون في تلك المدة غرضهم فأجابه الامام بكتاب امره فيه بمسايرة خلف واستعمال كل سياسة توطد الأمن وتحقن الدماء وتسد أبواب الحرب كما صنع والده قبله فامتثل ابو عبيدة الأمر وزاد خلف في العناد فوالى النهب والقتل والسلب في كل من عثر عليه من

أتباع أبي عبيدة وتحيز بجيوشه الى مكان يعرف بتمتي والظاهر والله أعلم انه قرية من القرى التي يسكنها عرب الرجبان في وقتنا هذا وتغلب على ماوراء ذلك من الجبل الى جهة الشرق وقطعه عن أبي عبيدة وهم بين راض وساخط وشدد المضايقة على أبي عبيدة في حدوده حتى مل الناس واستمالهم ومن حكمة القضاء والقدر أن أخصب الله جهته وأجدب جهة أبي عبيدة في بعض السنين فرغب أرباب الحيوانات وأهل البادية في جهة خلف ورحلوا اليها تبعاً لرخص الأسعار وجودة المرعى فكثرت بذلك اتباعه وقوي جنده وأعجب بذلك حتى حدث نفسه بالهجوم على أبي عبيدة والاستيلاء على مافي يده وضم الجبل كله اليه .

المحاربة الاولى لأبي عبيدة رحمه الله
﴿ مع خلف ﴾

* فخرج خلف بجيش كبير قاصداً ناحية (جادو) ولما سمع أبو عبيدة بذلك خرج بمن معه الى طرف غابة الزيتون وعسكر بمكان هناك يبعد عن الجبل بمسافة ساعة تقريباً غير بعيد من قرية (أدرف) بلدة العلامة أبي محمد الدرفي وهي مشهورة الى الآن بهذا الاسم الا أنها خراب مأوى لقطاع الطريق والسراق ومكمن للصوص ولم يشعر أبو عبيدة رحمه الله حتى غشيته فرقة من جيش خلف فيها أربعمائة فارس بين مواليه وأقاربه واخوته فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وعدم التعرض لهم الى ان يبدأوا بالشر ويدخلوا حريمه فأغاروا على قرية (أدرف) وهي في طاعة أبي عبيدة وشرعوا في النهب والقتل وكان أهلها ضعافا قلالاً ولما بلغ أبا عبيدة انهم قتلوا نحو عشرة رجال وتحقق ذلك قال لأصحابه الآن وجب الدفاع واندفع هو واصحابه اليهم وناجزهم القتال فولوا

الادبار منهزمين بعد أن هلك منهم من هلك حتى وصلوا خلفاً ومن معه من العسكر وقد ترك ابو عبيدة سبيلهم ولم يتبع ادبارهم ونهى عسكره عن ذلك فرجع بهم خلف الى (تمتي) وعاد ابو عبيدة الى جناون وهو يظن ان ذلك يقنعهم ويردعهم عن الرجوع .

* ثم ان أبا عبيده كتب الى خلف كتابا يعظه فيه ويرشده رجاء أن يتيقظ من غينه ويكف عن الفساد ويقول له فيه هكذا ﴿ واذ نزعت ياخلف يدك عن الطاعة فكن في حيزك وأكون في حيزي وما بال الحرب ﴾ فلم يقنعه ذلك وحرض قومه على الاعتداء والمثابرة على الغارة والفتك بأصحاب ابي عبيدة أينما وجدوهم ودام الحال على ذلك نحو سنة وأبو عبيدة يناصحه ويلاطفه ولم تنفعه الذكرى . (ومن يضلل الله فلا هادي له)

المحاربة الثانية لابي عبيدة رضي الله عنه مع خلف

ولما اشتد الحال وضاق الفضاء بأبي عبيدة ومن معه من فساد اتباع خلف وبلغ خبر ذلك الى خلف خرج بعساكره قاصداً أبا عبيدة كأول مرة وكان في أربعين ألف مقاتل فلاقاه ابو عبيده لما بلغه خبر خروجه في قليل من أصحابه اذ جاءه الخبر على حين غفلة ويقال أن الذين كانوا امعه لا يتجاوزون عدد أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل كانوا سبعمائة من أهل الفضل والعلم الذين لهم الثبات في الحرب .

* ولما ترا آى العسكران تاه خلف اعجاباً بكثرة جنده وقوته وقلة جند أبي عبيدة غافلا عن قوله تعالى ﴿ وما النصر الا من عند الله وقوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ان الله مع الذين

اتقوا والذين هم محسنون ﴾ واذ ذاك رأى أن قتالهم عبث وتلاعب وان محوهم وابادتهم بالسيف على زعمه مع اقرارهم بامامة الامام أفلح مما لا يورث له فخراً يذكر اذ لم يكونوا كفؤاً له ولجيشه على حسب غروره . واستظهر أن يدعوهم الى خلع الامام ومبايعته هو والاقرار بامامته طمعاً منه في رهبتهم ومبادرتهم الى اجابة طلبه فيكون ذلك زيادة تعظيم لشأنه واعلاء لقدره واهانة لهم واماتة لقلوبهم وجعل لذلك مقدمة كانت السبب في انهزامه فسرح عسكره فيما قرب منه من قرى أبي عبيدة ورعيته تسلب وتقتل ثم أرسل الى أبي عبيدة رسولين يأمرانه بخلع الامام والدخول في طاعته هو ولما بلغا أبا عبيدة طلبه قال لهما وكيف نخلع امامنا بدون حدث يوجب خلعه والبراءة منه وما الذي سوغ لصاحبكما (خلف) هذا الخروج والعصيان وقد كان أبوه السمح أعلى منه شأناً وقدراً وكان راضياً على الامام طائعاً له الى أن توفي فتعالا له على لسان خلف ببعد ما بين تيهرت والجبل وفصل بعض ولايات بني الاغلب بينهما وزعما ان ذلك مما يجوز لهم الاستقلال فقال لهما ولم لم يفعل ذلك والده ولم يقله بل كان يجمع الحقوق ويرسلها الى الامام لما كان عاملا له .

* ولما طال الكلام بينه وبينهما وأفحمهما بالحجة القاطعة عدلا الى اظهار القوة والارهاب فقالا انا نخاف عليك ان لم تجبه الى ما دعاك اليه أن تكون سببا في اراقة دماء لا يعلم قدرها الا الله وذلك أمر عظيم عنده فقال وأي الأمرين عندكم اعظم . ترك القيام بدين الله واضاعته أم اراقة الدماء فقالا اراقة الدماء أعظم فقال لو كان ذلك صحيحاً لما اجتمع أهل النهر وان للدفاع ولا اهل النخيلة ولا ابو بلال واصحابه ولا ابو يحيى طالب الحق وابو حمزة وأصحابهما ولا ابو الخطاب ومن تبعه ولا ابو حاتم ومن معه . وما اشبه

هؤلاء فان كل فريق منهم قام للدفاع في زمانه عن الدين واحيائه عالما بأن في ذلك من اراقة الدماء واتلاف الأنفس ما تعلمونه وقد استشهد بعضهم على تلك النية الحسنة (وانما الاعمال بالنيات) وبلغ بعضهم القصد فأنار الملة وأظهر الحق وأخمد الباطل ما شاء الله من الزمن. وما نحن الا بضعة منهم وبقية من آثارهم فنحن على نهجهم القويم سائرون لا نبغي به بدلا ولا عنه حولا ومن أراد غيره فالله يحكم بيننا وبينه بالعدل وهو خير الحاكمين ثم اعارهما جانباً من اللين فقال حيث انكم تعظمون أمر الدماء على الدين فأبلغا خلفا بأن نترك القتال اليوم ونصبح غدا (وهو يوم الجمعة) صائمين ويأتي لنصعد على الجبل ومعنا أبو المنيب اسماعيل بن درار الغدامسي ثم نبتهل الى الله تعالى فنجعل لعنة الله على الظالمين ونسأله أن يفتح بيننا وبينكم الحق وهو خير الفاتحين.

* فقام الرسولان الى خلف واخبراه بما دار بينهما وبين ابي عبيدة من الكلام فامتلأ غيظا وأمر في الحال بالتهيء للهجوم عليه بدون انتظار واذ سمع ابو عبيدة بذلك استعد له ولما التقى الجمعان ورتبت الصفوف جاء الى ابي عبيدة رجل من بقايا قوم ابن فندين وقال له دع عنك القتال فانك لا طاقة لك اليوم بمقابلة خلف وعساكره ولا حاجة لك في لقائه وكان ابو عبيدة يحسن التكلم بعدة لغات فخاف له بالبربرية والكانمية .. قائلاً لأقاتلنه ولو ألقاه منفرداً بسيفي هذا وضرب بيده على قائم سيفه ثم انسل اليه رجل من جيش خلف وقال له اني مشير عليك بسبيل ان سلكته ظفرت بلا شك أزحف بجيشك الى ناحية الجبل فان ظفرت أدركت ما أردت بسهولة وان انعكس عليك الحال كنت في حصن وملجإ لا يستطيعون لك فيه كيدا فقال أبو عبيدة

لما استحسن رأيه (نصيحة نزعها الله من عدو) وهذا الرجل اما أن يكون مائلا في الباطن الى أبي عبيدة واما أن يكون قد سئم من القتال مع خلف على غير طائل فأراد هلاكه ليستريح والله أعلم .

* فأمر أبو عبيدة الجيش بالانتقال الى المحل الذي اشار اليه الرجل وأسندوا ظهورهم الى الجبل ولعل هذا المكان هو المعروف عندنا اليوم بقصبة المصلى فانه قريب من الجبل وفيه مصلى ينسب الى أبي عبيدة يزار ويجتمع فيه الناس في وقتنا هذا من قرى متعددة لصلاة العيدين اذا حضر (والدنا أو بعض أنجاله وهو الذي سن هذا الاجتماع هناك حفظه الله) أو هو المكان الذي فيه الآن المسجد الجامع المسمي (أم بيدت) وهذا اللفظ منحوت من عمي عبيدة نحتاً بربرياً فيما يظهر بعد تصحيف لفظ عمي وموقعه الآن في وسط بلدتنا جادو مركز الحكومة والمشهور أن المسجد بني على مصلاه وانه اغتسل هناك كما سنذكره ولا يبعد عن شافة الجبل الا بخطوات ولولا الشهرة المذكورة لقلنا ان المكانين قريبان جداً من مدينه جادو القديمة فلا يمكن وصول العدو الى هناك والله أعلم .

ولما رأى خلف ما حصل من أبي عبيدة من الرجوع الى ورائه ولا علم له بما أبداه بعض أفراد جيشه من النصيحة ظن أن ذلك من أبي عبيدة جبن وفرار تخلصاً من الهزيمة ففرح وهزه الطرب وقدم الابطال والفرسان من عسكره واقتفى أثرهم ولما غشيت ابا عبيدة الخيل دعا رجالا من قومه فنصبوا له ستراً وأحضروا له ماء فاغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله سبحانه وتعالى بما حضر له من الدعاء سائلا انتصار جنده ثم بسط كفيه مواجها بهما السماء (وهي الجهة المطلوب استقبالها عند الدعاء) مع تضرع

وخشوع وقال (اللهم يامن لم أعرض عنه منذ استقبلت أمره لاتهرق هذه العصابة على يدي انك على كل شيء قدير) وذكر الشماخي رحمه الله أن أهل مدينة سروس أقبلوا مسلحين لاعانة خلف فقال أبو عبيدة اذ رآهم على ذلك هيجوا فينا حرارة الخوف فلا أعدمهم الله ذلك قال فبقي فيهم ذلك الى يومنا هذا اه وقام أبو عبيدة بين عسكره خطيباً محرضا ومرغبا فشوق النفوس الى الاندفاع في الحرب وأزال الرهبة من القلوب

* ثم تدانى الصفان وانتشبت الحرب ساعة من الزمن أظهر فيها رجال عسكر أبي عبيدة من الشدة والاقدام ما ترك أعداءهم في انهزام وكان معه من الابطال المشهورين العباس بن أيوب وقد أظهر من شجاعته ماحمى به الميمنة والميسرة حتى قال فيه أبو عبيدة اذ رآه يجول بجواده في اثناء الحرب يميناً وشمالا ﴿ انى أرى العباس في عيني كالعقاب معصم لا أكلته النار ﴾ ثم خرج من عسكر خلف رجل يعرف بعبيد بن سيدي ورجلان معه لطلب المبارزة فخرج اليهم أبو عبيدة وأبو مرداس والعباس اما العباس فأسرع الى صاحبه بالقتل واما أبو عبيده فطال امره مع صاحبه وكانا متماثلين وأما أبو مرداس فقد لاقي من صاحبه عبيد المذكور مشقة حتى كاد يفترسه ولما رأى العباس ذلك عطف على عبيد فضربه على ركبته بالسيف فأبانها ثم حز رأسه وقال لما رآه طائراً في الهواء من شدة الضربة (الى النار) فقال الرأس (وبئس المصير) فقال العباس (انا لله وانا اليه راجعون) جسد طالما دعوت له بالجنة ستأكله النار . لان الرجل كان ممن شهر بالنسك والعبادة سخي اليد محباً لاهل العلم يهاديهم بأكباش الغنم وأحمال الطعام وكان العباس يعتقد فيه الصلاح لذلك (ولكن الاعمال بخواتمها . وكم

ميسر لما خلق له) ولما رأى أبو مرداس فعل العباس بصاحبه عبيد قال ضربة فتى لا أكلت معصمه النار)

* وبعد أن هلك من عسكر خلف مالا يعلم عدده ولى الأدبار خائباً فنادى أبو عبيدة حسب عادته (ونعمت العادة) في عسكره ان لا يتبعوا لهم مدبراً ولا يجهزوا لهم على جريح ولوى عنان جواده غير منغص ولا مفلول الى مكانه وذلك عشية الخميس الثالث عشر من شهر رجب سنة ٢٢١ احدى وعشرين ومأتين هجرية وعاد خلف الى قرية (تمتي) المشومة عليه وأمر باخراج جميع من كان فيها من نفوسة وغيرهم ممن يميل الى أبي عبيدة وأجل لهم ثلاثة أيام فارتحلوا تاركين أرزاقهم ومنازلهم ومنهم الأرامل واليتامى والضعفاء ومن لا ذنب له ولا دخول له في شيء من أمر هذه الفتن وأجلى معهم كثيرين من أصحابه الذين ظن فيهم الميل الى أبي عبيدة غلظة وجفاءً ولما أكثر من ذلك تمهرت نفوس أصحابه وعلموا بأن أمره قد أدبر فتفرقوا عنه وأتوا الى أبي عبيدة تائبين فقبل منهم من قبل ورد من رد ممن عظم خطأه وبقي خلف وحيداً ينتظر وثبة من أبي عبيدة تقضي عليه وعلى من بقي معه بالهلاك وأبو عبيدة صارف عنه النظر سائر فيما كلف به من الامر بسيرة العدل والانصاف . وأرسل الى الامام بوهن شوكة خلف وافتراق حزبه .

* ولما بلغ أصحابنا المشارقة انتحال خلف الخروج وماوقع من الفتن قاموا بما وجب عليهم من النصيحة في الدين كما هي عادتهم فأرسل منهم العلامة أبو عيسى الخراساني رسالة مع جماعة الى أهل المغرب يرشدهم فيها الى اتباع الحق ونبذ الباطل وجمع الكلمة واتباع أهل الاستقامة واقتفاء آثار الاولين من المسلمين وبالغ فيها في الثناء على الامام عبد الوهاب والامام أفلح وعلى السمح وفي

الانكار على خلف ابنه وأتباعه في كلام طويل جازاهم الله عن الاسلام خيراً .

* وممن كان مع خلف منيب بن حامل العلم أحد أئمة المذهب اسماعيل ابن درار الغدامسي وأبو يوسف حجاج بن وفتين ذكر الشماخي رحمه الله ان أبا يوسف أتى أهله فقالت له زوجته وهو لدي الباب (عندك يابائع دينه) فوقف في مكانه الى الصبح واحدى رجليه داخل الباب والاخرى خارجه وهو يميز بين أبي عبيدة وخلف ثم ثبت عنده ان الحق مع أبي عبيدة فجاءه تائباً وصار بعد ذلك من أفاضل المشايخ .

* ثم أدركت أبا عبيدة منيته فسار الى رحمة الله الواسعة يبكيه العدل والعلم ويندبه المحراب وقيام الليل وله مسجد مشهور متوسط وآثاره تدل على انه كان أكثر اتساعاً مما هو عليه الآن قيل انه اجتمع فيه سبعون عالماً من أكابر علماء قرية جناون وقد كانت معدن العلم والعلماء حتى انها لاتحتاج فيها دار الى أخرى في العلم كما كانت قرية تندميرة ولأهل القريتين الى الآن شهرة في الذكاء وجودة الفهم وتمسك بالدين وقد دفن رحمه الله في المقبرة الكائنة بالجنوب الغربي من القرية المذكورة الا ان قبره مجهول تغمده الله برحمته الواسعة وسيأتي زيادة كلام على هذه القرية ان شاء الله .

ولاية العباس بن أيوب على الجبل بعد أبي عبيدة رحمهما الله

ولما توفي أبو عبيدة كتب المسلمون من نفوسة الجبل ومن معهم الى الامام بذلك كتابا يعزونه فيه ويطلبون منه تعيين غيره ولما بلغه الخبر اشتد أسفه وبلغ منه الكدر مبلغاً عظيما وأرسل في الحال أمر الولاية الى العلامة العباس

ولما وصله ولم يجد عذرا لدفعه التزم قبوله وجمع أهل الرأي ومن عليهم المدار من رجال نفوسة وتلاه عليهم فأملوا حسن مستقبلهم وضمنوا الانفسهم الراحة والامن لما يعهدونه في العباس من الحزم والنشاط مع ما أوتيه من المهابة وعزة النفس في مواطنها ·وكان الأمر كذلك وأكثر من ذلك اذ قضى فعدل وحكم فأنصف وحارب ففاز (وكأن خلفاً انتعش حاله بعض انتعاش وانضم اليه من جمعه بعض من تشتت أولاً وذلك فيما بين وفاة أبي عبيدة وتولية العباس فتحرك كعادته مكدراً صفو الأمن وجدد الغارة والنهب وهو من أعلم الناس بما للعباس من الشدة فناصحه العباس ونهاه ولما لم ينته عن غيه خرج اليه في عسكر لا يزيد عن عسكره في الكثرة بل كان أقل على ما قيل الا أن فيه من الفرسان من يعد في مقام العشرات من الابطال ومنهم العالمان الشهيران بالشجاعة أبو مرداس التبرستي وأبو الحسن الابدلاني ولما تقابل الجمعان بموضع يعرف بفاغيس وأظن انه قريب من تمتي هال بعض أهل النظر من عسكر العباس ما رآه من كثرة جند خلف فأتى الى أبي مرداس وكلمه في ذلك فقال له لا اخاف انهزاماً على عسكر فيه ابو الحسن الابدلاني ثم اتى الى ابي الحسن وكلمه ايضاً فقال له لا اخاف على عسكر فيه ابو مرداس فتعجب الرجل من اتحاد كلاميهما • ولعمري انها لموافقة غريبة تشهد لهما بما كانا عليه من صدق النية وصفو القلوب وتوارد الخواطر الناشيء ذلك كله عن الحب في ذات الله ولأبي مرداس كالأبي الحسن فضائل عالية ومناقب فاخرة تكفل بذكرها المؤرخون وكان في العلم آية من آيات الله وفي الزهد نادرة من نوادر الدهر صاحب الامام عبد الوهاب حتى مات وصاحب ايوب بن العباس ثم اباعبيدة بعده ثم العباس هذا وكان معه كبيراً

في السن وهو قصير القامة يجر سيفه على الارض اذا مشى امام الجيوش . ومن غرائب الاتفاق انني كلما ذكرته او تذكرته خطر ببالي المشير أدهم باشا العثماني قائد الجيوش الشاهانية المنصورة في حرب اليونان سنة ١٣١٥ وهو بطل مشهور في هذا العصر وكلما ذكرت هذا ايضاً تذكرت ذاك

* ولما التحم القتال واشتد خلف وعساكره وثبتوا للعباس ثبوت الابطال ولم تزحزحهم من أماكنهم الرماح والنبال أتى أبو مرداس الى العباس وقال له قد طال وقوفهم معنا في ميدان الحرب وما كان الباطل ان يقف امام الحق هذا الزمن كله ولعلك أضمرت سوءً أو صدر منك ذنب عظيم كان عقابه لنا من الله ماتراه فأظهر التوبة وارجع الى ربك واستغفره لعل الله يؤيدنا بنصر من عنده ويبدل الحال فكرر العباس عند ذاك الاستغفار وأظهر التوبة (ولا معصوم من الذنب الا الانبياء والملائكة)

* ويقال ان أبا مرداس قال عند ذلك ماذا فعل العباس . وما علمنا منه الا الخير . ولكن الحرب عدمت رجالها ثم امتطى ظهر جواده واندفع للميدان بسلاحه . ولم يمض بعد ذلك من الزمن الا قليل حتى انهزم خلف وتخرمت صفوفه فنادى أبو مرداس في العسكر بعدم اتباعهم فقال بعض أصحاب الرأي لا نتركهم حتى نخرجهم من حيزنا فسكت أبو مرداس واقتفوا أثرهم حتى تجاوزوا (لالت) كما في السير وهو نهاية حكمهم اذ ذاك والظاهر ان المراد بلالت هو الوادي الفاصل بين الزنتان من جهة (ثغرمين) والرجبان من جهة فساطو المسمى الآن بوادي الآخرة لصعوبته وعمقه ويسمى (متلالة) أيضاً بالاسم القديم مع زيادة ميم وتاء في أوله على مايؤخذ من كتاب السير وان عبر في بعض الاحيان بلالت على لالوت وهي في طرف الجبل من

ناحية الغرب واعل هذا الاسم كان يطلق على قريتين شرقية وغربية والله أعلم .

* وكأن (مدينة تغرمين) لم تدخل في الطاعة ولم تحز الشهرة التي كانت لها في دولة بني رستم الا بعد هذا . ثم رجعوا وأقبلوا على العباس يهنونه بانتصاره فقال لهم انما يهنؤ بهذا ابو مرداس وأبو الحسن اللذان لم يناما ليلهما يدعوان الله ويتضرعان اليه وبذلك اتانا الله من فضله ما اتانا فله الحمد والشكر .

* ثم لما وصل المعسكر ترجل عن جواده وأقبل يعزي المشائخ الحاضرين في اقاربهم الذين كانوا مع خلف وماتوا قائلاً آجركم الله على مصيبتكم في اخوانكم واقاربكم فقالوا له ياعباس اما اولئك فأقاربنا وأولو أرحام منا واما انتم فاخواننا حقاً .

* ثم لم يزل العباس يوالي الوقائع والهجوم على خلف ويستميل اولي الالباب بعدله واستقامته ويرهب اهل الفساد بشدته وحزمه الى ان اوهن الله شوكة خلف وتشتتت بقية جموعه واضمحل امره ومات وترك ولداً هرب مع من رام محافظته واحياء اثر والده الى جزيرة جربة وكان من امره بعد ذلك ماسنذكره عند الكلام على الامام يوسف ان شاء الله وبقي العباس محمود الخصال ممدوح الحال يتابع الوقائع والحرب مع من لم يخلد الى الطاعة من جهات الجبل الشرقية كجبل شماخ وجبل يفرن وككلة وما حول ذلك حتى اطاعوا كلهم واعترفوا للامام افلح بالامامة .

* وكان ابو مرداس رحمه الله كثير التعرض له ومنعه من محاربة تلك الجهات وكأنه يؤمل منهم الدخول في الطاعة بدون حرب حيث كان المذهب واحداً او علم منهم القوة والكثرة فأراد استجلابهم بالملاطفة واللين ومن ذلك ما ذكر من ان العباس خرج ذات مرة (بعد هلاك خلف) بعسكره

الى جهات جبل يفرن وكان معه ابو مرداس فخلا به وأمره بالرجوع فأبى فقال
له ان لم ترجع صحت في العسكر فتفرق عنك (لأنه يعلم ان كلمته مسموعة)
فجمع العباس رجال عسكره وقام فيهم خطيباً فقال (نفد الزاد وضعف الكراع
فارجعوا حتى اذا سمنت الدواب وجددنا الزاد رجعنا) فامتثلوا الامر ورجعوا
وكأن الواقعة كانت في الشتاء ثم خرج اليهم مرة ثانية فجاء أبو مرداس
واشار عليه بالرجوع فامتنع فقال ابو مرداس معاتباً نفسه على ذلك هكذا
﴿ما اكثر جنون مهاصر (يعني نفسه) الذي يطاب رجلا مثله (يعني العباس
ويترك ربه) ثم دعا ربه وسأله الغيث فأنزل الله عليهم ماء غدقا وتتابع المطر
حتى طلب العسكر الرجوع وتفرق فقال ابو مرداس للعباس اردهم الآن
ان قدرت ياعباس . وخرج اليهم مرة أخرى فتأخر أبو مرداس وابو زكرياء
عن الحضور فافتقدهما فقيل له قد رجعا فخاف ان يكون رجوعهما لحدث
اومنكر انكراه عليه فأوقف العسكر في مكانه واقتفى ارهما الى ان وجدهما
عند أم الخطاب وهي عجوز عالمة مشهورة بالورع والزهد في بلدة (اغرميان)
بناحية تغرمين ومعنى هذا الاسم (قصر النفس في مجلس الذكر) فقال لهما
ولم رجعتما فقالا انك على الحق لم ننكر عليك شيئا وما رجعنا الا لكراهة
لمعان السيوف فحمد الله على موافقتهما وقال اتركا لمعان السيوف لمن يطيقه
وكانت ام الخطاب لم تعلم برجوعهما من العسكر فذبحت لهما شاة ولما سمعت
ذلك اخذت اللحم كله ووضعته في خرج على فرس العباس وقالت للشيخين
هذا هو الذي يستحق اللحم وأنتما يكفيكما الجلبان (تعني العدس وما
اشبهه مما طبخ مع ذلك اللحم) فرضيا بذلك واستحسناه وكأنها لم تعلم
العباس بذلك فركب جواده ولحق بعسكره.

* وممن كان معه في هذه الواقعة على ما رواه الشماخي رحمه الله العلامة ابو نصر التمصمصي أحد فضلاء جبل نفوسة علما وعملا وزهداً دار الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفاث وقيل من فتنة خلف قال وكان ضرير البصر فنزل الى القتال وقال اللهم انى لا أبصر ما اتقى ولا ما أضرب فلم تقع به ضربة ولم تخط له ضربة اه وهذا من غريب ما يسمع ويدل على ما كان لهم من الاعتناء والله أعلم.

* وكان رحمه الله على جانب عظيم من الآداب وحسن الخلق ولا سيما مع أهل الفضل والعلم خصوصاً العلامة أبا مرداس فقد ذكر الشماخي رحمه الله نقلا من تاريخ نفوسة الكبير الذى لا وجود له الآن أنه هو وجماعة معه فيهم أبو مرداس جازوا في طريقهم وهم مشاة بموضع قطعه الماء فتخطاه العباس وعجز عنه أبو مرداس لانه قصير القامة وطاعن في السن فوقف يحاول ذلك ثم قال للعباس لم أقدر على الوثوب مثلك ولا أريد أن أخالف طريقاً سلكته ولو صعدت مع حائط لسلكته لما لك علينا من حق الطاعة والانقياد فرجع العباس اليه وسلك طريقاً آخر سهلا وأظهر لهم التوبة مما صدر منه أولا من تغافله عما ورد من الامر بمراعاة الضعيف والسير بسيره فما ألطف هذه الآداب وما أبلغ هذا الانقياد الى الحق منهما ولا يظن القارئ أن هؤلاء الذين يقاتلهم ابو عبيدة في الأول والعباس في الآخر كانوا على مذاهب أخرى . بل كانوا كلهم من الاباضية وشقوا عصا الطاعة وانتحلوا الخلاف في مسائل طفيفة لا تخرجهم من الانتساب الى المذهب طلباً للاستقلال عن خلافة تبهرت لما رأوه في أنفسهم من القوة والكثرة اذ لم يكن الجبل وجهات طرابلس في ذلك الوقت على هذا الحال الموجود الآن من

صغر القرى وقلة الناس بل كان في الجبل وحده وفي ظاهره من قبائل نفوسة ومزاتة ما يتجاوز مائة الف فارس وعشرة آلاف فارس وكان فيه من الرجال ما لا يحصى وكانت هذه الفيافي الخالية الآن بجهات طرابلس والجبل كلها عامرة بالقرى وأهل البوادي كما تدل على ذلك آثارهم المؤيدة لصحة ما في التواريخ وبعد أن علم الناس قيمة العدل وعرفوا فائدة الأمن وذاقوا طعم السلامة والراحة انقطع الثائرون واستراح العباس وصفا الحال للامام وانتظمت له الأمور فبسط العدل في الرعية . وسار فيهم سيرة مرضية . واستقامت له الاحوال وساعدته الأقدار فاقتفى سيرة أبويه ولم ينقم عليه أحد في شيء من أحكامه وكان من المهابة والفروسية وغزارة العلم والحلم والكرم والاقدام والورع بمنزلة يكل عن وصفها اللسان . ويعجز عن حصر صغيرها القلم والبنان . هو السيد والأبطال عبيده . وهو الأسد الضاري والأقران صيده . اذا زأر دخل الرعب القلوب . واذا جال في ميادين الوغى هيأت اللحود وشقت الجيوب . ملأت أخبار بسالته البقاع . وصدعت هيبته الاسماع . وأدهش اقدامه في معامع الخطر عقول العقلاء وكان حاتماً الجواد بعد فيضان بحره الطافح من البخلاء . حدث عنه من باب الكرم ولا حرج . وقل ان شئت هو ممن عن دائرة ممكنات العقل في هذا الحديث خرج . فلله دره من امام واسع العطايا . كريم الشجايا . باسط يمينه لادرار الخير وافاضة الصلات قابض شماله على سيف النقمة لنكال الخاطئين وحصاد أعناق العصاه . خاض عباب سياسة الملوك بذكائه المستقيم . واستخلص جواهرها الثمينة بمسبار عقله الكامل الحكيم . وجعلها نبراس سيره في حناديس مهمات الأمور . فكانت سيرته جارية على محور الاستقامة رغماً عما يطرأ من حوادث الدهر

وتقلبات السنين والشهور . فهو وأيم الحق جامع الخصال الحميده ، ناظم عقد الكمالات بفضائله الفريدة .

﴿ ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد ﴾

* فمن سرح جواد فكره في صفحات التواريخ والسير . وريض نير عقله في رياض ذكر رجال السلف وما لهم من النوادر والعبر . رأى لهذا الامام العظيم من بينهم من الذكر الجميل . والأثر الجليل ما يبهر الألباب . ويؤدي الى الوله والاستغراب * وقد تكلم المؤرخ ابن الصغير المالكي على سيرته فخذها على القاعدة المتقدمة استدلالاً على صحة ماقلناه في حقه وان كان قليلاً .

قال

* فلما ولي أفلح أخذ بالعزم والحزم ونشأ له من البنين مالم يكن لغيره ممن قبله وطار له الصيت وأتته نفوسة الجبل يسألونه أن يقدم عليهم من يتولى أمرهم ولم تكن الشراة تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته ولا في أعشاره الى ان قال وكان قد عمر في امارته مالم يعمره أحد ممن كان قبله أقام خمسين عاماً أميراً حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ أبواباً من الحديد وبنى الجفان وأطعم فيها أيام المجاعة الجيعان وقد تقدم ذكرها قبل هذا وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة وأجروا الأنهار فابتنى أبان وحمويه القصرين المعروفين بهما بأملاق وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره مما يطول ذكره ولقد حدثني

من أثق به ان أبان وحموية خرجا يوماً الى قصريهما متنزهين ومعهما جماعة من اخوانهما فذكر عن بعضهم أنه قال لما اشرفنا على القصرين أحس بنا بعض عبيدهما فأعلموا سكان القصرين بقدومهما قال فتشوف من كان بالقصرين اليهما قال فوالله ما رأيت شرافة من شرافات القصرين الا وعليها ثوب أحمر أو أصفر على الجدار كالبدور وانتشرت القبائل وعمرت العمائر وكثرت الأموال بأيديهم وكانت العجم قد ابتنت القصور ونفوسة قد ابتنت العدوة والجند والقادمون من أفريقية قد ابتنوا المدينة العامرة اليوم وأمنت الساحات وكثرت الأموال حتى أطغت أهل الحواضر والبوادي حتى لقد حدثني غير واحد أنه كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابتنى له سوقاً يعرف به فكان صاحب شرطة أفلح اذا تخلل المدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال * وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق آه بلفظه يعني أن نفوسة هم الذين ينتخبون له من يصلح لتلك الوظائف سواء كان منهم أو من غيرهم وهو يعينه وكانت الأجناد تلي بطانة السلطان واولاده وحشمه

دهاء هذا الامام

﴿ ممزوج ﴾

* وبينما هو في أرغد عيش وأصفاه . وأتم حال وأهناه . على نحو ما حكيناه . اذا أوجس من القبائل المنتشرة حول المدينة وداخلها خيفه . ورآى من مبادىء الثورة آيات جلية وحركات خفيفه . لما رآه رؤساء القبائل والمقدمون في أنفسهم من القوة والجاه ونفوذ الكلمة لدى عشائرهم بما ملكوه في ظل عدل ذلك الامام من منقوش الدرهم ومدور الدينار وحمر

النعم ورؤس البقر والشاة وجياد الخيل ولما اتخذوه من الخدم والعبيد والفرش والستور والاسرة فأشروا وبطروا وخامرهم الكبر ودخلتهم الانفة من أن تقام عليهم حدود الشرع الشريف أو أن يتقيدوا بقانون من قوانين الدين المطهر المنيف تصديقا لقوله تعالى وهو أصدق القائلين .

* ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) (وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر يقدر ما يشاء)

* فعندها شمر رحمه الله عن ساق الحزم وكشف عن عضد العزم . لضم الخرق قبل اتساعه . واطفاء لهب تلك المقاصد الشريرة قبل ارتفاعه . فألقى موجبات التخالف بين كل مقدم واتباعه . وبث الجواسيس بين شعوب تلك القبائل بطارق سياسيه . وتدبيرات باطنيه . كفته مؤنة القتال . وقامت مقام تجنيد الجنود وسفك دماء الابطال . شان من تقدمه من حكماء الملوك الذين حنكتهم التجارب . وكرعوا في بحار الحكمة واغترفوا من حياض السياسة البالغة من آبائه وأجداده وغيرهم .

* وما كان غير بعيد حتى اختلفت الآراء بين تلك القبائل وتضادت الأهواء وصار بين كل قبيلة وحليفتها من الشقاق . أضعاف ما كان بينهما من الألفة والاتفاق . فنفرت قبائل زناتة من قبائل لواتة ومطماطة وعظم الشاحن بين الجند والعجم . وفشت البغضاء بين كل رئيس ومقدم . وصاروا كلما أوقدوا ناراً للحرب مع الامام اطفأها الله . ورد العاصين بالخيبة وكفى امام المسلمين القتال فآلت راضخة لسيطرته بدون محال . خاضعة الرقاب باسطة الأكف لقبول أوامره ونواهيه بدون جدال * كل يخاف ان يسعي به قرينه اليه او يستميله فيقربه منه ويغضب عليه . وعند ئذ أمن مكرهم بهذه

السياسه . ورد كيدهم في نحورهم بهذا الدهاء والفراسه .

﴿ قال ﴾ فلما رآى ذلك استقى على ظهره آمناً ومد يديه ورجليه مطمئنا وعلم انه كفي أمرهم وبقيت تلك الضغائن في القلوب اه

﴿ أحوال الامام أفلح مع الملوك ﴾

* وكان له مع أغلب الملوك مؤدة ولا سيما ملك (صوصو) او (كوكو) التي تبعد عن ﴿ تامرت ﴾ بمسافة ثلاثة أشهر تقريبا وكان أكثر المسافرين لتجارة السودان في ذلك العهد من أهل مدينة (وارجلان) وهوارة قال الشريف في نزهته * ومدينة كوكو مدينة كبيرة مشهورة الذكر في بلاد السودان وهي على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومنه شرب أهلها الى أن قال ثم أن ملك كوكو ملك قائم بذاته خاطب لنفسه وله حشم كثير ودخلة كبيرة وقواد وأجناد وزي كامل وحلية حسنة وهم يركبون الخيل والجمال ولهم باس وقهر لمن جاورهم من الامم المحيطة بأرضهم ولباس عامة أهل كوكو الجلود يسترون بها عوراتهم وتجارهم يلبسون القداوير (الجبب) والأكسية وعلى رؤسهم الكرازي وحليهم الذهب وخواصهم وجلتهم يلبسون الأزر وهم يداخلون التجار ويجالسونهم ويضعونهم بالبضائع على جهة المقارضة وينبت في أرض كوكو العود المسمى بعود الحية ومن خاصيته انه اذا وضع على جحر الحية خرجت اليه مسرعة ثم ان ماسك هذا العود يأخذ من الحية ما شاء بيده من غير أن يدركه شيء من الجزع ويجد في نفسه قوة عند أخذها والصحيح عند أهل الغرب الاقصى وأهل وارقلان ان ذلك العود اذا مسكه ماسكه بيده أو علقه في عنقه لم تقربه حية البتة وهذا مشهور وصفة هذا العود كصفة العاقر قرحاً مفتولاً لاكنه اسود

اللون ومن مدينة كوكو الى مدينة غانة شهر ونصف اه ثم ذكر أن بين غانة ومدينة (أودغست) في شمالها ١٢ مرحلة وبين أودغست ومدينة وارقلان ٣١ مرحلة فتحصل أن ما بين تيهرت وكوكو على هذا الطريق يقارب ثلاثة اشهر والطرق اليها مسلوكة مأمونة بما أبداه أئمة بنى رستم من الهمة بمحافظة قوافل التجارة الى الشرق والغرب والسودان كما سيأتي عن ابن الصغير

* وقال في صحيفة ١٢٠ ومن مدينة المسيلة الى وارقلان ١٢ مرحلة كباراً وهي (أي وارقلان) مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان الى بلاد غانة وبلاد ونقارة (لعلها هكارة) فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلدهم باسم بلدهم (أي يطبعون منه سكة دراهم ودنانير) وهم وهبية أباضية ومن وارقلان الى غانة ٣٠ مرحلة اه وهذا الطريق اقرب من الاول الى كوكو . وذكر أهل وارقلان في التواريخ بشأن التجارة الى السودان كثير جداً .

* وكذا رأيت لهوارة ذكراً كثيراً في هذا الباب ومن ذلك ما قاله في النزهة أيضاً وان أراد بذلك حالهم بعد انقضاء دولة الرستميين فنقول انه نشأ في مدتهم قال . وهم (يعنى هوارة) أملياء تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف من الزجاج والأصداف والاحجار وضروب من الأفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع وما منهم من يسفر عبيده ورجاله الاوله في قوافلهم المائة جمل والسبعون والثمانون جملاً كلها موقرة ولم يكن في دوله الملثم «بعد دولة بني رستم» أحد أكثر منهم أموالاً ولا أوسع منهم أحوالاً وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم الى

أن قال وأما الآن في وقت تأليفنا لهذا الكتاب (وهو أول المائة السادسة) فقد أتى على أكثر أموالهم (قبائل) المصامدة وغيرت ما كان بأيديهم من نعم الله اهـ.

* وله مع ملوك الاندلس وغيرهم مواصلة وارتباط ومودة يهادونه بالهدايا النفيسه ويهاديهم بمثلها وله عندهم شهرة ومقام رفيع ينظرونه بعين المهابة ويرمقونه بأعين الاجلال والاعتبار بحيث لم يحم حول مملكته طامع من الملوك الأخرى توقياً من وثبته واندهاشاً من صولته الا ما كان من أبي العباس محمد بن الأغلب لما استولى على غالب شطوط افريقية فانه دعاه الطمع الى التوغل في المغرب حتى تاخم حدود (تاهرت) وشرع في بناء مدينة هناك فسكت الامام رحمه الله ولم ينكر عليه مع علمه بما سينشأ عن عمرانها من المضايقة في الحدود ونقص التجارة الى أن تم بناؤها وترتيب أسواقها على نسق عجيب وترتيب غريب فوثب عليها وثوب الأسد بجيوشه وأجلاهم منها وأبقاها خاوية على عروشها يعمرها العنكبوت والبوم

* قال المؤرخ ابن خلدون المالكي وشيد (يعني أبا العباس محمد بن الأغلب) مدينة بقرب ﴿ تيهرت ﴾ وسماها العباسية وذلك سنة ٢٧ سبع وعشرين وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب بن رستم وكتب الى صاحب الاندلس يتقرب اليه بذلك فبعث اليه بمائة الف درهم آه

* وقد ذكر الحكاية أبو العباس البلاذري كذلك في تاريخه فتوح البلدان المطبوع ببلاد الافرنج في صحيفة ٢٣٤ الا أنه قال ان ذلك كان سنة ٢٣١ لا ٢٧ ولم يذكر التقرب وأنت ترى أيها القارىء ما في كلام ابن خلدون مما يدل على ما كان له من الحقد نحو بني رستم كما قلناه من قبل ولم نعلم له سبباً والا فكيف يتقرب

أفلح الى صاحب الاندلس وهو يهاديه بالمال كما قال وهذا على فرض صحة النسخة المنقول منها والا فربما كان الاصل هكذا ﴿ فبعث اليه بمائه الف درهم يتقرب اليه بذلك (فتأمل) والله أعلم *

﴿ بعض رسائل هذا الامام رحمه الله ﴾

* وله رحمه الله عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ وحكم دلت على ماله في الفضل والكمال والعدل من طول الباع وفي غزارة العلم وقوة الادراك من الاتساع ومن كلامه رحمه الله لبعض عماله قوله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلي
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

﴿ من أفلح بن عبد الوهاب الى البشير بن محمد سلام عليك واني أحمد الله الذي لا اله الا هو واسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ﴿أما بعد﴾ ألبسك الله عافيته فاني أذكرك عظمة الله لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ماخلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات والارض والجبال والشجر وأذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التى تكل الالسن عن وصفها فلو لم تكن كرامة تطلب الا النجاة من جهنم لكان في ذلك ماينبغي للعبيد أن ينصفوا من أنفسهم ويفارقوا جميع اللذات . الا اني أقول لك ان الدواء في هذا هو الاستغاثة الى الله في العصمة فمن أراد به الاحسان عصمه (أي حفظه من الاصرار على المعاصي ووفقه الى التوبة) وجعله من أوليائه الذين قال لابليس فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاطلب الله وارغب اليه في العصمة والتوفيق وان يحول بينك وبين عدوك

واعلم أنه لا شيء لمن عقل خير ممن وعظه ومن موعظة يأخذها . فاقبل واجتهد في القبول الى أن قال وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلاً وأطلق يدك وأن الحاضر يرى مالا يراه الغائب . فلعمري انه لكذلك ولكن ليس في هذا انما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي الا على قدر الاجتهاد فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها الينا على هذا مضى من كان قبلك الخ ومن كلامه أيضاً قوله .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أما بعد عافانا الله واياك عافية المتقين الذين أنعم الله عليهم بطاعته وهداهم الى ما اختلفوا فيه من الحق باذنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب * كتبت اليك ومن قبلي في عافية والله لا شريك له أحببت أن أعلمك ذلك بالكتابة به اليك لتحمد الله على ذلك وتشكره كما هو أهله . وأوصي نفسي واياك بتقوى الله ولزوم طاعته والتوقي على دينه والتوكل عليه وحده . لاشريك له فانه عز وجل يقول (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) فالزم التقوى نفسك واشعرها قلبك واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الامور . والتقوى من الله بمكان عظيم والمتقون هم الفائزون خلصوا من هموم الدنيا وأشغالها ونجوا من عذاب الآخرة ونكالها. فمهدوا لانفسكم وقدموا لمعادكم واعملوا عملاً يسركم غداً مكانه فكأني بكم وقد فارقتم الدنيا ولحقتم بالموتى . وعليكم بالتمسك بما مضى عليه سلفكم الصالح أهل الفقه واليقين والبصيرة في الدين

نظروا الى الآخرة بقلوبهم فهان عليهم فراق الدنيا ومافيها . فلا تغرنكم فانها فانية زائلة فكاننا وايا كم قد فارقناها فوقفنا بين يدي الله تعالى فيجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى عصمنا الله وايا كم بالتقوى ورزقنا العمل بطاعته فانه ولي ذلك ومنتهى الرغائب لاشريك له ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ شعره ﴾

* وكان رضي الله عنه من الادباء ذا اقتدار على النظم وحفظه له منه كل مارق وطاب فمن شعره الرائق تلك المنظومة المشهورة بين التلامذة الجامعة لحكم ونصائح هي جديرة بالحفظ والاعتناء بل يحق لها أن تكتب بمداد التبر على صفحات اللجين وأن يجعلها كل من كان ذا اعتناء بالعلم والعمل به من مكنونات فؤاده ومن درر محفوظاته حتى يصبح مهذب الاخلاق والخلق متحلياً بمحاسن الآداب العالية والعلوم النافعة وقد عني بتشطيرها ذلك الرحالة الشهير الاديب الكامل العلامة المفلق الشيخ علي بن أحمد العماني من علماء أباضية الشرق في أثناء سياحته بالقارة الافريقية في أواسط القرن الثالث عشر من الهجرة لما زار مشاهد جبل نفوسة ورآى ماعليه أهله اذ ذاك من التهور في المناهي الشرعية مع خراب المساجد وانطماس معالم السير ومن هناك توجه الى السودان وفي طريقه ذلك سرق منه ديوانه الجامع لأشعاره وقصائده وماحرره من رحلته فاغتم لذلك غماً لامزيد عليه وهنالك توفي رحمه الله . واليك نص المنظومة الرائقة مع تشطيرها البديع رضي الله عن صاحب الاصل ورحم من حاذاه بالمثل .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(العلم أبقى لأهـل العلم آثارا * وليلهم بشموس العلم قد نارا
يحيي به ذكرهم طول الزمان وقد * يريك أشخاصهم روحاً وأبكارا)
(حيٌّ وان مات ذو علم وذو ورع * ان كان في منهج الابرار ماما را
أو أنها غبرت أشخاصهم ومضوا * ماما ت عبد قفى من ذاك أوطارا)
(وذو حياة على جهل ومنقصة * ولا يبالي أخيراً نال أم عارا
حياته عدم في طول مدته * كميت قد ثوى في الرمس أعصارا)
(لله عصبة أهل العلم ان لهم * في كل أفق من الآفاق أنوارا
نالوا الأماني به طراً وبان لهم * فضل على الناس غياباً وحضّارا)
(العلم علم كفى بالعلم مكرمة * ومن يرد غير خير العلم ما اختارا
كم جاهل بأمور الدين مختبط * والجهل جهل كفى بالجهل ادبارا)
(العلم عند اسمه أكرم به شرفاً * للمرء اذ يكتسي بالعلم اطمارا
ماللفتى غير نور العلم من رتب * والجهل عند اسمه أعظم به عارا)
(يشرف العلم للانسان منزلة * ويجتني من جناه العذب أثمارا
العلم فخر علا عن كل مرتبة * ويرفع العلم للانسان أقدارا)
(العلم درٌّ له فضل ولا أحد * محص له كل عقل دونه حارا
فسل خبيراً وجب غور العقول ومن * في الناس يدري لذاك الدر مقدارا)
(للعلم فضل على الاعمال قاطبة * كان ذووه لدين الله أنصارا
وفضله الجم قد نص الحديث به * عن النبيء روينا فيه أخبارا)
(يقول طالب علم بات ليلته * رغبة تورد الضمآن تيارا
ومن يبت في الدجى بالجد مبتذلاً * في العلم أعظم عند الله أخطارا)

(من عابد سنة لله مجتهداً * ومنفق من كنوز التبر قنطارا
ما نال فضلا كفضل العلم قط ولو * صام النهار وأحيي الليل اسهارا)
(وقال ان مداد الطالبين على * دوامهم فيه آصالاً وأسحارا
ان أثر النضخ منه حين يبدي على * ثيابهم وعلى القرطاس اسطارا)
(مثل دم الشهداء المكرمين لهم * في جنة الخلد حور العين أبكارا
فضل ذوي العلم حتماً لا يماثله * فضل فأكرم بأهل العلم أخيارا)
(وقال هم يرثون الانبياء كذا * مراتب العلم لا يرتاب من مارا
فهم ولاة لرب العرش لا عدموا * فيهم روينا أحاديثاً وأخبارا)
(أكرم بهم من ذوي الفضل المبين لهم * بسر كسى مظلمات الارض أنوارا
ما ارتاب في فضلهم أولو العقول وهم * ارث النبوة في أيديهم صارا)
(الكاشفين معاني كل مشكلة * من العلوم وما فيه النهى حارا
النادين الى دين الاله به * والمظهرين خفي الغمض اظهارا)
(اشدد الى العلم رحلاً فوق راحلة * وكن الى طلب التعليم سيارا
واعص الكرى واصطبر دهراً على أرق * وصل الى العلم في الآفاق أسفارا)
(واصبر على دلج الاغساق معتسفاً * واقطع من الارض غيطاناً وأقفارا
وابذل من الجهد ما يشفي الفؤاد وجب * مهامه الارض احزاناً وأقطارا)
(حتى تزور رجالا في رحالهم * عان لهم واقتبس من نارهم نارا
واصل زيارتهم طول الزمان تجد * فضلا فأكرم بأهل العلم زوارا)
(والطف بمن انت منه العلم مقتبس * وكن به مشفقا براً ولو جارا
لو كان فظاً غليظ القلب منقبضا * جدد له كل يوم منك ابرارا)
(فاللطف مستخرج منه فوائده * دون اللآلي ترى لليم تيارا

واجعل بقلبك بر الوالدين له * وكن لصولته ان صال صبارا)
(فصدر ذي العلم ان راجعته حرج * راع الرضا منه واحمد حينما فارا
واخفض جناحك ان تهدر شقاشقه * فقد برى الاله هذا الخلق اطوارا)
(وارصد خواطر ساعات النشاط له * واستمطرن سحاباً منه مدرارا
وحاذر الزيغ واحسن في السؤال له * اذا أردت لبعض القول تكرارا)
(وأحسن الكشف عن علم تطالبه * وانصت بحسك اسماعا وأبصارا
ودم عليه ولا تسأم له طلباً * والزم دراسته سراً وأجهارا)
(ولا تكن جامعاً للصحف تخزنها * تملا التوابيت بالأسفار أوقارا
وأنت عن طلب التعليم في شغل * كالعير يحمل بين العير أسفارا)
(نعم الفضيلة نعم الذخر تورثه * فكل ذخر وكنز دونه بارا
والعلم خير كنوز المرء وهو غني * لنفسك اليوم ان أحسنت آثارا)
(وان هممت بخير الناس تألفهم * تلق أفاضلهم مثنى وأوتارا
لقد وجدت اصطحاب الاكرمين وقد * ألفت بالعلم أبراراً وأخيارا)
(فاطلب من العلم ما تقضي الفروض به * واردف به عملاً في القلب نوّارا
وطهر النفس من أوساخ شهوتها * واعمل بعلمك مضطراً ومختارا)
(واطلبه ما عشت في الدنيا وسدتها * وكن بعزمك والترغيب مغوارا
واجعله ذخراً ليوم لم يفد ندم * لموقف العرض أن لا تورد النارا)
(واجعله لله لا تجعله مفخرة * بين الأنام لذيل الكبر جرارا
وصنه عن كل جبار تفق عملاً * ولا ترائي به بدواً وأحضارا)
(تعساً لكل مراءٍ غير مقتصد * كانت بطينته شوباً وأكدارا
لقد عدا طوره فيما يخوض به * وقد تقلد آثاماً وأوزارا)

(يصطاد بالعلم أموال العباد كما * ساءت خلائقه واختارت العارا
يلقي الحبالات راج للقنيص كما * يصطاد مقتنص بالباز أطيارا)
(لو كان في فلوات الارض معترضاً * ذره ولا تغتنم من ذاك دينارا
ولو ترى الارض من أطرافها ذهباً * وللدراهم في الأسواق طرارا)
(فلا تخادع بما تبديه خالقنا * واحذر وكن عن قبيح الفعل فرارا
واجهر وسر التقي واذرف دموع دم * والله يعلم ما تخفيه اضمارا)
(مولاك يعلم ماتخفي الصدور فلا * تفتن بفعلك مهما كنت غدارا
ان حدت عن ربك الباقي الرؤف فلا * يكن لك الحلم من مولاك غرارا)
(ولا تداهن اذا ما قلت مسئلة * وكن من العدل والانصاف ممتارا
ولا تداهن بفتياك الأنام لقد * أضررت بالدين ان داهنت اضرارا)
(واجعل لنفسك حظاً من مذاكرة * ولا تكن لأخيك البر هجارا
ومل الى مجلس تجلو الهموم به * مع الصديق اذا استوحشت اسمارا)
(وانشط لعلمك اذ لا بد من ملل * اذا عرا قلبك التهمام وانضارا
وجانب النذل لاتنزل بساحته * ولا تكن من جميع الناس فرارا)
(وعاشر الناس وانظر من تعاشره * فان في الناس صداقاً ومكارا
صاحب أخا الصدق مع علم تسر به * قصدا ولا تكثرن الصحب اكثارا)
(فرب مكثر صحب لايزال يري * مذاق ود وبالاسنان كشارا
ورب صحبة من يهوى الفتى جلبت * لنفسه قرناء السوء أشرارا)
(الخير في الناس معدوم وفاعله * أرى الزمان له قد صار غدارا
ما في الزمان بقي خل تسر به * الا القليل وذاك القل قد بارا)
(وكن بربك لا بالناس معتصماً * فالناس كانوا كلمع الآل غرارا

وثق به واستكن فيما دعاك له * كفى بربك رزاقا وغفارا)
(خير العباد عباد الله ان له * طرفا الى خشية الرحمن نظارا
ترى له عند خوف العبد من ضرر * لطفاً خفياً يرد العسر أيسارا)
(سبحانه صمد لا شيء يشبهه * فرد قديم مديد الملك قهارا
أنا الفقير اليه أرجو رحمته * أقررت لله بالتوحيد اقرارا)

تمت القصيدة مع تشطيرها

* وكفى المطالع دليلا على غزارة علم هذا الامام أنه تصدر للتدريس والقاء العلوم على اختلاف فنونها قبل أن يبلغ الحلم وكانت عليه أربع حلق وقيل سبع من طلبة العلوم وقد بلغ في العلوم كلها حتى الرياضية والتنجيم مبلغاً لا يدرك شأوه حتى أنه كان ذات ليلة مع أخته يتجاذبان أطراف الحديث ويتحاوران في المباحث العلمية والفنون الأدبية اذ كانت هي أيضاً كسائر عائلتهم ممن رضع لبان العلوم ولها القدم الراسخ في المعارف فجرهما الكلام الى علم التنجيم وبعد أن تحاورا فيه ملياً قال لها لينظر كل منا أول ما سيذبح من الحيوانات في السوق غداً فحسب هو فقال أول ما يذبح بقرة صفراء في بطنها عجل أغر فضبطت هي الحساب وقالت له صدق حسابك في البقرة ولونها والعجل وأخطأ في الغرة فان العجل لا غرة له وذلك البياض الذي استظهرته من حسابك هو في رأس ذنب العجل وقد التوى حتى صار على جبهته وفي الصباح أمر أن يعرضوا عليه أول ما يذبح فاذا هو كما قالت اخته بدون خلاف. ومع ما سردناه من درجته في العلم كان والده الامام عبد الوهاب رحمه الله يحرج عليه الدخول في التجارة تورعاً وبعداً عن الوقوع في بعض الشبه من حيث البيع والشراء حتى أنه عزم مرة على التوجه الى جهة (صوصو) بقصد التجارة

في حياة والده لأن السبل الى السودان للتجارة اذ ذاك ممهدة مأمونة وبعد أن هيأ نفسه وبرز برحله خرج اليه والده ووقف له عند باب المدينة وصار يسأله ويناقشه في مسائل الربا والبيع والشراء حتى غفل في مسألة وأجاب فيها بخلاف الواقع فقال له ارجع ياأفلح عما قصدته حتى تستعد لهذا الامر والا أطعمتنا الحرام من حيث لاندري فرجع امتثالاً لأمر والده وتورعاً اقتداء بأمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في الحرام . ذكر الحكاية الشماخي رحمه الله ولعلها كانت في حال صباه قبل رسوخه في العلم كما يدل عليه سياق الكلام

خبر فرج النفوسي المعروف

بنفات الخارج عن الطاعة

وخبر العلامة سعد بن أبي يونس معه

* وفي أيامه رحمه الله خرج عن دائرة الآداب فرج المعروف بنفات ابن نصر النفوسي واتخذ الطعن في الأئمة الرستميين ديدنا وخالف المسلمين في مسائل استحق بها البراءة *

١ منها قوله ان الله هو الدهر الدائم ولما سئل عن ذلك قال هكذا وجدته في الدفتر . يعني الكتاب المسمى بهذا الاسم *

٢ ومنها انكاره الخطبة في الجمعة وادّعاؤه أنها بدعة وضلال *

٣ ومنها انكاره استعمال الامام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعيه ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا *

٤ ومنها قوله ان ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب *

٥ ومنها قوله ان المضطر بالجوع لا يعصي بيع ماله اذا باعه لأجل ذلك وعلى

من شهد مضرته تنجيته *

٦ ومنها قوله ان الفقد لا يتحقق الا فيمن تجاوز البحر * الى غير ذلك من المسائل التي انتحل فيها الخلاف * وقد كان ذاقهم عجيب وذكاء غريب واطلاع وادراك زائدين أخذ العلوم من منبعها والتقط غرائب الفنون من معدنها مع زميله العلامة سعد بن أبي يونس النفوسي وذلك عن الأئمة (بتاهرت) وسنبين خبره مفصلا على ما ذكره أبو زكرياء وغيره فنقول وبالله التوفيق * كان نفات هذا من احدى القرى الغربية من جبل نفوسة وأظنها هي القرية المعروفة الآن بنفاتة العامرة بقبيلة ما لكية المذهب تعرف بهذا اللقب ولعلها من سلالته اذ كان هذا اللقب موجوداً فيها من زمن جدناذاك الشهير بالعلم الغزير والكرم الواسع والعدل في الاحكام بجبل نفوسة في أوائل المائة السادسة أبي يحي زكرياء رحمه الله تعالى . وهي في قمه جبل صعب المراقي في سمت بلدة (تنزغت) من جهة الشرق الشمالي تلي بلدة (إجريجن) من جهة الشمال أهلها فقراء جداً وبينها وبين بلدة (تمزين) مسير خمس ساعات تقريباً الى ناحية الغرب وهذه لم تزل عامرة بجماعة من أهل المذهب لا تخلو في الغالب من فقهاء ولأهلها محافظة زائدة على عمارة مسجدهم بالصلاة جماعة وبمجلس القرآن العظيم ولهم اعتناء خاص بالسؤال عن مسائل الدين كلما اجتمعوا بمنتسب الى العلم وذلك لكثرة المترددين منهم على جبال بني مصعب لطلب العلم من علامة الزمان نادرة العصر شيخ الاسلام أستاذي الشيخ محمد بن يوسف المصعبي صاحب الصيت الكبير بمؤلفاته العظيمة * وكان أبو يونس وسيم النفوسي منها وقد ولاه الامام عاملا على قنطرارة المعروفة عندنا الآن (بذيجي) ذات العمارة الواسعة والثمار المتنوعة والعيون

الجارية في ذلك العهد وان لم يبق فيها الآن الا شيء قليل من النخيل وعيونها تسيل على وجه الارض لارتفاع كثير من منابعها ولا ينتفع بها أحد بشيء .
فتوجه العلامة سعد بن أبي يونس باشارة من والده الى (تاهرت) لتلقي العلوم فيها فصحبه نفات هذا وأقاما هنالك ما قدره الله من الزمن يلازمان فيه مجالس الامام وغيرها من نوادي العلم حتى أدركا درجة استحقا بها الذكر وكانت تظهر في أثناء تلك المدة من سعد دلائل الصلاح وتلوح دايه سيماء العفة والاستقامة أكثر من نفات وان حاز نفات قصبة السبق في الذكاء والفهم على كثيرين من أترابه وبينما هما كذلك اذ بلغ الامام وفاة أبي يونس عامله على قنطرارة ووالد سعد ولما سمع سعد بذلك حن الي الرجوع الى وطنه للقيام بأشغاله فاستأذن الامام في المسير فأذن له وطمع نفات في الولاية لما رآه في نفسه من القدرة عليها فعزم على السفر مع سعد راجيا أن يعينه الامام حاكما في مكان أبي يونس ويرجحه على سعد اذا رآه متوجها معه ولكن الامام بعد استشارته أهل الرأي ترجح لديه صلاحية سعد للقيام بهذا الأمر لما شاهده منه بعد تكرار التجربة من الصلابة في الدين والشدة والوقوف عند مناهي الشرع الشريف فكتب السجل (البيورلدي أو الفرمان) باسم سعد وطواه وختمه وسلمه لهما بدون أن يخبر نفاتا بشيء ولا بد من أن يكون قد أخبر سعداً وأمرهما بالمحافظة على ذلك الظرف الى أن يسلماه لمن وجهه باسمه من جماعة المسلمين بقنطرارة فاستراب نفات القضية واستفزه الشره وسوء الظن بالامام فتخلف في طريقهما عن سعد وفتش في الرحال واستخرج الكتاب وفتحه فاذا هو محرر باسم سعد لا باسمه فامتلأ حقداً وأضمر في نفسه كل شر قدر عليه * وبعد أن وصلا وسلما الظرف لصاحبه واتضح ان الامام عين

سعداً حاكماً جمع سعد أهل النظر والرأي وقرأ عليهم أمر الامام بتعيينه عاملاً عليهم فاستبشروا به وشهدوا باصابة رأي الامام ووقع الرضاء والقبول منهم فأحسن سعد السيرة وأقام منار العدل جارياً على سنن والده في التعفف وجمع الكلمة وكان له مسجد معروف به يقيم فيه الجمعة والعيدين والأوقات كلها

* هذا ما كان من أمر سعد وأما نفات فانه ذهب الى قريته وهي لا تتجاوز في البعد عن قنطرارة مسير أربع ساعات أو خمس تقريباً وشهر هنالك الطعن في الامام قائلاً انه يلبس الطرطور ويخرج الى الصيد ويصلي بالأشبر ويزيد في الخلقة (يعني انه عظيم العمامة كبير الوجه طويل اللحية جداً) الى غير ذلك مما يعده في زعمه طعناً وجهر بالقول بمسائله المتقدمة التي خالف فيها فخاف سعد من أن يغر العامة بكلامه فصار يكرر له النصائح وكلما اجتمع به وبخه وهدده وربما ألان له القول اذا خلا به سياسة وتأنيساً له أملاً في رجوعه ومحافظة على الهيئة الجامعة من الشقاق الا انه لم يجد نفعاً وبلغ من ملاطفة سعد اياه والاحتراس من فتنته أن اشترى داراً بجنب داره وشرع في بنائها ففرح أهل القرية والقرى المجاورة لها بذلك لما شهر به سعد من الاستقامة في أحكامه بقنطرارة وصار الناس يأتونه لزيارته واعانته بلوازم البناية ولقضاء حوائجهم أفواجاً أفواجاً * وللعلاقة التي بينه وبين نفات من حيث العشرة صار نفات هو المقدم في مباشرة الأمور ساعياً بقدر طاقته في الاعانة بما يلزم من نفسه ومن غيره وكان مؤدياً حق الصحبة والجوار مجتهداً في العمل بيده اذ كان بناءً عظيماً له معرفة بطرق البناء فاذا رأى سعد الناس قد اجتمعوا قال لنفات وهو في عمله متى تترك كفرك وضلالك يا نفات خوفاً من أن يتوهم الناس أنه راض عنه وأنه في ولايته اذ استعمله في البناء وقدمه

في أشغاله فيقول نفات منزهاً نفسه معاذ الله أن أكفر أو أضل ياشيخ وربما قال له ليس الشتم بعبادة ياشيخ واذا خلا المجلس من نفات قال سعد للحاضرين انما جزاء نفات مني على عمله هذا وخدمته الخبز واللحم لا الشتم والتهديد وما فعلت ذلك الا ليعلم الناس أني غير راض بسيرته فلا يغترون بأقواله وفتنته

* ولما بلغ الامام خبر نفات وانتقاده عليه قال ليأت الينا نفات فيوضح لنا ماأنكره منا فان كان حقاً قبلناه (والرجوع الى الحق فريضة) وان كان باطلاً (فإيه) فلما سمع نفات ذلك وعلم بطلان حجته قال ان كلمة (إيه) من السلطان هي القتل عينه فالى أين أذهب وبقي على ذلك والامام لم يأذن فيه بشيء والعمال لم يتجاسروا على معاملته بسوء انتظاراً لاذن الامام فيه بما يراه من الحكم الى ان شاع أمره وذاع خبر خلافه وفساد عقيدته فكتب عمال الامام الذين بلغهم خبره اليه ببيان حاله ومسائله التي خالف فيها.

جواب الامام أفلح رضي الله عنه
الى المسلمين في شأن نفات

* ولما كثر ورود أخبار نفات على الامام من عماله أجابهم رحمه الله بهذه الرسالة موجهاً بها الى عامله على نفزاوة وهي تراها بعيدة عن جبل نفوسة وطن نفات مستقلة عنه وعن قنطرارة الا أن العمال لشدة احتراسهم ومحافظتهم كاتبوا كلهم الامام بشأنه حتى لا يكونوا مقصرين في النصح وكأن عامله هذا من المقبولين عنده أكثر من غيره لحسن سيرته ولمكان أبيه عنده اذ كان وزيراً له .

قال رضي الله عنه

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم »

* ﴿ من أفلح بن عبد الوهاب ﴾ الى ميال بن يوسف يقرأه على من بحضرته ويوجهه الى كل من يرى توجيهه اليه ﴿ امابعد ﴾ فالحمدلله المحسن الى أوليائه المنعم عليهم بحسن بلائه معز أهل طاعته وناصر القائمين بحقه فليس من اتبع أمره بمخذول ﴿ أحمده ﴾ على ماأنعم به علينا وأحسن فيه الينا حمداً أبلغ به رضاه وأستوجب به المزيد انه قدير * انتهي الي الكتاب الذي كتب به اليك (تحية ابن عبدين) فقرأته وفهمت كل ماذكره لك فيه عن كل خائب جاهل بما هو عليه متحامل على مالا علم له به متخبط في أموره خبط عشواء لم يبلغ العلماء فيقتبس منهم ولم يصحب أهل الورع فتحجزه آثارهم عن الهجوم على مالا علم له به * لكنه نشأ وحيداً وأقام متوحشاً من العلماء فتقلب في جوانحه الشيطان بنفخاته فأورثه الكبر وعظم عليه الوقوف دون مالا يعلم حتى يعلم فهجم على مالا يحل له فكل شيء خطر على قلبه تكلم به مصيباً كان أو مخطئاً * وما أصابه من شيء على غير علم فأصابته خطأ اذ تكلم بما لاعلم له به وما أصابه من خطاء فهو مخطيء فيه ، فهو يتردد في الخطاء ان أصاب لم يدر وان أخطأ لم يدر فهو راكب مشكلات يخبط خبط عشواء كحاطب ليل لا يدري مايحطب ولعله يحتطب مافيه حتفه أو حية تأتي على نفسه فنعوذ بالله من الفتنة ومن السلوك على منهاج ذلك الرجل * لقد كان من مضى قبلكم من المسلمين لا يدعون مثل هذا يدخل مجالسهم ولا يشهد جماعتهم وكان عندهم مقصى ومبعداً مدحوراً يهجرونه ولا يجالسونه حتى يرجع الى سنة المسلمين وأنتم محقوقون باتباع آثار سلفكم والسلوك على مناهجهم وأن تفعلوا بهذا التائه المتخبط ماكان يفعله سلفكم بمن كان قبله لكي ينزجر من أراد الله به خيراً ويتنبه غيره ممن يخاف عليه الاقتداء به واتباعه ولا تظهر سنن أهل البدع

ولا تقوم للشيطان دعوة وأنا مبديء لكم ماذكره وراد عليه ضلالته) * ثم شرع في الرد عليه وفي ابطال مسائله التي انتحل فيها الخلاف للمسلمين بحجج واضحة وبراهين قاطعة وهي رسالة طويلة فاطلبها في غير هذا *

* ثم ان نفاثاً لم ينته عن غيه ولم يتيقظ من ضلاله ولم تؤثر فيه مراشد العلماء وأهل الفضل مع توالي النصائح اليه مشافهة وتحريراً من الامام وغيره ممن له اعتناء بشأن الدين واصلاح الأمة بل ازداد عناداً ورياء فكثرت الكتابات في حقه الى الامام من عماله وغيرهم ممن ائتمنهم وخصهم بكتابته واخباره بأحوال الولاة والعمال والرعية في الجهات فأجابهم رضي الله عنه بواسطة مكاتبه بهذا الجواب *

الرسالة الثانية للامام أفلح الى المسلمين

في حق نفات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من أفلح بن عبد الوهاب الى .... (بياض في الاصل)

* اما بعد البسنا الله واياك عافيته وكفانا واياك مهمات الامور برحمته * كتبت اليك وأنا ومن قبلي من خاصتي والرعية عامة على أحسن حال جرت به عادة الله وتواترت به نعماؤه فله الحمد كثيراً والشكر دائما * أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك واحسانه اليك والى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فسرني بذلك وحمدت الله كثيراً عليه وسألته تمام النعمة علينا وعليكم برحمته انه مجيب * وذكرتم أمر نفات وأكثرتم فيه الكتب ووصفتم عنه أشياء لايشك أحد منكم

في أنها بدعة وخلاف لما مضى عليه سلفكم فان يك ذلك كما وصفت فما ينبغي لاحد منكم أن يخالجه الشك في أن ذلك ضلال لأن الهدى في أيديكم والحق ما شرعه لكم سلفكم الصالح والائمة المرضيون رضي الله عنهم فمن أتى من بعدهم بما يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلال وكل ضلال كفر وكل كفر في النار * وأنتم على يقين من سنة أسلافكم ولا يتبع الهدى الا في موافقتهم ولا يخاف العاقل الهلاك الا في خلافهم * وقد قلتم في كتابكم ﴿ هو غلام حدث غرٌّ لا تجربة له في الامور فنخاف ان جشمناه السفر والشخوص أن تحمله اللجاجة مع اعجاب الرأي والتيه بالنفس على التمادي فيما يهلك به نفسه ﴾ فما وجه ما سألتم من ذلك وهل أنتم على شك من دينكم أو ريبة في أمركم * السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون كانوا على مثل حالكم * بل كانت لهم عمال في حال كتمانهم وكبار يقومون بكل أمر من الحقوق وغيرها في حال الكتمان وليس أحد منهم يقول ما حكيتموه عن هذا الغلام * فلما حدث منه ماذكرتموه كان أمره واضحاً وهو أنه أخذ بخلاف ما مضى عليه سلفه وأحدث مقالة لم يقلها عنهم غيره وأنتم على يقين من أمركم فما أحوجكم الى مجيئه واشخاصه وان كنتم تريدون أن تعلموا مانحن عليه فنحن على ما مضى عليه سلفنا ومقرون لما حكيتموه عنه ان قاله * فقوموا عليه فان رجع عن مقالته ونزع عن بدعته فمقبول منه رجوعه ومرحباً بالتائب حيث كان وممن كان وأين كان وان أبى الا التمادي فانتم تعلمون السيرة فيمن ابتدع في دين الله وشق عصا الاسلام وقال بخلاف الحق * فانه محقوق بأن يهجر ويقصى ويبعد * وتفات مثل واحد من الناس لا أخصه بشيء دون غيره والسيرة فيه وفي غيره واحدة والسنة قائمة وحكم الله لا يزول

ولا يتبدل. فانا نشهد الله على من كان من أهل هذه الدعوة وعمالنا وقوادنا وأهل العلم من أصحابنا ومن ألتف اليهم من رعيتنا أن لا يسمع أحداً يبتدع في دين الله أو يسلك طريقة غير طريقة أصحابنا الماضين من أسلافنا الا ويكون قد غير ذلك وأطفأه واستتاب من أظهره فان لم يتب خعله* فهذه مني عزيمة واجبة وأمر لازم وفرض محرم أن يتعدي وأن يقال بخلافه * فمن قريء عليه كتابي هذا فليسمع وليطع ولينتهِ الى ما أمرت به فان من انتهى اليه كتابي هذا في حرج ان قصر عما أمرت به * * ومن عاب أحداً من عمالنا بخصلة من الخصال أو أنكر عليه شيئاً فليرفع ذلك الينا فنكون نحن الذين يغيرونه ان كان مما يغير وليس للرعية الوثوب على السلطان حتى ترفع ذلك الينا لان الوثوب على السلطان والاقتفاء للخصال التي نحن اولى بالنظر فيها خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة لان هذا وضربه مما لا يعلم باطنه الا بالبحث وقد يظن الظانّ في الأمر فيراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم *ولم يظلم من دعاكم الى نفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم اليه لان في ذلك شفقة منا عليكم ان تهلكوا من حيث لا تعلمون والله ولي عصمتنا وتوفيقنا وأياكم وهو المستعان لا شريك له *وقد كتبت اليك جواب مسائلك فعليك بتقوى الله والعمل بطاعته وحسن النظر لنفسك فانها ان سلمت لك فقد نجوت وفزت فوزاً عظيماً *ولا تدع الكتابة الي بحالك وسلامتك فانك تسرني بذلك والسلام اهـ.

* ولما بلغ نفاثاً خبر هذه المكاتبات في حقه وأمر الامام عماله بتحقيق ماشهر عنه واثباته ثم اظهار البراءة منه ونفيه وابعاده ان لم يرجع بعد استتابته ضاقت به الارض وتوقع الهلاك فكتب الى الامام كتاباً (لم نعثر عليه) يستفهم فيه عن موجب الأمر بالبراءة منه ويشتمل على كلام حمل الامام

رحمه الله على مكاتبته برسالة لا بسملة فيها ولا سلام اشارة منه رضي الله عنه الى البراء منه وعدم الرضاء عنه ٠

﴿ الرسالة الثالثة للامام أفلح ﴾
﴿ رحمه الله أرسلها الى نفات ﴾

* ﴿ من أفلح بن عبد الوهاب ﴾ الى نفات بن نصر ﴿ أما بعد ﴾ فالحمد لله المنعم علينا والمحسن الينا الذي بنعمته تتم الصالحات ولا يهتدي مهتد الا بعونه وتوفيقه فله المنة علينا ولا منة لنا عليه * وهو المحسن الينا اذ هدانا لدينه وجعلنا خلفاً من بعد أسلافنا الصالحين وأئمتنا المهتدين الذين في اتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة * ولن يهتدي من خالف العدل ولن ينجو من ابتدع غير الحق لان تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار *

* وقد كتبت اليك غير كتاب أنصح لك فيه وأدعوك الى رشدك وفي كل ذلك لا يبلغني من عمالنا فيك الا ما أكره ولا أرضاه لدين ولا دنيا حتى حررت كتاباً منشوراً الى عمالنا أمرتهم فيه بخلع كل من خالف سيرة المسلمين وابتدع غير طريقتهم وسار بغير سيرتهم وبنفيه وهجره واقصائه * فكتبت الي كتاباً كأنك تسخط ذلك * أترى اني أوازر من ابتدع في ديننا (كلا) ما كنت بالذي يفعل ذلك ولا أوازر من يسعى في خلافنا ما كنا على الهدى *

* ثم قلت انا أمرنا في كتابنا بالبراءة منك * فان كنت كما كتب به الينا عمالنا فأنت محقوق بالبراءة ومقصى من جماعتنا لاننا ما كتبنا كتابنا ذلك الا على ان كل من ابتدع في ديننا خلاف أسلافنا وزعم أن عمالنا أساقفة

وانهم لاطاعة لهم في حال كتمانهم فهو محقوق بالبراءة ومقصى من جماعة المسلمين * فان تكن أنت منهم فأنت الذي أبحت لنا البراءة منك وأحللت بنفسك ما لا بد لنا أن نفعله بك وبغيرك * وان لم تكن كذلك فاظهر الانتفاء من ذلك وكذب عن نفسك ماقيل عنك لتكون عندنا بالحالة التى تستحقها وتستوجبها *

* وأما قولك (تب مما كتبت به) فهو منك عبث اذ لم أشاهدك ولم أشاهد موافقتك حتى يجب لك علي أصل ولاية * ولم يكن لك عندي تقدمة في الموافقة * وانما رفع الينا عنك مارفعه أهل الثقة عندنا فأمرنا عمالنا ان يسيروا في كل من ابتدع بسيرة المسلمين وكتبنا اليهم بذلك * فجعلت تكتب الينا فيما ليس لك به كتاب * فعلام تجاهل في الامور * فان كانت غايتك انما هي ان نكتب اليك وتجيب وتكتب الينا ونجيب فهذه غاية قصيرة والسكوت عنك أهنأ وأولى بنا ونحن بأمنينا به أحق من مجاوبة أهل التكلف ومن ليس له غاية الا أن يقال فيه كتب فلان وقال فلان وفلان يفعل ويفعل فلان * وان كانت غايتك التصحيح فانف عن نفسك مارقي عليك وكن من جماعتنا وموافقي اسلافنا * فاذا تبينت منك الموافقة والانتفاء ممارقي عليك كان ذلك هو الذى نحبه منك ومن غيرك وليس لك عندي غير هذا * وان يكن حقا ما رقي عليك وما قيل فيك من مخالفة أصحابنا فأنت ومارضيت به لنفسك * واني غير كاتب اليك كتابا بعد هذا الا ان انتهى الينا منك مانحبه فننزلك من أنفسنا بحيث تحب والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آه

هروب نفات الى المشرق
﴿ واستنساخه ديوان الامام جابر بن زيد رحمه الله من مكتبة ﴾
الخليفة ببغداد

* فلما قرأ نفات هذا الكتاب وفهم اشارات الامام فيه وأدرك منتهى ما ترمي اليه آخر عبارة منه وهي قوله (واني غير كاتب اليك كتابا بعد هذا) علم أن دور الكتابة واللين قد انتهى وانسد بابه ولم يبق الا دور الشدة والعنف الذي فهمه قبل ذلك من قول الامام (إيه) فانتهز الفرصة وجمع ما عنده من المال نقدا تحته وكان غنياً مترياً وهرب طالباً للنجاة بنفسه الى أن تجاوز حد نفوذ الامام وهو (أرض سرت) وضل سائراً نحو الشرق حتى أتى مدينة بغداد وهي اذ ذاك مقر خلافة بني العباس بالمشرق وأقام فيها ماشاء الله ان يقيمه مترددا على صديق له بغدادي في السوق يتأنس اليه ويمضي جل أوقات فراغه عنده الى أن طرأت على السلطان مسئلة علمية أشكل عليه الأمر فيها وعجز علماؤه عن حلها فأمر أن ينادي في الاسواق بأن كل من أجاب عنها بجواب مقنع له ما يسأله من السلطان * وبينما نفات عندصاحبه اذ سمع ذلك النداء فقال لصاحبه انى سأذهب الى السلطان وأسأله بيان مسئلته لأجيبه عنها فقال له الزم نفسك فان الحال ليس بسهل وكأني بك وقد عجزت عن اداء ما تحملت به فأمر بقطع رأسك وليس هذا بميدان يجول فيه كل أحد فأصر نفات على كلامه ولما مر المنادي أمام الدكان قال له صاحبه ان هذا المغربى ذكر أنه يقدر على جواب السلطان فلم يك الا كلمح البصر حتى اختطفه الشرطي وذهب به الى أن مثل بين يدي السلطان فقربه اليه وأدناه وآنسه وسأله عن أحواله ونسبه ومسقط رأسه

فأجابه عن كل ذلك بأوجز بيان ثم رأى أن يمهد لنفسه عذراً حتى يكون مطمئنا آمناً من الهلاك ان هفا هفوة في كلامه عالماً بأن آفة الانسان اللسان فقال له اعلم اني رجل بربري اللغة والطبع مغربي المشرب لم أتخلق بالآداب الشرقية حتى أقوم بما يجب عليّ من حسن القول امام مقامك العالي فأطلب الاذن في التكلم بما يخطر ببالي مع العفو عما يصدر مني من الخطاء المغاير لسنن الأدب * وبعد أن تلفظ له بالاذن كما طلب سأله عن مسئلته فأجابه في الحال بجواب كاف شاف اقنعه كل اقناع ولا عجاب الخليفة به صار يكرر له السؤال عن معضلات المسائل وهو يجيب وكان المجلس حافلاً بالعلماء والفقهاء والأدباء والأمراء وأولي الوجاهة من أكابر بغداد اذ كانت للمسألة شهرة عظيمة ولها من قبل ذلك في الدوائر والمجالس ذكر شائع وطفق أولئك العلماء يسألونه سؤالا بعد سؤال وهو يجيبهم الى أن أعياهم الأمر وملوا الجلوس ولحق الخليفة من العجب ما أبهر عقله وحير فكره فنظر اليه وهو على هيئته المغربية فيما يظهر من قرائن الاحوال وقال معرضاً به (نعم العسل في ظرف سوء) ففطن لها نفات وقال في الحال معرضاً بديوان جابر المتقدم ذكره وهو موجود بخزانة (مكتبة) الخليفة (نعم الرجل في قبر سوء) ففطن الخليفة أيضاً لمراده واشتد به الحنق وكاد يأمر بالفتك به لولا ما صدر منه من الاذن في التكلم والعفو عن الخطاء ثم قال له اسأل حاجتك لنوافيك بها جزاء لمملكك هذا فقال له ان حاجتي هي صدور أمرك بالاذن لي في نسخ ديوان جابر بن زيد الموجود في مكتبتك * فما توانى السلطان في اذنه بذلك وقام نفات فرحاً بما ناله من الاقبال والفوز وكان الحاضرون من وزراء السلطان وخواصه قد أدركهم من الجزع ما كدر راحتهم

اذ رأوا السلطان مسايراً لنفات في أمر الديوان فقالوا له بعد خروج نفات كيف يصح لك يا أمير المؤمنين أن تأذن في نسخ الديوان وهو معدود من مهمات خزائنك وغرائبها حيث أنه لا يوجد في غيرها قط وهذا مما لا نرضاه منك * فتنبه اذ ذاك وندم وقال اني قد وعدته ولا يمكن لي الرجوع في كلامي فانظروا لي وجها مناسباً لا يحط بشرفي وأمنعه به من ذلك فقال له أحد الوزراء اذا رجع اليك فاعلمه بأنك موف له بالوعد الا أن مدة النسخ لا يمكن أن تجاوز يوما وليلة فانه اذا سمع منك ذلك ترك الطلب لأن هذا القدر من الزمن لا يغنيه شيئا فاستصوب السلطان هذا الرأي وأرسل في الحال الى نفات يعلمه بذلك ففطن نفات لهذه المكيدة وأدرك أن المسئله دبرت على أثر خروجه من عند السلطان فرضي بالشرط وذهب فاشترى مايكفيه بالتقريب مداداً وأقلاما ورقاً وصنع أحواضاً مجصصة بالجير مصففة على هيئة يتمكن بها من الكتابة كل ناسخ *

* ثم أمر مناديه فنادى في المدينة بأن كل من يحضر الى المحل الفلاني في يوم كذا ويكتب طول يومه فله دينار وللذي يملي عليه نصف دينار * وغير خفي ما كان في ذلك العصر العامر بالأدب والعلم من الكتاب والقراء فاجتمع له خلق لا يحصى وشرعوا في الكتابة الى الليل وقبل انتهاء وقت هؤلاء نادى المنادي أيضاً بأن من يكتب ليلته هذه فله ديناران ولمن يملي عليه دينار فبقي من الأولين من بقي وخلف من ذهب غيره واستمروا في الكتابة وما طلعت الشمس حتى تم له نسخ تسعة أجزاء وبقي له جزؤ واحد منعه السلطان من اتمامه لانتهاء الوقت المحدد المأذون به فاستأذن عليه ودخل فطلب منه أن يتصفحه مرة واحدة ويرده فسلمه له وبعد أن أتمه سرداً قال له قد حفظته

وان أردت أن أقرأه عليك لتعلم صدقي فعلت فتعجب الخليفة من ذلك وأمره بقراءته فقرأه الى آخره بحيث لم يترك منه شيأ قط *

* ثم ان الخليفة جمع وزراءه وقال لهم قد أعيانا أمر هذا الرجل وماقدرنا له على حيلة وها هوقد أتم الكتاب وأراد السفرولا بد لنا من رأي نتوصل به الى سلبه منه فأشاركل برأيه ثم قال هو اني سأسأله عندخروجه الى سفره عن أسئله فان عجز عنها سلبته منه بوسيلة انه ليس له بأهل أوقتلته وان أجاب فاسألوه أنتم واحداً بعد واحد حتى يعجزفنفعل به ماذكرناه *فاتفقوا على ذلك وافترقوا ولما بلغهم أن نفاثاً برز برحله للسفر حضروا ومعهم الخليفة بصورة أنهم يودعونه وابتدأوه بالاسئلة المتتابعة زمناً طويلاً حتى تنبه الى أنهم مافعلوا ذلك الا لقصد ارجاع الديوان منه*ولما رجعوا ولم يقدروا له على شيء أجمعوا على أن يرسلوا وراءه من ينتزعه منه * فتحذر هو وحاد عن الطريق المعروف فلم يدركوا له أثراً وتوجه الى مكة ثم منها الى طرابلس ولما بلغها سأل عن الاحوال فوجدها قد تغيرت ووجد دولة الامام في قوة عظيمة ونفوذ كامل واذ ذاك علم انه لامطمع له في شيء مما كان يقصده من الخروج عن الطاعة واستغفال العامة ورآى ان السكون أسلم وأصلح له الا ان الشيطان غره وضاعف حسده وسولت له نفسه ان يعدم ذلك الديوان حتى لا ينتفع به أحد بعده ولعله خاف ان يطلبه منه الامام لينسخوا منه نسخة للمكتبة المشهورة بخزانة نفوسة الجامعة اذ ذاك للآلاف المؤلفة من الكتب بمدينة (سروس) في جبل نفوسة أو لمكتبة تيهرت فحفر له في الارض ودفنه وأخلد الى السكون الى أن مات *

* وقد ذكر هذه الحكاية أبو زكرياء رحمه الله وغيره ولا غرابة فيما

ذكروه من حفظ نفات فان ما يحكى عن حفظ الشيخ السيوطي وغيره لا يبعد عن هذا وانما الغرابة في نسخ الديوان في تلك المدة القصيرة مع قولهم انه كان وقر عشرة جمال وانظر على هذا كيف تأتي لجابر رحمه الله تأليفه ونسخه مع اشتغاله بأمور المسلمين * الا ان يقال ان الخط في ذلك الوقت غليظ جداً ولا سبك فيه كما نشاهده في الكتب العتيقة وان المكتوب فيه جلد لا كاغد ولو كتب الآن لكان في أقل من ذلك بكثير * وقد تعرض صاحب كشف الظنون لذكر هذا الديوان ولم يقل فيه شيئاً والله أعلم

* والذي ذكره بعض أصحابنا فيما رأيته ان نفاثاً تاب ورجع عن مسائله التي خالف فيها وهو كلام قريب اذ لم يرو أحد أنه ذكر الامام بسوء أو تكلف لاثارة فتنة أو سعى في فساد بعد رجوعه من المشرق بل كان الامام بعد ذلك نافذ الامر ظاهر السيطرة فى نفوسة وغيرها والله أعلم بالحقائق *

امتحان الشراة من المسلمين للامام

﴿ أفلح رحمه الله بتولية العلامة محكم القضاء ﴾

* (الشراة) في اصطلاحهم تقريباً لفظ يطلق ويراد به جماعة تتركب من أربعين رجلا فما فوق ذلك اشتروا آخرتهم بدنياهم بمعنى انهم تخلوا عن الدنيا وعاهدوا الله على انكار المنكر والأمر بالمعروف بدون مبالاة ولا خوف من الموت ولو أدى بهم ذلك الى القتال * فهم دائما يمتحنون الأئمه والعمال بما يستدلون به على سرائرهم وخفايا مقاصدهم واعمالهم ويحمدون سيرتهم اويذمونها وعلى ذلك يكون مدار اقوال الناس فيهم ولذلك تجعل الأئمة والحكام مراشدهم نصب اعينهم لعلم الجميع باخلاصهم العمل لله في اصلاح الامة واقامة الدين *

* وقد امتحنوا هذا الامام أيضا بما جعله في أرفع درجات الرضاء والقبول

عند الخاصة والعامة من المسلمين وقد ذكر ذلك ابن الصغير المالكي في تاريخه مفصلا نخذه أيها القاريء منه بعبارته *

﴿ قال ﴾ وكان أول ما امتحنته به الشراة أن قاضيا من قضاة أبيه مات في أيامه فاجتمعوا اليه وسألوه أن يولي القضاء من استحق ذلك عنده فقال لهم أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم ثم اعلموني به أجبره لكم وأعضده على مايكون فيه الصلاح لكم فقلبوا أمرهم فلم يرتضوا أحداً منهم وأجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل أوراس (صاحب التفسير المشهور) فأتوا الى أفلح بن عبد الوهاب وقالوا له قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرض أحداً منا وقد رضينا جميعاً بمحكم الهواري الساكن بجبل اوراس لخاصتنا وعامتنا وديننا ودنيانا فقال افلح ويحكم دعوتم الى رجل هو كما وصفتم في ورعه ودينه ولكنه هو رجل نشأ في بادية لايعرف لذي القدر قدره ولا لذي الشرف شرفه وان كان ليس منكم أحد يحب أن يظلم ولا يظلم ولكن تحبون ان يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لاعراضكم ولا امتهان لأنفسكم *قالوا فانا لانرضى لقضائنا أحداً غيره فقال الذي حدثني أخبرني أبي أن أشد الناس بولاية محكم على أفلح أخوه أبو العباس قال أفلح اما اذا أبيتم غيره بعد نصحي لكم فابعثوا رسلكم اليه على بركة الله قال فخرجت الرسل بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة في داخل كل كتاب منهما بعد اثبات اسم الله العظيم ﴿ أما بعد ﴾ فانه قد نزل بالمسلمين أمر لاغني بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين الله عن اللحوق بهم والاجتماع معهم ليجمع رأيك ورأيهم على مافيه صلاح المسلمين فلما ورد كتاب القوم ورسلهم على محكم عمد الى دابة له وركبها وأخذ كساءه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى البلد

وقصد المسجد الجامع فنزله وابتدر اليه أصحابه فأحاطوا به وقالوا ان فلاناً ابن فلان القاضي توفي وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الامام عليك ﴿واعلم﴾ انك متى تخلفت عما دعوناك اليه كنت المسؤل عن كل دم يراق بغير حله وفرج يوطأ بغير وجهه فاتق الله ولا تخالف الامام والمسلمين فيما دعوك اليه وانك ان خالفت أجبرناك وان أطعتنا شكرناك * فقال لهم ان الحق مرّ أمر من شرب الدواء الا كرها وأنتم مترفهون ابناء نعم وغيري احب اليكم مني نصحتكم فاقبلوا نصيحتي وذكروا كلاماً يطول ثم قال اما اذا أبيتم الا هذا فارجعوا الى امامكم فاعلموه بما أعلمتكم وشاوروه في أموركم * قالوا لقد فعلنا قال على بركة الله فأنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء واشتروا له خادماً صفراء تخدمه وأجروا عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي أملوها منه ورجوها عنده فبينما هو على ذلك من أمره اذ تنازع أبو العباس أخو أفلح المشير له والمرغب فيه وصهر لأفلح في أرض فارتفعا الى أفلح * أبو العباس أخوه والآخر صهره فقال لهما أفلح كلاكما يعز عليّ ولكن ارتفعا الى محكم وكان أبو العباس يحب ذلك لتقديمه لمحكم وايثاره اياه وكان الآخر يكره ذلك ويحب ان لو كان أمرهما عند أفلح فاغتنم أبو العباس كلام أفلح وبادر الى بغلة له شهباء هملاجة فركبها وكان صاحبه على رمكة بطيئة المشي فأتى أبو العباس محكما فوجده خالياً في سقيفة داره ولم ير مع أبي العباس أحداً فأجلسه محكم الي جنبه وأقبل عليه يحدثه وخصمه متخلف على دابته فبينما هما كذلك اذ أقبل خصمه حتى نزل على باب دار محكم فلما رآى أبو العباس خصمه قد نزل نادى باسم جارية محكم فخرجت اليه فاستسقاها ماء ليري أبو العباس خصمه دالته على القاضي ليردعه بذلك فلما صار القدح الى الجارية قال الخصم

في نفسه الى من أحاكم خصمي جالس الى جنب القاضي ويستقي الماء من داره وأنا ملقى على باب الدار لا يلتفت اليّ ولا ينظر نحوي * قال ثم حانت منه التفاتة فاذا بالرجل جالس فقال له مابالك ياهذا وما قصتك فقال له جئت خصماً لأبي العباس فوجدته جالساً الى جنبك فجلست في موضعي هذا قال فغضب محكم على أبي العباس فقال ياأبا العباس تأتي مع خصمك فتجلس الى جنبي دونه وتستقي الماء من داري وبيد جاريتي «ياغلام» خذ بيد أبي العباس فاقعده مقعد خصمه ولا يبرح وخذ بيد خصمه فاقعده الى جنبي ومر الجارية فلتسقه ماء ففعل الغلام ماأمره به فخرج أبو العباس مغاضباً قد شق جيبه حتى دخل على أخيه (الامام) أفلح فلما رآه قال له مالك وماعراك قال له نزل بي من هذا الهواري .. الجافي مالم ينزل بأحد فقال وما ذاك فقص عليه القصة من أولها الى آخرها فلما فرغ من كلامه قال له ياأبا العباس قد كنت أعلمتك بهذا من قبل والصواب مافعل والحق أولى ان يؤثر ولو فعل غير هذا لكان مداهناً فاتصل ذلك من كلامه بوجوه الاباضية فأعجبهم وسروا به اه بالحرف الواحد * ومما امتحنه به وفد نفوسة أنهم نزلوا عنده أضيافاً ولما حضر الطعام وقف على رؤوسهم بالقنديل وهم يأكلون فمد له واحد منهم لقمة مما بين أيديهم باتفاق مع رفقائه ولما كانت احدى يديه رحمه الله مشغولة بالقنديل ولم يكن من الادب قبوله اللقمة بيد واحدة وضع القنديل فوق ركبته حتى لا يختفي عنهم نوره وتلقى اللقمة بيديه ولم يتكبر فشكروه على ذلك رحمهم الله أجمعين *

* ولم يزل رضي الله عنه يوالي الارشاد ويتابع كتب النصائح الى عماله في الجهات والى الجموع في البلاد تارة باللين والسياسة استمالة للنفوس الشاردة

وتأميناً للقلوب الوجلة وتارة بعبارات الشدة وجمل الارهاب والفاظ التهديد قهراً لذوي المقاصد السيئة وقطعاً لآمال أولي الألباب الفاسدة والنيات الخبيثة عادة كل ملك حكيم مدبر جامع للاضداد من الشدة واللين والغضب والرضاء والجود والبخل وغير ذلك ليصرف كلاً حيث يجب والا كان عاجزاً عن ضبط ملكه وقهر أعدائه * فليتتبع من رام معرفة قدر علو همم الكمل من الرجال غصون رسالة هذا الامام القائم بالعدل الشاهر للحق التي اتحف بها عامة رعيته وخاصتهم نصيحة لله وهدية وتليت عليهم بواسطة عماله في المجالس فكان لها في النفوس وقع عظيم وفي صفحات الصدور تأثير جسيم لما اشتملت عليه من النصح والترغيب والترهيب وها كها بمعانيها الفائقة والفاظها الرائقة *

﴿ النصيحة العامة من الامام ﴾

﴿ أفلح رحمه الله الى كل من كان تحت ﴾

« لوائه من المسلمين »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

﴿ من أفلح بن عبد الوهاب ﴾ الى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين ﴿ أما بعد ﴾ فالحمد لله الذي هدانا للاسلام * وأكرمنا بمحمد عليه السلام وأبقانا بعد تناسخ الامم حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطاً شاهدة لنبيها بالتبليغ ومصدقة لجميع الانبياء وشاهدة على جميع الامم بالبلاغ من الانبياء عليهم السلام اليهم منّاً من الله ورحمة * أرسل الينا نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعده بالنصر على الاعداء وضمن له الفلج والغلبة

ووعده بالعصمة وقال له عز وجل ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس ﴾ فأدى عليه السلام ما أمره الله به ونصح لأمته ودعا الى سبيل ربه وجاهد عدوه وغلظ على الكفار ولان للمؤمنين فكان لهم كما وصفه الله عز وجل رؤفا رحيما حتى انقضت مدته وفنيت أيامه واختار له ربه ما عنده فقبضه محمود السعي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم * فلم تبق خصلة من خصال الخير الدالة على الرشد الداعية الى النجاة الا ودعا اليها وسنها أو فرضها أو أوجبها ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية الى الهلكة الا وزجر عنها وأمر باجتنابها رحمة من الله لعباده فله الحمد على ذلك كثيراً * ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه والاخذ بأمره والانتهاء عما نهي عنه وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع للظالمين لكي لا تقوم للشيطان دعوة ولا تثبت لأهل حزبه قدم ولا ينفذ لهم حكم فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الدين واعزازه وهو الجهاد وتأدية الحقوق الواجبة لله تعالى * فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم والقيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه وتقربوا الى الله بالقيام بطاعته وطلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب وكرم المآب * وعليكم بتقوى الله واتباع آثار سلفكم فقد سنوا لكم الهدى وأوضحوا لكم طريق الحق وحملوكم على المنهاج ففي اتباعهم النجاة وفي خلافهم تخشى الهلكة فاتبعوا ولا تبتدعوا واجتهدوا في ادراك ما أدركوه واياكم والبدع فان البدع هلكة وسوء طريقة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار * فمن ترك آثار سلفكم الصالحين واتبع غير سبيلهم فقد أحل بنفسه الهلكة ووجب

عليكم القيام عليه والبراءة منه وخلعه مما هو عليه حتى لا يجد عندكم هوادة ولا ادهانا وحتى لا تقوم لظالم حجة ولا تطاع له مقالة فانكم متى لم يجد ظالم فيكم ولا عندكم مقاماً عززتم وعز دينكم وكان لكم ذلك عندالله فوزاً عظيما * (واعلموا) أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده وبلاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم * فليس لاحد منكم عذر ولا حجة يحتج بها على الله فقد أوضح لكم المنهاج وأنار لكم طريقة الحق وجعل لكل زمان رجالا تسند اليهم الأمور ويأمرون فيطاع أمرهم * ويدعون فيجاب نداؤهم * وأنتم رجال زمانكم والكبراء من أهل موضعكم فأعرضوا أعمالكم على اعمال من تقدم قبلكم من سلفكم وأهل الزمان الأول من أوائلكم فان كانت اعمالكم موافقة لاعمالهم فالله على ذلك محمود وعليكم الثبوت والازدياد من كل خير وان كانت أعمالكم قد قصرت عن اعمالهم وحطمكم الذنوب عن البلوغ الى درجاتهم فاحسنوا محاسبة انفسكم وانتبهوا من نومة الغفلة وخذوا لانفسكم من أنفسكم وانتم سالمون من قبل ان تؤخذوا ويؤخذ منكم بالكظم وتصيروا الى حالة لا يستغيث فيها مستغيث ولا تقبل من نفس فدية فاتقوا الله حق تقاته وتواصوا بالبر والتقوى ومروا بالمعرف المفترض عليكم وانهوا عن المنكر الذي قد نهيتم عنه * وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين * فانكم لن تسارعوا اليها بالأماني والتوكل * وانما تسارعون اليها بالعمل الصالح والمسارعة الى مرضاة ربكم ولن تنالوا ذلك الا بعون من الله وتوفيقه *

* ثم أحذركم أهل البدع الذين لم يعرفوا حقا فيتبعوه ولن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين *عاشوا مع أهل الجهل فخلابهم الشيطان ونفخ في

قلوبهم الكبر وأورثهم العجب فاستحيوا أن يقولوا فيما لا يعلمون لا نعلم فأفتوا برأيهم أقواما جهلة لا يعرفون ما يقال لهم * قلدوهم دينهم وألزموا أنفسهم الرأي فاتبعوهم على بدعتهم فضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل فويلهم ماذا سوغت لهم أنفسهم وما الذي ظنوه وأملوه اذ تركوا آثار من مضى من السلف الصالح * هل يخافون الهلكة في اتباع آثارهم أو يرجون النجاة في خلاف سبيلهم * كلا * ولكنهم اتبعوا أهواءهم بغير حق فألزمتهم فتنة الجهل وانتفخت صدورهم من نفخة الكبر * لم يحاسبوا أنفسهم فينكشف لهم خطأهم ﴿ فاحذروا ﴾ معشر المسلمين من كانت هذه صفته ومن حل بهذه المنزلة ورضيها لنفسه * واعلموا أن من كان كهذا فقد صار من حزب الشيطان وأوليائه لان الشيطان لم يضل ولم يهلك الا من باب الكبر * أمره الله أن يسجد لآدم صلى الله عليه وسلم فتكبر عليه وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فويله ماذا عليه من آدم اذ خلقه الله من طين لو سجد له كما أمره الله تعظيما لله لا لآدم وطاعة لله لا لآدم * وان كان آدم من طين فهو انما يطيع الله لا آدم * لكنه تكبر فهلك وعاند فكفر وغوى فضل وأصر فأهلك نفسه ولم يضر ذلك آدم * فهكذا هؤلاء المبتدعون الراغبون عن آثار سلفكم واتباع منهاجكم والسلوك على طريقتكم لم يضروا الا أنفسهم * ولم يحطبوا الا على ظهورهم ولم ينقصوا الا حظهم ولم يذهبوا الا نصيبهم فأما أنتم فعلى بصيرتكم ان تجنبتم طريقة المبتدعين وخالفتم سنة الظالمين * فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم واحسانه اليكم وارغبوا اليه في التوفيق والعصمة واحذروا ما حذركم منه من أليم عقابه * وارغبوا

فيما رغبكم فيه من جزيل ثوابه واذكروا مانهاكم عنه وما وصفه لكم عن المبتدعين قبلكم * ومن أضل من الناس فيما مضى * قال عز من قائل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) لعمري ماتفرقوا واختلفوا الا ببدعة ابتدعوها * وضلالة أحدثوها وفتنة رماهم الشيطان بها * فنفخ في قلوبهم الكبر * وأورثهم العجب * فحملهم على ترك المنهاج الذي مضى عليه صالح سلفهم وزين لهم بدعتهم وصيرهم بعد الهدى ضلالاً * وبعد الايمان كفارا * فقال عز وجل لهم وفيهم (أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فسماهم كفارا بعد الايمان بما أحدثوه وابتدعوه اذ تركوا ماشرع لهم من الدين وقال عز من قائل (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) فمدحهم اذ ثبتوا على دينه واتبعوا امره وسلكوا على منهاج اوائلهم * فعليكم معشر المسلمين باتباع الآثار والعمل بما عمل به اسلافكم المتقدمون قبلكم فقد سنوا لكم الهدى * ففي اتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي * والرشد خير من الغي والهدى خير من الضلالة * والجنة خير من النار * ولن يستوي عند الله من عمل بطاعته وامره ومن عمل بمعاصيه وركب سخطه * ألم تسمعوه يقول عز وجل (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) *هذا* وقد بالغت اليكم في النصيحة وشرحت لكم الموعظة ورضيت لكم بما رضيت به لنفسي ونهيتكم عما انهى عنه نفسي نصيحة لله واجتهاداً في طلب رضائه والله اسأل أن يوفقنا وأياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته انه قدير والسلام عليكم ورحمة الله آه

* فتأمل ايها القاريء حفظك الله في هذه المواعظ البالغة والحكم النافعة

التي ما صادفت قلباً قاسياً الا ولان * ولا طبعاً جامداً الا وهان * فهي لعمر الحق أكسير الهداية والتوفيق * ونبراس النهج الحقيق * منجية الغريق * ودليل الحائر الى أقوم طريق * وهدية الصديق الى الصديق * هكذا والله شأن أئمة الاسلام * وهكذا خلفاء الله على الأنام * وما سواهم ممن أطنبوا فيهم الكلام * وسبكوا في وصفهم النثر والنظام * الا أوهام في أوهام * وسراب كأضغاث أحلام *

عمال هذا الامام رضي الله عنه

* ومن ولاته وعماله المشهورين العلامة أبو عبيدة واليه على جبل نفوسة والعلامة ميال بن وزيره يوسف عامله على نفزاوة وما يليها * والعلامة سعد ابن أبي يونس عامله على مدينة تيجي * والعلامة العباس بن أيوب واليه على جبل نفوسة بعد أبي عبيدة والظاهر أن هذا بقي الى آخر دولته أو توفي قبله بقليل اذ لم نعثر قط على مكاتبة تدل على شيء من ذلك ولم نقف على من ولي الجبل بعد العباس وقبل ابنه أفلح الا ما ذكروه من ولاية العلامة أبي ذر أبان رحمه الله ولكن مدته كانت قصيرة فاما أن تكون في آخر دولة هذا الامام واما أن تكون في صدر امامة أبي بكر أو محمد * ولكونها في مدة هذا أقرب على ما هو المتبادر نتكلم عليها هاهنا فنقول *

ولاية العلامة أبي ذر أبان رحمه الله على جبل نفوسة

* ولما توفي العباس بن أيوب رحمه الله بعد أن أطاع الجبل كله وما يليه وانقطعت الفتن كتب المسلمون الى الامام في ذلك فولى عليهم العلامة الزاهد أبا ذر أبان بن وسيم النفوسي من بلدة (ويغو) المذكورة سابقا

وكان عفيف النفس لا تعلق له بالدنيا ولما كاف بهذا الأمر استثقل حمله ولم يجد مسلكا للتخلص منه* فتوجه الى الله تعالى وسأله أن يقصر مدته وأن لا تجاوز سبعة أيام فان مضت فلا تجاوز سبعة اشهر *فان مضت فلا تجاوز سبعة أعوام * هكذا ذكر الشماخي رحمه الله وقال كان مستجاب الدعاء فلم تصل مدته سبعة أشهر * ولم يذكر هو ولا غيره سبب انفصاله ولعله توفي والا فمثله لا يعزل ولا يقبل منه التسليم ان سلم لما كان عليه من التقوى والعلم * والمشهور عنه كما في السير انه أخذ العلم بعد أن كبر والحامل له على طلبه هو أنه أصابه مرض لازم به الفراش وكان معه في بيته أخوه أبو عبد الله مريضا أيضاً فاذا جاء الناس لزيارة أبي عبد الله مروا على أبان مروراً ثم يقعدون بجنب أخيه يحدثونه ويؤنسونه بالكلام فاذا قال له أحد وهو مار عليه كيف حالك يا أبان قال ان عاش أبان جعل للدنيا جزاءها ان شاء الله * وذلك لما يراه من تعظيم الناس لأخيه واستهانتهم به لجهله* ولما شفي من مرضه اجتهد في طلب العلم عند العلامة أبي خليل الدركلي حتى صار علامة زمانه فقال له شيخه أبو خليل افت يا أبان للناس بالرخص فان لكل زمان نذيراً وأنت نذير زمانك وكان يقول أدركت الناس الذين كانت أحاديثهم ذكر الله *وزيارتهم في الله * ومعانقتهم بالمودة والصحبة والمحبة * وبقيت حتى صحبت ناساً أحاديثهم الدنيا وزيارتهم الحوائج ومعانقتهم التناطح * وله رحمه الله ذكر كثير في كتاب السير واقوال مشهورة في كتب المذهب والله أعلم

وفاة هذا الامام وعدد مدته وأولاده

(رحمه الله الجميع)

* وفي آخر دولته رحمه الله استأذنه ابنه أبو اليقظان محمد في الحج فأذن له

وذهب وبينما هو يسعى في الحرم الشريف اذ أحاطت به رسل بني العباس وأخذ محفوظاً تحت المراقبة الى بغداد وأودع في السجن مع أخي الخليفة العباسي وستاتي القصة مشروحة ان شاء الله عند الكلام عليه وكل آت قريب * فبلغ الخبر الى الامام فاغتم واغتم المسلمون لذلك وتحققوا أن ماصنعته نفوسة قبل ذلك كما سبق مع جده الامام عبد الوهاب من منعه من الحج خوف الغدر به هو صواب محض وأخذ بجانب من الحذر والاستعداد المأمور بهما شرعا * وبقي الامام مكسور الخاطر كئيباً لا يطيب له مقام ولا يهنأ له منام لما أصاب قرة عينه ونخبة بنيه وان كانت شهامته الفارسية تابى الا اظهار التجلد والاصطبار كما قيل

*(وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع)*

الى أن وافته منيته والناس عنه راضون وبحسن سيرته يتحدثون وقد قال ابن الصغير في ذلك هكذا *(وان أفلح بن عبد الوهاب لما فقد ولده أبا اليقظان هذا وعلم أنه قد رفع الى بغداد اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهموماً محزوناً الى ان وافته منيته وابنه محبوس ببغداد اه وذلك سنة مأتين وأربعين من الهجرة ٢٤٠ وعلى رأي المراكشي في ولايته كما تقدم تكون وفاته سنة ثمان وثلاثين ومائتين ٢٣٨ وكانت مدته في الخلافة خمسين سنة على قول ابن الصغير وقال أبو زكرياء رحمه الله مكث في امامته ستين سنة والياً محسناً واماماً حسن السجية رؤفاً بالرعية لايخاف في الله لومة لائم اه وعلى رأيه هذا تكون وفاته سنة مائتين وخمسين ٢٥٠ وبهذا يتضح ان ماقاله المراكشي من ان وفاته كانت سنة خمس ومأتين ٢٠٥ ليس بسديد لما يلزم عليه من كون مدته ١٧ سنة فقط وهو باطل لمخالفته لكلام ابن الصغير مخالفة فاحشة

وهو أقرب منه عهداً بهؤلاء الأئمة وأكثر اطلاعاً على أخبارهم وأصح رواية اذ كان من سكان ﴿تيهرت﴾ معاصراً للامام محمد كما سيأتي في كلامه والله أعلم *

* وقد ترك من البنين ذرية صالحة رضعوا من لبان علومه الصفو الزلال والتقطوا من بحور آدابه ومعارفه السحر الحلال *منهم العلامة يعقوب الآتي خبره * فكانوا كما ذكره ابن الصغير المالكي في حقهم حيث قال *(وكان لأفلح أولاد قد بلغوا من السن والتجارب والممارسة مايستحق به كل واحد منهم الامامة الا أن الناس لا يرشحون من جميعهم الا رجلين أحدهما يكنى بأبي بكر والآخر يكنى بأبي اليقظان وبهاتين الكنيتين يعرفان *وكان ابنه أبو اليقظان حسن الحال عند الجميع منسوباً الى الورع اه وقد مر عن علمه ماهو كاف*

خلافة الامام أبي بكر بن أفلح

(رحمهما الله)

* وبعد وفاة الامام أفلح رحمه الله اجتمع حسب العادة أهل الحل والعقد من نفوسة وغيرهم ممن انتخبوه من العلماء والوجهاء وعقدوا الامامة لابنه أبي بكر اذ كان هو المترشح لها بعد أبي اليقظان لو كان موجوداً ولما تم أمر البيعة وأعلن للعامة أنكر بعض الناس ذلك ورأوا أنه غير أهل لها وعابوا نفوسة باستقلالهم بهذا الامر واختصاصهم به ثم سكتوا * وقد تكلم ابن الصغير المالكي عليه وعلى سيرته بما لم يأت به غيره فخذ ماقاله على ماصر من القاعدة فيما نقلناه من كلامه *

قال

* فلما مات أفلح بن عبد الوهاب قدم الناس أبا بكر ابنه وأخبرني غير

واحد قال كان عبد العزيز بن الأوز ينادي بأعلى صوته الله سائلكم معاشر نفوسة اذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه اليهم ليختاروا من هو أتقى وأرضى * فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقالته فلما ولي أبو بكر لم يكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة يسامح أهل المروآت ويشايعهم على مروآتهم ويحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيما قسيما جميلا جوادا سمحا وكان قد وفد على ملك السودان (ملك صوصو) بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان مما رآه من هيئته وجماله وفروسيته اذا ركب الخيل بين يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالبربرية لأن مخرج كلامها انما هو فيما بين القاف والكاف أو القاف والجيم الا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال اهـ *

مصاهرة الامام أبي بكر لابن عرفة
(وما نشأ عنها من الفتن)

« ممزوج »

* وكانت لابن عرفة أخت أو بنت لها من الجمال الباهر وحسن الخلقة ماهو مشهور في تلك الاقطار في ذلك الزمان ولأبي بكر أخت كذلك فتزوج كل منهما أخت الآخر فنال ابن عرفة عند أبي بكر المنزلة العليا من الاقبال والجاه حتى صار الرأي في مهمات الأمور كلها بيده فعلقته خواطر العامة لنيل مطالبها وقضاء مآربها من أبي بكر فكان ابن عرفة اذا ركب من داره يتبعه في ذهابه وايابه من ذوي الحاجات والدعاوي مالا يحصى من

الناس حتى عاد كأنه هو الامام ولا ذكر لأبي بكر فضاقت لذلك صدور
أهل الحل والعقد من الرستميين وغيرهم من أرباب الاصلاح ورأوا أن
ذلك مما يؤدي الى الاستهانة بأمر الامام والى تضييع حقوق العباد وان
مثل ذلك لم يعهد في سيرة السلف وربما خيف باستمرار ذلك الحال من
حدوث حوادث يصعب حل مشكلاتها فتغيرت القلوب وتبدلت الأفكار
من العامة وساءت الظنون بأبي بكر الا انه لم ينشأ عن ذلك مايكدر راحته
أو يوجب الاختلاف والتفرق بل بقيت الكلمة مجتمعة والدعوة واحدة
والرأي متفق والعمارة زائدة والتجارة رائجة وان وقع بعض مشاحنة وتنافر
بكثرة الأموال والاتباع بين القبائل ولاسيما بين هوارة فانها تحاسدت حتى
انقسمت فانحاز قسم منها يعرف ببني أوس الي من والاه من القبائل الأخرى
وانحاز القسم الآخر ويعرف بترهنة كذلك الى غيرها وبقي الحال ساكنا
لا حرب ولا نزاع ولا خروج عن طاعة الامام .

رجوع أبي اليقظان من بغداد
وتحسن أحوال الامام بأعماله العاليه

« ممزوج »

* وفي هذا الاثناء عاد أبو اليقظان من بغداد فوجد الحال على ماوصفناه
ولم ينكر على أخيه شيئا ولم يدع امارة ولم ينتحل خروجا طلبا للسلامة وحقنا
للدماء بل لم يقنع بذلك حتى أدى مع أخيه واجب الطاعة والانقياد وشمر
عن عضد الجد في اعانته واصلاح شؤن امامته على نسق ما رآه من
الاجرآت الشرقية وشرح له كل ما شاهده وما سمعه من سياسة ملوك الشرق
بني العباس وغيرهم وأعمالهم الملكية فارتاح أبو بكر لذلك وكان ميالا الى

الراحة والرفاهية ولذات المطعم والملبس وحب الرياضة فأقبل على أخيه أبي اليقظان وصرف اليه النظر في الامور وسلم له المقاليد لما ظهر له فيه من الكفاءة والاقتدار والنصح والامانة وكان شهيراً بالورع والصدق فقبل منه ذلك بطيب نفس وانشراح صدر وجد في التحسينات النافعة والانشاآت الخيرية وضبط الامور على أتقن وجه وأسلم نظام *

قال

* وكان أبو اليقظان يركب الى أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه فمن تكلم اليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظراً شافياً وأجرى الحق على من رضي وسخط وعظم قدره وصغر ولم تاخذه في الله لومة لائم فحمد له الشراة ذلك وحمد له أخوه فعله فاذا كان آخر النهار أتى باب دار أخيه أبي بكر فان وجده جالساً دخل عليه وأعلمه بما حدث في يومه من خبر وحكم وان ألفاه مشتغلا قال لمن علم أنه يصل اليه الى حرمه أقرأ الأمير السلام وقل له أصبحت مدينتك اليوم هادئة * واذا كان الليل ركب وطاف في المدينة حتى يرتب الحرس ويحكم أمر الدروب ويأمرهم ان حدث حادث أن يوافوا داره فاذا أحكم جميع ذلك انصرف الى داره فاذا كان بالغداة غدا الى باب أخيه فان وجده جالساً أعلمه بما كان في المدينة من حدث ان كان حدث أو هدو ان كان هدو * فلم يزل كذلك وعلى ذلك حتى خلب قلوب الناس واشرأبت اليه ومالت نحوه وفي كل ذلك محمد بن عرفة في دوي وصيت عال لا ينظر أبا اليقظان في حزبه ولا في طائفته ولا بالناحية التي هو بها ولا ينظر بهيبة له واجلال وحذر * وكان محمد بن عرفة اذا أتى باب أبي بكر لم يحجب كان أبو بكر في مجلسه أو في حرمه وكان أبو

اليقظان وجميع اخوة أبي بكر وأعمامه لا يدخلون على أبي بكر الا بالاستيذان اذا كان في مجلسه والا انصرفوا وكان محمد بن عرفة على غير ذلك آه

* فتوقع أولو البصيرة منه الميل عن مركز الاستقامة والحيادة عن منهج الانقياد والمروق عن الطاعة ورأوا ان بقاءه على ذلك من دواعي الفتنة ومؤسسات الخراب ولكنهم لم يتوصلوا الى عرض حقيقة حاله على انظار ابي بكر لشدة حجابه وولوعه به ولا زالوا يترقبون فرصة الوصول اليه لتنبيهه الى ان جمع رجال دولته وخواصه ذات مرة للمذاكره معهم في بعض شؤن مهمة *

مذاكرة رجال الامامة مع الامام في

شأن ابن عرفة وتنبه الامام لذلك

(ممزوج) ولما اجتمعوا عنده وخلا لهم المجلس ممن لم يدخل في الدعوة اذكانت رسمية وانتهت المذاكرة عما اجتمعوا لأجله فتحوا مع الامام باب البحث عن احوال ابن عرفة وما هو عليه من العظمة وازدحام الناس عند بابه واتباعهم إياه رائحا وغاديا وما يتوقعونه من سوء عاقبة ذلك فاذا الامام يجهل ذلك كله ولا يعلم بشيء مما حكوه عنه فعاتبوه على التغافل عن مثل ذلك وعن عدم الاعتناء به والاحتياط لدفع كل ما يحدوثه ربما تزعزع اركان الامامة ويختل نظام الهيئة الحاكمة وعرضوا عليه ماظهر لهم من الرأي في ذلك الا أنهم لم يشيروا عليه في ذلك الوقت بالقتل وأظهروا له ما لديهم من الرضاء بالأحوال الراهنة الجارية بحسن مساعي ابي اليقظان الذى صرف عنايته الكاملة وأبدا غيرته الخالصة في موجبات الاصلاح وتسديد الامور *

﴿ قال ﴾

* فلما سمع ابو بكر ما سمع شق صدره وأراد أن يعلم ذلك ففتح طاقاً في أعلى قصره يقابل الناحية التي يأتي منها محمد بن عرفة فلما كان بالغداة جلس في الطاق فبينما هو كذلك اذ تحرك محمد بن عرفة من قصره فبادر الناس اليه من كل جانب ومكان وذلك كله بعين أبي بكر وأقبل وبين يديه أمم وخلفه أمم وعن يمينه أمم وعن شماله أمم حتى أتى الباب فنزل أبو بكر من طاقه الى مجلسه وقدها له ما رآه ودخل محمد فخلا معه ملياً ثم انصرف وصعد أبو بكر الى الطاق فاذا بالامم التي أقبلت قد انصرفت وبقي بابه خالياً فتحقق عنده ما قال القائل ثم أرسل الى من ذكر له من أمر محمد بن عرفة ماذكر فقال له قد رأيت ما وصفت فما الرأي فقال له ان هممت به وأظهرت ذلك امتنع منك وغلب عليك ملكك لأن مطيعه أكثر من مطيعك ولكن ألطف في أمره اه *

﴿ خبر قتل ابن عرفة ﴾

﴿ ممزوج ﴾

ثم بعد أخذ ورد في الكلام أشار عليه ذلك المستشار (وبئست الاشارة) بطريقة رآى انها مناسبة (والله يعلم ما أراد بها نصح الامام أم غشه) فقال له لا سبيل الى الاتقاء من سوئه وكسر شوكته الا بقتله واخفاء جثته بحيث لا يبقى له أثر ولا يوجد له خبر ويعد مفقوداً لئلا ينشأ عن ذلك التعصب للأخذ بثاره من ذويه وأقاربه وتذاكرا في الطريق الموصل الى ذلك على النعت المذكور ملياً ثم أمره بكتمان السر لاتمام الغرض وافترقا وقد صعب عليه الحال صعوبة لا مزيد عليها لما كان بينهما من الألفة وشدة العلاقة بالمصاهرة

وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى الى أن جزم بامضاء ذلك الرأي وكان له منتزه يعرف بجنان الأمير طالما خلا فيه مع ابن عرفة لترويح النفس ورياضة البدن والتنزه في الأيام المناسبة لما فيه من الأشجار الملتفة والأزهار المتنوعة والعيون السائلة والأنهار الجارية وأنواع الطيور فأرسل اليه واحداً من خدمه يدعوه الى الحضور اليه للذهاب الى المنتزه كالعادة ويعلمه بأن لا يبيح بذلك لأحد وأن لا يستصحب معه من الخدم والأتباع أحداً وأنه سيفعل مثل ذلك وأن يكون مجيئه ليلاً حتى لا يتعلق به في طريقه أحد من الأصدقاء والخواص الذين لا يمكنه منعهم من الحضور * فبادر ابن عرفة عند ما أخبره الخادم بالخبر ملبياً ممتثلا كل ذلك وهو غافل عما قدر له في علم الله تعالى من الهلاك في ذلك اليوم ذاهل من قبل عما دونه الحكماء المتقدمون ورسمه الادباء والسياسيون في شأن مصاحبة الملوك والسلاطين تحذيراً من بطشهم وتنبيهاً الى تقلبات احوالهم فوجد الامام في انتظاره متهيئاً للخروج فركبا وخرجا ومعهما خادم للامام له علم بحقيقة الحال وكان قد اتفق معه على الفتك به اذا بلغوا المنتزه وساروا الى أن وصلوه وأقاما يومهما ذلك فيه على بساط المؤانسة ولسان حالهما يردد عبارات الوداع الى أن دخل وقت المغرب فأسبغا الوضوء وقاما الى الصلاة وبينما هما في اثنائها اذ هجم الخادم على ابن عرفة بحربة فصادفت ما بين كتفيه فخر الى الارض ميتاً من ساعته وكان على قرب المنتزه جبل فيه شق غائر في الارض يعرف (بالشفة الحمراء) فأمره بالقائه فيه فزمله في ثيابه وحمله الى أن ألقاه هنالك وأخفى فرسه ورجعا يكتنفهما ستر الليل ففقد ابن عرفة أهله لما بلغهم رجوع الامام ولم يكن معه وباتوا في أشأم ليلة واتصل الخبر ببطانته وشاع خبر فقده فخرج الناس في اليوم الثاني يتجسسون خبره ويتقفون

أثره الى أن أتوا الى المتنزه (وكان من قدر الله ان تغافل الخادم عن دمه فبقي في المكان ليكون دليلا على مصرعه وداعياً الى رغبة الناس والحرص في الوقوف على جثته*

(ومهما تكن عند امرىء من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم)

* فتفرقوا حين وقفوا على الدم في الأودية والجبال للاطلاع على المكامن والأماكن الغائرة الخفية ثم دلهم بعض أهل الخبرة بالأرض على الشق المذكور فقصدوه وأنزلوا اليه رجلا فوجده.

(ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود)

* فأخرجوه وحملوه الى النهر الذي قتل فيه وغسلوه وطيبوه وبعثوا الى بيته فأرسلوا اليهم فرسه وسيفه وكسوته المخصوصة فألبسوها اياه وقلدوه السيف وأركبوه الفرس وركب خلفه رجل ليمسكه حتى يكون على هيئته التي يكون عليها اذا ركب في حياته وقصدوا به المدينة وأمامه مناد ينادي بأعلى صوته قائلاً (ألا وان القتيل المظلوم يامركم بطلب ثاره ودمه) فهرع لرؤيته الرجال والنساء والصبيان ولحق الناس في ذلك اليوم من الرعب والجزع ما لم يلحقهم قبله لما كان له في أعينهم وقلوبهم من المهابة بما قدمه لدى أكثرهم من الأيادي البيضاء وقضاء المآرب وقد قيل من قبل ﴿جبلت النفس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها﴾ وقيل أيضا ﴿الناس عبيد الدرهم والدينار﴾ وقال الشاعر*

﴿رأيت الناس قد ذهبوا * الى من له ذهب*

* ومن لم يكن له ذهب * فالناس عنه قد ذهبوا﴾

﴿ رأيت الناس منفضة * الى من له فضه *

﴿ ومن لم تكن له فضه * فالناس عنه منفضه *

ولعمري ان هذه القصة لاشبه شيء بقصة جعفر البرمكي مع هارون الرشيد.

قيام أهل المدينة

﴿ للاخذ بثار ابن عرفه وحربهم مع الامام ﴾

« ممزوج »

* ثم عجلوا جهازه ودفنه وهاجت النفوس وكثرت الاقوال في سبب قتله وقاتله واشتد الحنق في الصدور وعظم الخطب وكان في المدينة من الوجهاء وذوي الكلمة رجل يعرف بمحمود بن الويليلي يرى أن قتله ظلم وان القيام لأخذ ثاره واجب وكان له على أبي بكر من الانكار ما كان فانتهز الفرصة اذ وجد للقصد سبيلاً فأرسل رسله الى مجتمع الناس يتعرف أحوالهم ويتحقق ماهم عليه من الرأي فأخبروه بأن الشقاق في الناس قد بلغ منتهاه وان الثورة لم تتوقف الا على محرك ورأس يعلن بذلك فأسرع الصعود الى موضع بأعلى المدينة يعرف بالكنيسة وقرع الطبل للاجتماع فبادر الناس اليه من كل الأطراف لتعودهم بضرب الطبل للاجتماع في (المهمات وهو قصعة كبيرة من الخشب أو النحاس مغطاة بجلد بعير بعد خدمته خدمة مخصوصة حتى يكون كالرق ومتى ييس وضرب بمقال من وبر أو ما أشبهه صار له صوت يسمع من بعيد على مسافة أربع ساعات وأكثر وأقل *هذا ان كان على النعت الموجود الآن عند رؤساء القبائل من البوادي والقرى الكبيرة من جبل نفوسة وغيره ولهم في ضربه طرق معروفة عندهم يستدلون بها على المقصد من ضربه فبمجرد سماع الواحد منهم صوته يعلم

أن المراد خير أو شر كما يعلم النفر العسكري في الحرب الأمر والنهي من رئيسه بالموسيقى والبوق وما أشبه ذلك)*

قال

* فأمرهم بأخذ السلاح والزحف الى أبي بكر وحربه واتصل الخبر بذلك بأبي بكر فبادر اليه خاصته من الرستميين والسمحيين وغيرهم فتهيأ لملاقاتهم وزحف الناس من أعلى المدينة من ناحية المشرق وزحف حزب أبي بكر وشيعته وخاصته من المغرب ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والبيض والرايات حتى اجتمع الناس جملة الا اليسير بموضع بمسجد أبي .... فلم تزل أيد تتطاير وأرجل كذلك وهامات تقلع وأفرغ على الفريقين الصبر اه*

* ﴿ ممزوج ﴾ فاغتنم العجم فرصة الوثوب لما كمن في قلوبهم قديماً من الغل وقالوا مالنا وللسكون والدعة وقد وقع بين الجند والعرب ومواليهم وبين السلطان ما نراه من الاضطهاد والحروب وما ذا يصدنا مع هذا الاشتغال بعضهم عن الهجوم على طرف من أطراف المدينة فننهبه ونخربه ونقتل كل من عارضنا فيه ثم نميل الى الكل فنهلكهم عن آخرهم ويصفو لنا البلد ونستقل بالسلطان فقصدوا الناحية المعروفة بموقف الدواب وكان أهلها في استعداد وحذر مما أضمره العجم فناهزوهم القتال وحمي الوطيس وقامت الحرب على ساق وقدم في سائر انحاء المدينة بين العجم وبين مقابليهم * وبين الجند والعرب وبين أبي بكر واستمرت الحال الى أن سقط واحد من وجوه العجم فتقدم من رام ايقاف ثيار الحرب اليه فحز رأسه وبرز به الى الميدان منادياً (يامعشر الجند والعرب تقتلون أنفسكم والعجم قد دخلوا عليكم ساحتكم يقتلون رجالكم ويستحيون نساءكم ويستحلون أموالكم) ثم ألقى الرأس بين الصفين فلما

نظروه وعرفوه ألقوا السلاح وتعانقوا وعادوا يداً واحدة في الحال ومالوا نحو العجم فأبلوهم البلاء الشديد حتى ولوا منهزمين وانحاز أبو بكر الى داره آخذاً طريق الانفراد لا أمر ولا نهي ولا حكم وقد تشاءم الناس منه *

﴿ تجنب نفوسة وأبي اليقظان ﴾

(لهذه الفتنة)

(ممزوج)

* وفي كل ذلك أبو اليقظان معتزل في المحل المعروف بعدوة نفوسة لا يظهر ميلاً الى احد وان اتهمه الجند والعرب بالميل الى غيرهما وكذا نفوسة لم يدخلوا في أمر هذه الفتنة بقول ولا فعل كأبي اليقظان وبقيت الحرب متحركة بين العجم وبين الجند والعرب خاصة يتبادلان النصر والهزيمة فتارة لهؤلاء وآونة لأولئك الا أن الجندمتى تغلبوا على جهة وخرج أهلها من ديارهم أبقوها على حالها ولا يغيرون منها شيئاً الى أن تغلبوا ذات مرة على جهة بجوار درب النفوسيين فيها بعض نفوسة وكان مع الجند والعرب خلف الخادم مولى الأغلب وهو ذو مال عظيم لا يضن به في اعانتهم كلما احتاجوا فصار متبع الرأي مسموع الكلمة عندهم فقال لهم ماأراكم صنعتم شيئاً اذا أبقيتم الديار بدون احراق فأضرموها حينئذ ناراً والعياذ بالله *

﴿ حرب نفوسة وأبي اليقظان ﴾

« مع أهل المدينة »

﴿ ممزوج ﴾

* فأخذت الغيرة نفوسة وغضبت لذلك وقالت هذا جزاؤنا منهم اذ لم نتعرض لحربهم فلم يقنعهم الا احراق ديارنا واستحياء حريمنا وكأني بهم

ولسان حالهم ينشد قول الشاعر *

(ومن لم يذد عن حوضه بسيوفه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم)

* فمنذئذ قامت قيامة نفوسة وتعصبت للمدافعة عن حرمها وحماية مجاوريها وضمت العجم اليها ودعت أبا اليقظان في مكانه الى الموافقه على ذلك فأجاب واتحدت الكلمة وتقوت العصبة بانضمام العجم والرستميين وأبي اليقظان الى نفوسة وتجددت الحروب وتوالت المصادمات وكانت وقائع يشيب لشدة هولها الرضيع كانت الدوائر فيها لنفوسة والعجم على الجند والعرب *

﴿ قال ﴾

* ثم كانت بينهم وقائع كلها للعجم ونفوسة على العرب (منها) وقعة تعرف بقنطرة الدقنس (ومنها) وقعة تعرف بقنطرة سليس وفرغ في هاتين الوقعتين وجوه العرب وصنا ديدها ثم كانت (وقعة) تعرف بيوم ﴿ الرد المعوج ﴾ وانما سمي الرد المعوج فيما ذكر أن (نفوسة) أخذ بعضها على بعض العهد وقال بعضهم لبعض كيف يجوز لنا الفرار من الزحف قالوا فما وجه الرأي قالوا أن نضم أرجل بعضنا الى بعض بالحبال ونثبت للحرب فكلما دارت الى ناحية درنا معها بوجوهنا ولا نبرح من أمكنتنا حتى تقطع السيوف في هاماتنا فكان في ذلك اليوم قتال لم يتقدم قبله قتال مثله فكلما دارت الحرب على ذلك الرد دار اليها ودار معها حتى افترق القتال وهو على حاله اهـ *

* فلله نفوسة من رجال وأبطال * ولم يخل الله الأرض حتى الآن من رجال منهم ملؤا يقيناً وايماناً فهم مثال الشجاعة والاقدام لو ضمتهم المحافل وأظلتهم ظلال الرايات الحميدية وسط تلك المعامع الأدهمية وأشباهها لكان لهم الفخر المقدم والصيت الأسمى ولكان حاديهم يترنم بدون خجل ولا

وجل وهو يسوقهم الى تلك الميادين ببيت الشاعر القائل *

(واني وان كنت الأخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الأوائل)

* ولما قصروا عن درجة أولئك ان لم يجاوزوها بأصعاف وبالامتحان يكرم المرؤ أو يهان *(ومن يشابه أبه فما ظلم)*

﴿ممزوج﴾ ثم مع استمرار الحرب وتتابع الوقائع عكس القضاء المبرم الأمر وعاد النصر حليف الجند والعرب والتقهقر والضعف زميل نفوسة والعجم (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا * وتلك الايام نداولها بين الناس *وما النصر الا من عند الله* حتى أجلوهم من الامصار واضرموا في ديارهم النار وذهب كل ملتجأ الى حيث ينجو من القتل ثم انحازت نفوسة والرستميون والعجم مع أبي اليقظان الى المحل المعروف بعدوة نفوسة وبنوا فيه حصناً منيعاً مشيداً ياوون اليه ابان تضايقهم من عدوهم فخلا للجند والعرب الجو وخلصت لهم المدينة وواسع البسائط وكثرت اتباعهم وعظم جيشهم وكان فيهم من عظماء التجار والاغنياء عدد منهم أبو محمد الصيرفي وابن الواسطى وأمثالهما ممن حركتهم الغيرة القومية والحمية الجاهلية فجادوا بما لديهم من الاموال وأمروا ببناء حصن يقابل حصن نفوسة ويضاهيه في المنعة على بعد رمية سهم منه فشرعوا فيه على ضفة نهر يعرف بالنهر الصغير وهو الحائل بين الحصنين فوالت عليهم نفوسة والعجم الهجوم لصدهم عن البناء فاشتغلوا بالعمل ليلاً وربما جعلوا في النهار سترا عن العملة يردعنهم سهام نفوسة واجتهدوا فيه الى أن تم على النحو المطلوب من القوة والمنعة ونزلوه واشتد اذ ذاك باسهم وتقوت شوكتهم وناصبوهم الحرب فجرت بينهم مفاخرات وملاطفات وعادت الحرب رياء وسمعة ونبغت في الفريقين ابطال وفرسان

وتمارت الاغنياء والتجار في صرف الدينار والدرهم على شراء السلاح وآلات الحرب للمستحقين *

(قال)

أخبرني بعض المشائخ قال عبت نفوسة والعجم ومن لف لفهم بين يدي حصنهم وعلى حصنهم فبرز رجل من العجم يقال له ابن وردة وبيده سيف ودرقة وكان قلما يلقى قرناً الا قتله فنادي هل من مبارز فهابه الناس آه

* ثم مع استمرار الحرب والزمن دوار * والقادر الخالق مختار * يفعل في ملكه ما يشاء ويختار * أخذ دور نفوسة والعجم في الانحطاط وجموعهم في القلة وأحوالهم مع عدوهم في التقهقر الى أن بارحوا حصنهم عنوة يحنون اليه ويئنون من فراقه واتخذ كل وجهة متفرقين في الجهات طلباً للنجاة *

(واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وأسرع التحويلا)
(ليس المقام عليك فرضاً لازما * في بلده تدع العزيز ذليلا)

(قال)

* قالوا ان العجم ونفوسة والرستميين لما نزل بهم ما نزل تفرقوا في أقاصي البلاد فنزلت العجم بموضع يقال له (تابغيات) وهي على مرحلتين من (مدينة تاهرت) وأما الرستمية ومن لف لفها فلحقوا بأبي اليقظان بالموضع الذي يقال له (اسكيدال) وهو بقبلة تاهرت على مسيرة اليوم أو أزيد قليلا في مجمع الأباضية وأما نفوسة فنزلت بقلعة ما نعة يقال لها اليوم (قلعة نفوسة) آه

(خروج الامام واستيلاء ابن مسالة على المدينة)

(ممزوج) هذا * وحال أبي بكر في المدينة لا يزال في ضعف

وادبار لا يقمع ظالماً ولا يجير مظلوما ولا يقيم حداً ولا يغير منكراً ولا يحمي ملتجأً الى أن ضاق به الحال وقات أنصاره وتوقع الهلاك فخرج بمن معه نجياً الى حيث لا يصاب ولا يدرك (هكذا هاهنا وقال أبو زكرياء سلم لأخيه محمد وقال المراكشي اخرجوه ثم ردوه الى أن مات) والظاهر أن مدته كانت قصيرة جداً لم تبلغ سنتين والله أعلم *

* فاستولى على المدينة محمد بن مسالة وهو أمير مستقل عن تيهرت أباضي المذهب يدير شؤنها ويدبر أحوالها على حسب ما يراه مساعداً لاغراض العامة والكثير * وأخذت الهدنة في الناس مأخذاً صار به كل مستقلا بجهة آخذاً حذره مما يطرأ عليه من مقابله غير متشبث بما يثير شرر الحرب فهدأت الحركات ووضعت الحرب أوزارها وكاد يقع في الخواطر ميل الى حب الألفة والاجتماع مللاً وسآمة من وطأة الشقاق وبينما هم كذلك اذا تحركت بين هوارة ولواتة بعض تلك الضغائن الكامنة في الصدور منذ عهد قديم فشبت بينهما نار الحرب وعلا لهبها فأعان أهل المدينه هوارة حتى أجلوا منها لواتة رغما عما قاسته في اثناء تلك الحروب الشنيعة من الأهوال وما تكبدته من المشاق ولاقته من الخسار في الأموال والرجال فنزلت حصنها المعروف بحصن لواتة على قرب من الموضع المعروف (بتاسلمونت) الذي منه تنبع عيون نهر مينة الجاري من قبلة تاهرت الذي نصبوا عليه المطاحن وخاطبت أبا اليقظان على النزول بجوارها والدفاع عنها فأجابها الى ذلك وتحول اليها *

—*(خلافة الامام أبي اليقظان محمد بن أفلح رحمها الله)*—

* ولما بلغ أهل المدينة انتقال أبي اليقظان الى حصن لواتة خرج وجوهها

وأهل الرأي منها الى لواتة واتفقوا معهم على تقديمه ثم أتوه وبايعوه بالخلافة وذلك سنة احدى وأربعين ومائتين ٢٤١ من الهجرة تقريباً *

* (قال ابن الصغير) * وكان معه بعض الأموال التي أتى بها من بغداد والمدينة بها رجال هواؤهم وقلوبهم عند أبي اليقظان فخرجوا اليه فصارت الدعوة والامامة كلها لأبي اليقظان وأتته الأباضية من كل الاقطار وبقي بالمدينة أمم ممن هم لا يوالون أبا اليقظان ولا يبرؤن من رأيه ويوالون محمداً ابن مسالة على عماية لا على الديانة فتجردت الحرب وعادت جذعه وحمل أبو اليقظان الناس على الخيل ودعي له بالامارة والامامة والغي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة آه * (ممزوج) وما سمعت القبائل الأخرى حتى أتت لتقديم البيعة من كل الاقطار فقبلها * وقام خطيباً فرغب الناس في الاعتصام بحبل الله لحقن الدماء وحفظ الاموال التي طالما درتها رياح الظلم والاستبداد وسفكتها سيوف الطاغين ووالى الهجوم والوثوب على المدينة فاستمر الحصار على من تحصن فيها وعصى من أتباع ابن مسالة (سبع سنين) حتى ضعفت الاقوياء وأولو الثروة الذين كان عليهم مدار رحا الحرب وفنيت تلك الاموال ودكت تلك الابطال وعمت المصائب وكثرت الأهوال وكره الناس الحرب والفتنة وملوا من الحصر وشكا بعضهم لبعض ما حل بهم من الفناء والفقر الا أن النفوس الميالة بطبعها الى الشر تابى الخضوع وتانف من العدل وتمج طلب الصلح والرجوع الى الطاعة غواية وعناداً (ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي) *

—*(طلب الامام للاعانة الحربية من جبل نفوسة)*—

* (ممزوج) ولما رآى أبو اليقظان استمرار الحال مع طول الزمن رآى

أن يأتيه بجده الامام عبد الوهاب ويحذ وحذوه في الاستمداد من نفوسة الجبل فاستنجدهم فأمدوه مابين دعوته ممتثلين أمره بجيش عرمرم جامع لكل بطل همام وأسد ضرغام وما هم بقليلين عندهم في ذلك الوقت ٠

﴿ قال ﴾

* ولما وعلوه جددوا له البيعة وعقد وهاله وانه لما نزلت (يعني نفوسة الجبل) بأبي اليقظان اجتمع الى أبي اليقظان جمع عظيم فرحل بجميع جموعه من نفوسة وغيرهم حتى نزل بالقرب من مدينة تيهرت فلما نزل منزله قالت نفوسة لا نقاتل حتى نرسل الى اخواننا وننذرهم فان فاءوا ورجعوا الى الطاعة كانت أيدينا وأيديهم واحدة وان أبوا من ذلك نزلنا معهم على حكم الله * قال افعلوا افعلوا فأرسلوا رسلهم وخوفوا الناس سوء العواقب ووجدوهم قد ملوا الحرب فقالوا لرسلهم قد تقدمت فيما بيننا دماء وأموال لامنا ولا منهم ونخشى ان يؤخذ الباقي من الغابر فان كان عقد وصلح على أن لا يتبع أحد بدم ولا مال فسمع وطاعة * قال فأعلمت نفوسة أبا اليقظان بما قالت لرسلهم فقال معاذ الله ان نأخذ أحداً بما سلف ولا أخذ الا بمستقبل فاعطوهم على هذا ما أحبوا من العهود والمواثيق قال ثم خرجت طائفة من عسكر أبي اليقظان حتى اجتمعت مع طائفة من أهل المدينة فعقدوا ذلك فيما بينهم فقالت (نفوسة) نحن انما جئنا لاصلاح بيضتنا وتأليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت لطالب علو في الأرض ولا لفساد فرحل أبو اليقظان بعساكره حتى أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروفة (بقلعة نفوسة) فضرب بها سرادقة الذي قدم بها من بغداد قالوا ولم ير سرادق مضروب قبله وانما كانت مضارب وقباب *

* ثم ان أهل المدينة عمدوا الى داره التي هدموها وكانت مزبلة من

المزابل وكدية من الكدى فكنسوها في يومهم ذلك فابتنوها في أسرع الأيام * فلما فرغت نزلها أبو اليقظان ورفع مضاربه ونزل الناس المدينة اهـ *

* فنادى مناديه في الناس بالأمان وولى وظيفة القضاء بعد استشارة أولي الرأي العلامة الزاهد الورع التقي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وستأتي له حكاية معه *وعلى بيت المال رجلاً من نفوسة وقدم على منبر مسجده من ارتضاه من صلحاء الأئمة العاملين *

﴿ قال ﴾

* ثم أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قالوا فان رأوا قصابا نفخ في شاة عاقبوه وان رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها وان رأوا قذراً في الطريق أمروا من حول الموضع ان يكنسه ولا يمنعون أحداً من صلاته في مساجدهم ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعاً يديه في صلاته خلا المسجد الجامع (المسجد الذي يصلي فيه الامام نفسه) فانهم اذا رأوا فيه رافعاً يديه منعوه وزجروه اهـ ولعلهم يفعلون ذلك بدون اذن من الامام ولم يبلغه الخبر والله أعلم *

* وثابر رضي الله عنه على اصلاح ماانثلم في اثناء تلك الحروب حتى عادت الناس الى خطة سيرها القديم في سبيل العمارة والتجارة والبنيان واشتغلوا بطلب العلوم وقضاء مافاتهم في فترة تلك السنين القاسية التعيسة من العبادة نادمين على ما اجترموه فيها من السيئات وما أضاعوه من الاموال وماسفكوه من الدماء عبثاً وطغياناً وكاتب الامام بعد اصلاحه الشؤون الداخلية رؤساء سائر اتباع الامامة في كل الجهات فأتت طائفة خاضعة وقدمت البيعة برضاء فرتب

الولاة والعمال والحكام والقضاة وأصحاب الشرطة في الولايات كلها وأسرع السير في التقدم في الاصلاح ديناً ودنيا حتى أجمع الناس قاطبة على حبه وولايته والرضاء بأحكامه وبلغ في الفضل والعدل والورع والزهد مع حسن السيرة مبلغاً عظيماً استحق به تشبيه ولايته بولاية جده الامام عبد الرحمن رضي الله عنه اذ كان كمثله في الاتفاق على ولايته واشتغل رحمه الله بتجديد ماأندرس من الدين بكمال جد واجتهاد يباشر القاء الدروس وتعليم العلوم للطالبين بنفسه طلباً للأجر وقياماً بالواجب وترغيباً للغير فشدت اليه الرحال من كل الاقطار فقلد الواردين عليه من جواهر فنونه وغرائب علومه العقود الثمينة وكانت له اليد الطولى والقدح المعلى في سائر الفنون حتى صاروا قادة ومصابيح يهتدى بهم في الآفاق في دجى المشكلات ويلجأ اليهم في المعضلات وامتلأت عموم ولاياته بالعلم والعلماء والزهاد وأصحاب الكرامات خصوصا جبل نفوسة كما هو مبسوط في كتب السير كلها ومع ذلك لا يفتر عن الاشتغال أوقات خلوته واستراحته من التعليم ومصالح دولته بالتأليف والتحرير ومكاتبة العمال والولاة وجموع الرعية بالنصائح المرشدة والحكم النفيسة والرد على المخالفين من سائر الفرق والمذاهب حتى انه ألف في الاستطاعة وحدها أربعين كتاباً ومما يوجد من رسائله هذه النصيحة العامة

﴿ رسالة الامام الى جميع رعيته ﴾

« ارشاداً ونصحا »

* ولما أحس من الناس بعض فتور وتقاعد عن الواجب اقتدى بأبيه وأجداده الكرام أهل النصح لله والارشاد الى دينه فحرر نصيحة عامة تليت بواسطة العمال في جميع الجهات ايقاظاً للنفوس الغافلة وتنشيطاً للهمم الخامدة فخذها أيها

القاري وهي قليل من كثير مما كتبه رحمه الله في هذا الباب لتستدل بها على بعض ما كان لهذا الامام العظيم من الاعتناء بمصالح الملة والامة وواجب النصيحة في الدين لاخوانه المسلمين فجزاه الله عن الاسلام وأهله خيراً قال .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

﴿ من محمد بن أفلح ﴾ الى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين * سلام عليكم واني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأسأله الصلاة على نبيء الرحمة وهادي الأمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ أما بعد ﴾ فان أفضل ما يتواصى به العباد ويتحاضوا عليه تقوى الله تعالى ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب والعمل الصالح (وعليكم معاشر المسلمين بالتهيء للقدوم على الله والتأهب والاستعداد ليوم تشخص فيه الابصار وتتغير فيه الألوان ويشيب فيه الولدان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكاري وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ واعلموا ﴾ رحمكم الله ان أهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلوف منهم فرحم الله أمرأً مسلماً احتسب بنفسه وأرصدها لله في طلب العلم والنقض على من حاد الله وعدل عن منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاد المحقين من عباده حتى تكون كلمة رسول الله هي العليا والباطل زهوقا ﴿ وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضي من أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم فاقتفوا آثارهم واهتدوا بهداهم واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن مناهجهم * وخالفوا أهل البدع المضلة والأهواء المزلة ممن أراد أن يبدل دينكم ويلبسكم شيعاً ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان

ونبذ ما جاء به القرآن فألبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم لخدع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى عليه الائمة الراشدون رحمة الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأضل كثيراً وضل عن سواء السبيل وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية ان شاء الله وبه نستعين وعليه نتوكل وما توفيقنا الا بالله اهـ

* وقد تكلم على بعض سيرته المؤرخ ابن الصغير المالكي وأجاد في ذلك فخذه على القاعدة المتقدمة أيضاً *

قال

* وكان أبو اليقظان عاش من السنين مائة أو نحوها وكان عمره في امارته نحواً من أربعين سنة ولحقت أنا بعض امارته وأيامه ورأيته وحضرت مجالسه وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي منه ورأيته يوماً ثانيا في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من أديم (جلد) فجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس وكان ربع القامة أبيض الرأس واللحية وكان اذا جلس للناس وأمرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه الا أن تكون ظلامة ترفع اليه وكان زاهداً سكيناً ورعا ناسكا (ما أحسنها من شهادة) وكان اذ جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أديم مستقبلاً الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس اليها ولم يكن غيره يجلس اليها وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فناس وكان عندهم من الورع بمكان ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له ابن المقير لسانهم في الفقه ولم يكن في ورع عيسى وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس وكان أخص الناس به رجل من العرب يسمى بمحمود بن بكر * وكان مدرتهم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق مقالاتهم ويؤلف الكتب

على مخالفيهم رجل يقال له عبد الله بن اللمطي اه(وانا لنتأسف كثيراً جداً لفقد مثل هذه التآليف فلو وجدت مع ماجمع من المناظرات الواقعة مع المعتزلة للعلامة مهدي وغيره لكانت حجة بالغة والأمر لله)*

اجتماع الأباضية والمعتزلة
﴿ للمناظرة ﴾

* « قال » أخبرني أحمد بن بشر عنه قال لي اجتمعت الأباضية والمعتزلة بنهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة وكان كثير من هوارة ممن حضر المجلس يتسمى بعبدِ الله بكسر الدال وكذا اسم هذا الرجل ولما اجتمع القوم وضمهم المكان نادى رجل من المعتزلة ياعبدِ الله بكسر الدال فأجابه رجل ثانٍ فقال لست أريد * قال عبد الله وقد علمت أنه أياي يريد فكرهت أني أجيبه خوفاً من سؤاله * فقال عبد الله بن اللمطي أريد * فقلت لبيك *فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان أنت فيه * فقلت لا فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه *فقلت اذا شئت فعلت * فقال خرجت منها ياعبد الله *

حكاية العلامة أبي عبيدة
﴿ الأعرج مع الامام وأخباره ﴾
« رحمها الله »

* « قال » وكان منهم رجل يعرف بأبي عبيدة الاعرج كلهم مقرون له بالفضل مسلمون له في الورع * اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه * وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فما رأيت في سود الرأس أخشع منه وكان قليل الدخول على أبي اليقظان ولم يكن

يجمعه واياه سوى المسجد الجامع فحدثني أحمد بن بشر قال ضرب أبو اليقظان سرادقه لحدث أراده وبرز بنفسه الى سرادقه قال وعلم الناس ذلك فخرج اليه الفقهاء والقراء وضربوا أخبيتهم حول سرادقه خلا أبا عبيدة قال فبينا الناس ذات يوم جلوس اذ أقبل أبو عبيدة راكباً على دابة فقال الناس هذا أبو عبيدة قد أقبل متفقداً للأمير مسلماً عليه قال فأعلموا بقدومه أبا اليقظان فلما دخل عليه أدناه الى نفسه فقال ماجاء بأبي عبيدة الينا متفقداً أم مسلماً أم ماذا فقال أصلح الله الأمير ماجئت متفقدا ولا مسلماً غير أن لي جارة خرج ولدها البارحة في طلب معاش له ولها فأخذه المحروق صاحب حرسك وحبسه فأتتني الغداة باكية شاكية تسألني ان أسألك في اطلاق ولدها فأمر بأن يطلق كل من حبس تلك الليلة (ممن لا حد عليه ولا حق للناس) اجلالاً لأبي عبيدة ثم سلم وانصرف فعجب الناس من صدقه وتركه التصنع واظهاره على لسانه ماأسر في قلبه * وكان أبو عبيدة هذا عالما بالفقه والكلام والوثائق واللغة وكان مع ديانته حسن الأدب والمروءة أتيته يوما أسمع كتاب اصلاح اللغة الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيد فلما افتتحت قراءته وقلت لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستنفر من ترجمته ويربا بأبي عبيد عن الذلة فقال لي ويربأ بأبى عبيد بهمز الوصل وضم الألف وانما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة فلما قرأت من الكتاب مثل ورقة أو أزيد أتاه قوم فقالوا ياأبا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها فأخذ نعله وعصاه ثم قام مع القوم فلما كان اليوم الثاني أتيته فلما قرأت ماقرأت بالأمس أتاه قوم فقالوا ياأبا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها ففعل مثل مافعل بالأمس فقمت معه وقلت أصلحك الله ان لي بالرهادنة دكانا أبيع فيه

وأشـتري أتركه وآتي اليك فيأتيك الناس فتشتغل عني لا أنا في دكاني ولا أنا في مقابلة كتابي فسكت فلما كان بالغداة أتيته كما كنت آتيه فلما قرأت بعض جزء أتاه أناس فسألوه كما سألوه قبل هذا فقال ان هذا اليوم لهذا الفتى فان آثركم على نفسه وأذن لي سرت معكم فلما رأيت ذلك قلت ياسيدي ولا كل هذا سر اذا شئت أو أقم * وانما ذكرت هذا لأدل على مروءته وحسن أدبه * وكان المغرب كله مفتوناً بهذا الرجل حتى ان من كان من الأباضية ونفوسة يبعثون بزكاتهم اليه يفرقها حيث شاء *

شدة تعلق نفوسة بهذا الامام

(قال)

* وكانت نفوسة الجبـل مفتونة بأبي اليقظان وكان أكثرهم لايحج الا بأستئذانه وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منـه وكان اذا ضرب سرادقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فساطيطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الى الفجر فاذا صلوا الفجر معه ضربوا بأنفسهم الى الأرض فناموا اهـ (جازى الله عنـا ابن الصغير خيراً على شهادته بالحق ولو علمنا قبره لشهرناه وزرناه وتصدقنا عليه) *

ولاية أفلح بن العباس على جبل نفوسة

(قال)

* وان أبا اليقظان لما استقام له ملكه وأتته وفود نفوسة ليقدم عليهم أميراً من أنفسهم فأنزلهم في دار الضيافـة فقـال اكتبوا اسماءكم كلكم وارفعوها الي وأمر الكاتب أن يكتب السجل (الفرمان) ويبقي بياضاً لموضع المقدم فلما رفع الكاتب الكتاب اليه كتب بخط يده اسم المقـدم

وطواه وطبعه ولم يعلم أحد من الناس من قدم * ثم جمع القوم وقال لهم ها كم السجل ولا تفتحوه الا بجبل نفوسة اذا بلغتم منازلكم (وقد تقدم أن والده أفلح صنع هكذا مع سعد ونفات) فأخذ القوم السجل وقد اغتموا اذ لم يعلموا من المقدم عليهم ثم دخلوا على حمود بن بكر وكان من الخاصة بأبي اليقظان فسألوه فقال لهم لا أعلم بما فيه ثم دخلوا على عيسى بن فناس فأجابهم بمثل ما اجابهم به حمود ثم لم يزالوا يدخلون على واحد بعد واحد من الاباضية ويسألونهم فيخبروهم بأن لا علم لهم فلم يزالوا كذلك الى أن مرّوا بعبد العزيز بن الأوز وكان له فقه بارع ورحلة نحو المشرق ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل ينزهون مجالسهم عن حضوره ولا يستغنون عنه في معضلات مسائلهم فما شعر أن دخلوا عليه فقال ما بالكم وما جاء بكم فقالوا فرحنا بشيء واغتممنا منه قال وماذلك قالوا فرحنا بتقديم الامام لنا واغتممنا اذ لم نعلم من قدم علينا قال أولم تعلموا من قدم عليكم قالوا لا قال قدم عليكم أفلح بن العباس قالوا ومن أعلمك بذلك قال أبو اليقظان قال فخرجوا من عنده فأتوا حمود بن بكر وعيسى بن فناس فقالوا لهما * مكانكما من الامام مكانكما * ومكاننا منكما مكاننا * فكتمتما المقدم علينا حتى أخبرنا به من هو دونكما فقالا والله ما علمنا الا كعلمكم فمن اخبركم قالوا اعبد العزيز بن الأوز قالا ومن أخبر عبد العزيز قالوا أبو اليقظان قال فخرجا يجران ارديتهما حتى دخلا على أبي اليقظان فقالا أنت أعلمت عبد العزيز أن المقدم في سجلك على نفوسة أفلح بن العباس فقال لا قالا فقد ذكرت نفوسة انك أعلمته بذلك دوننا ودون غيرنا قال أو قال ذلك المجنون * قالا نعم * فنادى يا بشير خذ معك اعوانا أكفياء وجئني بعبد العزيز شر مجيء ثم قال ادخلا على نفوسة واجلسا حتى يأتي المجنون قال فما شعرنا ان جيء به

قال من أعلمك يا مجنون اني قدمت على نفوسة أفلح بن العباس فقال انت أعلمتني قال في اليقظة أم في النوم قال لا ولكن في اليقظة قال و كيف ذلك قال رأيتك اذا سمي لك رجل منهم انقبض ما بين عينيك واذا سمي لك أفلح انبسط ما بين عينيك فعلمت انك اياه تريد فقال خليا عن المجنون فقد كشف سرنا فلم تزل أيام أبي اليقظان لا ينقم عليه شيئاً أحد مما ولي من افعاله * ماخلا أولاده فانهم ربما خرجوا عن الواجب من أفعالهم اه *

حكاية القاضي مع الامام
(وتركه القضاء)

* كان أحد أولاد الامام على ما رواه ابن الصغير غير محمود السيرة (والكمال لله وحده) وكان العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ قاضي الامام حزيما في الأمر جريئاً على تنفيذ أحكامه غيوراً على الحقوق وقد صدر من ابن الامام المذكور ما يوجب عليه الحد الشرعي ولم يصل القاضي الى اثبات الفعل عليه لعدم البينة بعد أن استعمل كل حيلة في الوقوف على حقيقة الأمر فقدم استعفاءه وترك القضاء لما عجز عن الاثبات مع تحققه عنده * وقد ذكر ابن الصغير تفصيل الحكاية فخذها من كلامه باختصار قليل

—*(قال)*—

* فلم يزل قاضيهم محمد بن عبد الله يأمر بأمر أبي اليقظان وينتهي الى نهيه لا تأخذه في الله لومة لائم الى أن حدث حادث فأصبح بالغداة فرمى اليه خاتمه وقمطره وقال له ولّ على قضائك من تريد فقال له ما بالك وما عراك فقال ما نقمت عليك شيئاً ولكن نقمت على ابنك فغضب أبو اليقظان مما استقبله به ولم يرد عليه شيئا وكان للقاضي حاسدون ومبغضون فلما انصرف

من الامام قال لمن حوله اذا كان بالغداة امضوا الى محمد واسألوه على مانقم
علي وعلى من نقم لنزجره عما كان منه قال فقدموا اليه فأعلموه فقال لهم
دعوني من هذا والله ما وليت له قضاء أبداً فانصرفوا عنه وقد وافق ذلك
سرورهم لحسدهم اياه وبغيهم عليه وأتوا أبا اليقظان وقالوا اصلح الله الأمير
الرجل به حمق وجفاء ولك في المسلمين من هو أنفع للمسلمين منه فلم يزالوا
به حتى صرفوه عنه وولوا القضاء رجلا يقال له شعيب بن مدمان فقلت يوما
لسليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي ما السبب الذي كره به محمد بن عبد الله
القضاء حتى ألقى الخاتم والقمطر وحتى شافه أبا اليقظان بما شافهه به فقال نعم أخبرك
والله يابني بينا نحن ذات ليلة جلوس بعد العشاء الأخيرة وكان كثيراً ما يؤثرني
بحوائجه على غيري فبينما نحن كذلك اذ دق علينا الباب دقاً عنيفاً فقال لي
ياسليمان قم فاني خشيت أن يكون حادثا من قبل السلطان ففتحت الباب فاذا
بجارية منبهرة ومعها صقلبي معه سراج قال فقلت مابالك أيتها المرأة فقالت
القاضي أريد فرجعت اليه فأعلمته فقال لي أدخلها قال فأدخلتها فلما مثلت بين
يديه قال لها مابالك أيتها المرأة وماجاء بك هذه الساعة فقالت نعم دخلت
الساعة خدام من قبل زكرياء بن الأمير وأخذوا ابنتي من بين يدي فقلت
لابني قم فاتبعهم فقال أخاف أن يقتلوني أو يدسوا علي عاملاً من عمالهم
فيقتلني قال فسقط كالمغشي عليه ثم أفاق فقال لي ياسليمان قم ثم قام فقال لي
خذ السراج ولا يشعر بك أحد وتقلد سيفاً واعطني عصاي قال ففعلت ثم
قال أخرجي أيتها المرأة فخرجنا ثم قال لها الى اين تظنين يقصد بابنتك فقالت
الى دار (الركات) قال فسار وسرت معه والجارية معنا حتى أتينا قرب دار
الرجل فقال لي ياسليمان غيب السراج لئلا يشعر قال فسترته وقال لي دق

الباب دقاً لطيفاً فاذا فتح البـاب فاظهر السراج قال فلما رآى صاحب الدار وأهل الدار القاضي ارتاعوا ارتياعا شديداً وقالوا ما بال القاضي أعزه الله وما جاء به فقال لي ياسليمان اصعد الى أعلى الدار واحذر أن ينزل أحد من جوانب الدار قال ففعلت قال ثم أقبل يتخلل بيوت الدار بيتاً بيتاً وموضعاً موضعاً فلا يرى شيئاً قال ثم صعد الى أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئاً قال ثم عطف على صاحب الدار فقال هل رأيت زكرياء بن الامير أو كان معك اليوم فقال نعم كان اليوم عندي فلما كان الليل أوتي بفرس فركبه فقال هل تعرف له موضعا قال لا والله أصلح الله القاضي قال فخرجنا ثم قال للمرأة هل تعرفين له موضعا قالت لا والله أصلح الله القاضي قال فسقط في يده ثم لم يصب الا أن وصلها الى دارها ثم انصرفنا الى دارنا فما نام تلك الليلة حتى طلع الفجر فغدا بخاتمه وقطاره فألقاه الى صاحبه اه * ومن تأمل في هذه الحكاية وحكاية ابن عرفة تحقق ما للمقربين من السلاطين من قوة التأثير على أفكارهم بقلب الحقائق واظهارها لهم في صورة تجبرهم على قبول اشاراتهم وان كانت خطأ أو فيها خراب ملكهم وهم لا يشعرون * فان بالتأمل فيما أشار به مستشار الامام أبي بكر من قتل ابن عرفة يتضح لنا انه لم يقصد النصيحة بلا ريب والا فكيف يتأتى لابن عرفة الخروج عن الطاعة وهو صهر من جهتين ولم يكن في كلام ابن الصغير ما يدل على أنه يتكلف الخروج بل قال ان الامام أدرك بعد فوات الأمر أن المشير بالقتل لم يقصد النصيحة بل له غرض خصوصي وهكذا الحال في مسئلة حمل هذا الامام على قبول استعفاء القاضي * هذا ولم نقف في كل ما تصفحناه من التواريخ وفيما لدينا من تاريخ ابن الصغير على قول سوء أو ظلم أو خروج عن العدل ينسب

الى أئمة بني رستم أو الى عمالهم أو أقاربهم الا هذه الحكاية وهي لا تعد شيئاً في جانب ما سمعته وستسمعه أيها القارىء من سيرتهم المستقيمة في مدة لا تبعد عن مائة وخمسين سنة ولو وجد لهم غيرها لذكروه

﴿ ورع هذا الامام ﴾

﴿ قال ﴾

* ومما يذكر عنه من ورعه وتعففه ان رجلا يكنى بأبي سابق كان خادما لأبي اليقظان في جميع أسبابه وكان يتولى علف فرسه قال لي احمد بن بشير قال لي أبو سابق خرج أبو اليقظان يوما الى منزله الذي كان اختصه (بتسلونت) يتفقد سائمته وعبيده وأبطأ في انصرافه الى أن دخل الليل قال أبو سابق فحططت عن الفرس وربطته على مدرة وخرجت لآتي له بعلفه من عند حريف له فألفيته وقد أغلق حانوته فملت الى بيت المال ففتحته وأخذت منه علف الفرس وأغلقت عليه ثم رجعت الى موضعي من القصر واذا بأبي اليقظان قد افتقدني مرة بعد أخرى فلما رأيته صعد اليه خادم فأخبره بمجيئي فقال له اصعده الي وكان يستريح الي ويسألني عن أخبار الناس فقال وما حبسك وما أبطأ بك فأعلمته خبر الحريف وغيبته وفتحي لبيت المال وأخذي العلف منه وتعليقي أياه الفرس فقال * آه يا ابا سابق والله لا نام محمد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذت منه قال فمضيت والله في ليلتي تلك حتى أتيت حريفي وأخرجته من داره وأخذت منه علف الفرس ثم مضيت وانتزعت المخلاة عن الفرس فكلت ما بقي وأتممت ما أخرجت من بيت المال ورددته فيه وعلقت ما بقي على الفرس ومضيت اليه فأصبته جالسا ينتظرني فقال ما وراءك يا أبا سابق فأعلمته بما صنعت فقال لي أحسنت

اما الآن فأجلس فمات ابو اليقظان فكل شيء وجد له من العين في تركته سبعة عشر ديناراً وكانت لأبي اليقظان في امارته وقائع صارت تاريخا لموالد الناس أه بلفظه) هذا حاله وقد حكمها من تاهرت بالمغرب الى أرض سرت بالمشرق فهكذا والله العدل وهكذا الزهد والورع وهكذا كانت الخلفاء الراشدون من أصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم أهل الانصاف والفضل فهو ورب البيت لجدير بأن ينشد في حقه البيتان اللذان رواهما ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بكر رضي الله عنه ونصهما

(اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين)
(ذاك الذي حسنت في الناس سيرته * وكان يصلح للدنيا وللدين)

﴿ ولاية أبي منصور الياس النفوسي ﴾
﴿ رحمه الله على جبل نفوسة وأخباره ﴾

* تقدم عن ابن الصغير أن الامام رحمه الله عقد الولاية لأفلح بن العباس على جبل نفوسة وكأنه لم تمتد أيامه فانفصل عنها ولم نعلم سبب انفصاله وكيفيته اذ لم يتعرض لذلك أحد وعلى كل حال فهو اما بعزل أو استعفاء فولى الامام رحمه الله بعده على الجبل العلامة الباسل أبا منصور النفوسي التندميرتي من احدى قرى جبل نفوسة المشهورة بالعلم * ذكر الشماخي رحمه الله عند الكلام عليه انه كان في أول حاله من أهل الجملة ثم قال نقلاً من تاريخ نفوسة الكبير هكذا * فنزل مرة الى (مدينة) تيجي فالتقى بأبي مرداس مهاصر (الزاهد المشهور) حافي الرجل قد أدماها الشجر والحجر في سنة قحط وشدة فأعطاه نعليه قال أبو مرداس (داعياً له) نزع الله منك يافتى مالا يرضى ورد فيك مايرضى * قال أبو منصور فحسست حين دعا بما غشيني فوقع في

نفسه التعلق بالمراتب العاليـة من العلم والعمل ببركة الشيخ وقد تقدم وكان بعد أن تولى أمور المسلمين اذا خرج لقتال العدو يركب بغلة ولا يتقي نبلاً ولا ضربة على نفســه ولا على مركوبه ولا تقع به ولم يهزم له جيش ولم تنكس له راية اه قال أبو زكرياء ولا يبالي في الله لومة لائم اه *

* وكان القاضي الكبير على الجبل في زمانه ذلك العلامة العادل، عمروس ابن فتح النفوسي رحمه الله الذي قال فيه أبو العباس في الطبقات* بحر العلم الزاخر بل حاز المفاخر وحاز قصب السبق وان كان في السن متأخراً كان ضابطاً حافظاً محتاطاً حافظاً * لم يكن تشغله المجاهدة في الله عن دراسة العلم ولم يلهه التبحر في العلم عما تمين عليه من مصادرة تلك الهموم لازم الدرس والاجتهاد ثم رابط على الجهاد له مصنفات في الفروع والعقائد اه وكان عزم على أن يفرز مسائل الفروع فيبين ما استخرج من الكتاب وما استنبط من السنة وما كان من الاجماع فيرد كلاً الى أصله قال العلامة أبو العباس وصرف الى ذلك وجه العناية حتى يكون تأليفه طرازاً لما صنف في علوم الشريعة فعاجلته المنية رحمه الله * وذكر في السير ان أبا منصور خرج الى قوم بلغه أنهم غصبوا عيراً لآخرين ولما وصلهم ادعى كل من الفريقين ان العير له فاشتبه عليه الأمر اذ كان الخلاف بينهم شديدا ولا شاهد عليهم غير الله فأرسل الى عمروس بالمسارعة اليه ولما أتاه قبض على المتاع وصار يسأل كلاً من الفريقين على حدة عما اشتمل عليه من الأصناف وعما في الأجربة من الزاد وغيره حتى اتضح لديه أصحاب العير وعرف المتعدين لعجزهم عن بيان ما خفي عنهم من المتاع اذ لم يطلعوا عليه فقال لأبي منصور هؤلاء (يعني غير الغاصبين) أصحاب الرفقة* وهؤلاء (يعني الغاصبين) أضيافك كنى بذلك

عن حبسهم وتأديبهم فأجرى أبو منصور الأمر على حسب ما حكم به عمروس
ويذكر عنه أنه توجه الى مكة لأداء فريضة الحج فدخل هو ومن معه على
العلامة محمد بن محبوب عالم أباضية الشرق في عصره وهو في مجلسه فسلموا
فرد عليهم السلام وأدنى مجالسهم تعظيماً وأكرمهم ثم فتحوا باب المباحثة في العلوم
فسأله عمروس عن مسئلة من مكنونات العلم فتعجب ابن محبوب وقال ان
كان أبو حفص (يعني عمروساً) في شيء من هذا البلد فهذا السؤال منه فأخبره
الحاضرون بالحقيقة فزاد في تعظيمه ورفع مقامه وصار عمروس يسأله في
مسائل الدماء حتى قال له هذا من مكنون العلم فلا يعلن به امام كل أحد *
وكان عمروس أوصى الذين معه وقال لهم احفظوا لي السؤال وعلي حفظ
الجواب ولما قضوا مناسكهم وعادوا الى الجبل جمعهم وقال هاتوا ما تكفلتم بحفظه
فقالوا لم يبق في علمنا الا قولك احفظوا السؤال احفظ لكم الجواب * وعندئذ
صار يسرد الاسئلة والأجوبة حتى أتى عليها ولم ينس منها شيئاً وهو الذي
نقل مدونة أبي غانم بشر الخراساني ولولاه لما كان لها أثر * وذلك ان أبا
غانم وفد على الامام عبد الوهاب بتيهرت ولما مر بجبل نفوسة ترك مدونته
عند عمروس فألهمه الله نسخها فاجتهد في ذلك وكانت أخته عالمة جليلة
فلازما مكاناً واحداً فهو يكتب وهي تملي عليه وكلما أدركتهما الشمس تزحزحا
الى الظل حتى كمل نسخها وكانت في أثني عشر جزءاً ولما عاد أبو غانم من
تيهرت وجد نقطة حبر في بعض صحائفها فتنبه الى ما صنعه عمروس
وكأنه لم يستأذنه ولم يخبره فقال له قد سرقتها يا عمروس
فقال عمروس سماني سارق العلم * ولما وقع ما وقع من حرق كتب أهل
المذهب بتيهرت وغيرها حتى فقدت بقيت هذه النسخة ينتفعون بها * قال

الشماخي ولولاها لبقي أهل المذهب من غير ديوان بالمغرب يعتمدون عليه وذلك ببركة عمروس وحسن نيته اه * وقد طلب منه بعض أهل الكلام من علماء أصحابنا بفزان أن يؤلف كتاباً في الأصول فكتب الكتاب المعروف بالعمروسي وكتب اليه رسالة فلما رآهما الفزاني وهو صاحب الكتابين المعروفين بأصول الكلام قال النفوسي أقوى مني * هكذا ذكر في السير وفيه انه مكث في المغرب يتعلم العلم عشرين سنة ولما رجع الى الجبل قال له أخوه انظر الى الأجراف التي في فدادينك كأنه يلومه على طول غيبته في طلب العلم فقال له لو رأيت أجرافاً تثلم دينك لهان عليك أمري *وفيه انه اشتكى اليه عبد من مولاه فقال له اصطلح مع مولاك وكان أبو مهاصر حاضراً وهو شديد الأمر والنهي في دين الله فغضب من جوابه وقال له اعطه حقه من مولاه والا نزعك الله من ذلك المكان ورد فيه غيرك * فنفذت فيه دعوة الشيخ فنزع من القضاء بعد ذلك في زمن قريب بدون حدث ثم طلبوا منه الرجوع فأبى *ولما سمع بوفاة أبي مهاصر اشتد أسفه وعظم فزعه حتى انه كان يلبس نعليه فلبس واحدة وأخذ الأخرى في يده ذهولا وجزعاً وذهب مسرعاً لحضور الجنازة فما أدركهم الا وقد دفنوه فرمى بنفسه الى الأرض وتخبط في التراب متحسراً فتوهم جهال (افاطمان) بلدة أبي مهاصر (وهي الآن خراب آثارها تدل على كبرها) أنه فعل ذلك تشفياً وقالوا قد استراح منه لأنه كان كثيراً مايعترض عليه في بعض المسائل فيقبل منه تارة ويرد عليه أخرى بدون أن تنشأ بينهما عداوة أو شيء في الخواطر * ومما حكاه الشماخي عنهما نقلا من سير نفوسة ان بعضاً سأل عمروساً عن الحكم فيمن أخذ خرجاً من مال ابن طولون في المحاربة الآتية وتاب ولم يعلم له صاحبا

فقال له يسأل عن صاحبه فان أعياه طلبه تصدق به (لأن مال الباغين من الموحدين لايحل بخلاف دمهم) وكان أبو مهاصر حاضراً ولايحب الترخيص فغضب وقام قائلا لاأقعد في مجلس يفتى فيه بمثل هذا فقال له عمروس ان شئت ان تقعد فاقعد فان من شأن المسلمين ان لا ييأسوا من رحمة الله وكأن أبا مهاصر يرى وجوب البحث عن صاحب الخرج حتى يرد اليه أو لورثتـه ان مات ولا يصح التصدق به الا بعد تحقق ان لاوارث له والله أعلم *

محاربة أبي منصور رحمه الله مع أبي العباس بن طولون صاحب مصر

* كان أبو العباس هذا عاصـياً لوالده وثائراً عليه فحدثته نفسـه في أثناء غيبـة والده عن مصر بالذهاب الى جهـات القـيروان وانتزاعهـا من بني الأغلب والاستقلال بها عن أبيه وقد ذكر أغلب المؤرخين منا ومن غيرنا حكايتـه وأقوالهم كلهـا متقـاربة الا أن بعضهم ينسب طلب الاعانة من نفوسة والاستغاثة بهـم الي أهـل طرابلس وبعضهم ينسب ذلك الى أهل حصن (لبدة) وعلى كل الاقوال فالسبب في قهره وتشتيت جموعه وانقاذ طرابلس وبني الاغلب من ظلمه واستبداده هو أبو منصور وعساكر نفوسة*وهي واقعة خلدت لنفوسة وأبي منصور في بطون التواريخ ذكراً جليـلا وكانت شاهد عدل اعترف بها كل المؤرخين ببسـالة « نفوسة » وشجـاعتهم وبتعففهـم وتنزههم عن المـال الحرام اعترافاً لا يمحوه مرور الزمان وتوالي الأعصار * قال المؤرخ المراكشي المالـكي في بيانه *

* وفيها أي في سنة ٢٦٧ كانت (فتنة ولد ابن طولون) وذلك ان العباس ابن احمد بن طولون ولد صاحب مصر قدم في هذه السنة في ثمانمائة فارس

وعشرة آلاف راجل من سودان أبيه على خمسة آلاف جمل الى مدينة
برقة في ربيع الآخر يريد افريقية والتغلب عليها واخراج بني الاغلب عنها
وحمل مع نفسه من بيت مال مصر ثمانمائة حمل دنانير ذهبا فأعطى أصحابه
الارزاق بها وقيل ان مبلغ ما حمل من المال الف ألف دينار ومائتا
الف دينار ومعه أبو عبد الله احمد بن محمد الكاتب مكبلا لأنه أظهر الامتناع
من الخروج معه وكان أشار عليه بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصانع
البربر فقال أخشى أن تقدم العساكر من الشام قبل احكام هذا الأمر يعني
عساكر أبيه لأنه كان ثائراً على أبيه ويكون أيضاً في ذلك فسحة لابراهيم
ابن احمد فيتمهل في الاستعداد ولكني أمضي على فوري هذا فنأتي لبدة
وطرابلس فجأة ثم آخذ في استمالة البربر بعد ذلك بالعطاء والافضال وأبعد
من مصر فلا يقوم لأحمد بن طولون يعني أباه أمل في مطالبتي لبعدي
عنه* وخرج يريد لبدة فاتصل خبره بابراهيم بن أحمد فأخرج اليه أحمد بن
قهرب في ألف وستمائة فارس خيلاً مجردة لا رجل فيها باعداد السير والسرى
بالليل حتى دخل طرابلس قبل وصول العباس بن احمد بن طولون الى لبدة
ثم حشد ابن قهرب من أمكنه من جند طرابلس وبربرها ثم بادر الى لبدة
ودخلها وأقبل العباس بن طولون وقد صنع له ببرقة خمسة آلاف بند لحمل
له على كل جمل رجلا ببنده وزحف بثمانمائة فارس وخمسة آلاف رجل فالتقى
به احمد بن قهرب على خمسة عشر ميلا من لبدة وقد تأخرت الجمال بالرجال
أصحاب البنود فلم يكن بينهم الا مناوشة يسيرة حتى انهزم احمد بن قهرب
وهو يظن أن من ناوشه القتال من أصحاب ابن طولون كانوا مقدمة للجيش
ووصل احمد بن قهرب الى اطرابلس منهزما وركب العباس بن طولون

أثره حتى نزل طرابلس ونصب عليها المجانيق وناصبهم الحرب وأقام محاصراً لهم ثلاثة وأربعين يوما فتمدي بعض سودانه على بعض حرم البوادي (وهم اتباع بني رستم كما مر) وهتكوا الحجب فاستغاث أهل طرابلس بأبي منصور صاحب نفوسة فقام محتسبا وناصراً جيرانه من المسلمين وزحف في اثني عشر الفا من رجال نفوسة الى العباس ابن احمد بن طولون فناشبوه الحرب فقال العباس لأبي عبد الله الكاتب ما الرأي فقال له . . . . ببرقة خليفته وألح أهل نفوسة في محاربة ابن طولون فانهزم وخرج الى برقة بعد انتهاب أهل طرابلس لجميع عسكره ولم يلتبس النفوسيون منه بشيء بل تورعوا عنه وكان ابراهيم بن احمد قد حشد الأجناد وضرب حلي نسائه دنانير ودراهم اذ لم يبق أبو الغرانيق مالا ثم خرج بنفسه يريد طرابلس فلقيه خبر هزيمة ابن طولون فبحث ابن الاغلب عن الأموال وأخذها ممن وجدت عنده فكان الرجل من أهل العسكر يبيع مثاقيل ابن طولون سراً بما أمكنه خوفا من أن تؤخذ منه اه * وقال ابن سعيد المالكي في تاريخه الدر المكنون هكذا *

* وخرج (العباس بن طولون) بأكثر تلك الأموال العظيمة والنعم والذخائر معه الى أن انتهى الى حصن يعرف بلبدة ففتحه أهله له وخرج اليه عامل ابن الأغلب فأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن فقتلوا الرجال وفضحوا النساء وذاع الخبر واستغاثت طائفة من أهل هذا الحصن الى الياس بن منصور النفوسي رئيس الاباضية فدخله منهم غضب شديد وحمية غليظة وكان العباس قد كتب الى النفوسي أن اقبل بسمعك وطاعتك والا وطيت بلدك بخيلي ورجلي وأبحت رحمك * وهذا متنول ذو منعة وله أهل

كثير عددهم ولم يود الى ابن الأغلب طاعة قط *

جواب أبي منصور الى ابن طولون

فقال الياس أبو منصور النفوسي (تحقيراً له) * قل لهذا الغلام أما انك أقرب الكفار مني وأحقهم بمجاهدتي * فقد بلغني من قبيح افعالك ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك وأنا على أثر رسالتي اليك اهـ * وقد كان ابراهيم بن الأغلب أنفذ الى محمد بن قهرب عامل طراباس بخادم يعرف ببلاغ في جمع من أهل القير وان كثير فكان القتال بينهم مناوشة وانصرفوا على غير مناجزة وصبح الياس أبو منصور النفوسي في اثني عشر ألف مقاتل مستنصرين والخادم من خلفه فأطبق الجيشان عليه فقتل أكثر من كان معه واستبيحت أمواله وذخائره وما كان حمله معه من مصر من السلاح والخيل وأفلت بحشاشة نفسه وكان معه أيمن الاسود مقيداً فخلصه تقييده من القتل لأنهم علموا انه حرب له ورجع العباس على برقة اهـ

* فلله در أبي منصور ما اشد كلامه وما أعظم خطابه فمن تأمل في جوابه هذا حق التأمل اتضح له ما كان له رحمه الله من الشهامة وعلو الهمة والاقدام وشدة الحرص على محافظة بلاده والقيام بحقوق جيرانه ورعاياه فامثله تسلم مقاليد الولايات البعيدة كالجبل ولقد أصاب الامام في انتخابه وتعيينه رحم الله الجميع *

حكاية سجن هذا الامام
ببغداد في حياة والده

* قد تقدم منا وعد بذكر قصة سجنه فها كها موضحة مأخوذة من كلام ابن الصغير على القاعدة المتقدمة ولا يخفى مما مر على سمعك ان

لدولة الرستميين في ذلك العهد بين سائر دول الاسلام ذكراً دائماً وشنشنة شائعة تؤذن بالرعب وتقضي نظراً لميل العموم الى العدل بامكان اتساع دائرة ملكها بين طبقات الأمم الى أمد بعيد غير معلوم الحد والنهاية وبذلك أخذ الخليفة العباسي في الشرق المتاخم بالحدود من جهة مصر لأرض سرت وجبل نفوسة التابعين لهذه الدولة شدة الاحتياط والحذر ناظراً الى المغرب بعين الخشية وقلب المخافة ولاسيما بان الحج الشريف لكثرة الوافدين منه *

(ممزوج) وقد استأذن هذا الامام رحمه الله والده رضي الله عنه في آخر ايام دولته في الحج فأذن له وتوجه مع الركب يصحبه رجل من نفوسة اتخذه مؤنساً وخادماً الى أن وصل مكة المكرمة وقد اتصل خبر مجيئه بني العباس في بغداد فاشتد خوفهم ورعبهم *

﴿ قال ﴾

* فلما طاف وسعى اكتنفته رسل بني العباس اذ قد سعي به عندهم وقيل لهم ان مقدم الشراة قد قدم من المغرب من عند أبيه يرتاد البلاد ويرسل رسله في كل الآفاق الى من كان على رأيهم ومذاهبهم ليأخذوا على أنفسهم الى أن يأتيه والده من المغرب فحمل أبو اليقظان من مكة وحمل معه رجل من نفوسة كان يخدمه حتى ورد بهما مدينة السلام (في بغداد) وكان العامل اذ ذاك لأبي جعفر المتوكل أوغيره ممن كان في عصره فأمر بحبسه قال الذي حدثني * حدثني أبي عن أبي اليقظان انه قال وافق حبسي حبس أخي الخليفة كان قد نقم عليه ماانقم فأمر بنا جميعاً فحبسنا في موضع واحد قال وكان يجري علي في كل يوم مائة وعشرين درهما كما يجري على أخيه اه وذلك عبارة عن عشرة آلاف وثمانمائة قرش في الشهر ومائة ألف وتسعة وعشرين

ألفا وستمائة قرش في السنة بعملة عصرنا تقريباً وهكذا جرت سنة الملوك وعادتهم مهما أسروا في حرب أو قبضوا في حين غفلة أو خيانة على واحد من أسرة ملوك غيرهم اظهاراً للقوة وتوقيراً لمقام الملك وعن الملوك لا تسأل *

﴿ خبر أبي اليقظان مع ﴾

﴿ أخي السلطان المسجون معه ﴾

* (ممزوج) فبقي مع أخي السلطان على أحسن حال وأنس قد رسخ في خاطر كل مودة الآخر فلا يطيب لأحدهما طعام ولا شراب الا بحضور الثاني وصارا شريكين في الفرح والحزن والرضاء والسخط وكان أخو الخليفة كثير التعلق بأبي اليقظان لما رآه فيه من حسن الأدب والتضلع في العلوم والورع الكامل وكثير الأعجاب به من حيث اتقان الطهارة ومراقبة أوقات الصلوات والقيام بالليل والناس نيام فتآلفا وامتزجت مودتهما وعقدا أخوة الصفا وجعلا الصبر ديدناً والتسليم للقضاء المبرم من عند المدبر الحكيم القادر عماداً لا يغفلان عن النظر في قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب * وقوله واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) وكأني بهما ولسان حالهما يردد قول الشاعر *

(لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم)

* وقد رأى أخو الخليفة من أبي اليقظان في تلك المدة من أنواع البر والاكرام والجود والثبات والتجلد ما أدهشه وأدى به الى الاستغراب وذكره بمحاسن الصفات ورأى أبو اليقظان منه مثل ذلك وفي كل ذلك رفيقه النفوسي مسرح في المدينة تحت النظر والمراقبة يتردد عليه في السجن لقضاء مآربه وتدبير شؤنه بما يحتاجه من الخارج وبينماهما في تلك الحال بين الشدة والرخاء

والخوف والرجاء لا ييأسان من رحمة الله ولا يسأمان من قدر الله اذ اختل نظام داخلية الخليفة وقامت قيامة الرعية وأصبح مقتولاً *

﴿ عقد الخلافة لرفيق أبي اليقظان ﴾

﴿ وأخباره معه بعد ذلك ﴾

* (ممزوج) وبعد أخذ وردوقيل وقال تمحضت الخلافة لرفيق أبي اليقظان أخي الخليفة فنودي باسمه وما شعر حتى دخلت الصقالبة والأجناد عليه في السجن واختطفته من بين يدي أبي اليقظان الى دار الخلافة وقدمت له البيعة وما تم له الأمر وثبت على الكرسي حتى امر باخراج أبي اليقظان من السجن ودعا أحد وزرائه وكلفه بحفظه واكرامه الى ان يتفرغ لطلبه فبادر الوزير ممتثلا للامر ودخل على أبي اليقظان وأخبره بالقصة وحمله الى محله وقام بواجب حقوقه براً واكراماً فطاب نفسا وانشرح صدراً وأمل الخلاص من ربقة التغرب واستقرب اللحوق بالوطن العزيز مسقط الرأس ومقر الاهل ومنبع العدل *

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبداً لاول منزل

* ثم أن الخليفة اراد اظهار ما لديه من القوة وكثرة الجنود لأبي اليقظان لكي يعلم ذلك ويخبر والده ورجال دولته اذا رجع اليهم فييأسوا من الطمع فيه ان خطر ببالهم *

﴿ قال ﴾

* قال الذي حدثني * حدثني أبي عن ابي اليقظان انه قال فبينما انا عنده (أي عند الوزير) ذات يوم اذ انصرف من قصر الخليفة فوقف في صحن داره على فرسه وخرجنا اليه ووقفت معه فبينما نحن كذلك اذ أقبل عشرة

الناس فنزلوا عن دوابهم وبادروا نحوه يقبلون يديه ورجليه فقال لهم أتدرون فيما ذا أرسلت اليكم فقالوا اصلح الله الامير ما لنا في ذلك من علم فقال اذا كانت الغداة فاحضروا الي عشرة آلاف فارس فقالوا نعم اصلح الله حال الوزير قال فعجبت من قوله ومن قولهم وقلت يهزأ بهم أم يهزؤون به أم اراد أن يظهر لي شيئا أتحدث به في المغرب لا اصل له * قال فنظر الي والى انكساري فشعر بي قال فقال لي ما لك يا مغربي لعلك استعظمت ماسمعت فقلت اصلح الله الوزير وكيف لا استعظمه ولو كان ما سألتهم اياه دراهم في اكمامهم لما استطاعوا احضارها اليك بالغداة وكيف بعشرة آلاف فارس فقال يامغربي ترى هؤلاء العشرة قلت نعم قال تحت يد كل واحد منهم عشرة كم معك قلت مائة قال وتحت يد كل واحد من المائة عشرة كم هذا معك قلت ألف قال وتحت كل واحد من الألف عشرة كم هذا قلت عشرة آلاف قال انما تخرج هذه العشرة فيدعو كل واحد منهم من كان تحت يده فيجتمع ذلك كله في اقل من لحظة العين ولولا سعة هذه الارزاق وآخذوها يامغربي لما صبينا هذه الاموال الا في الدجلة والفرات قال فأعجبني قوله وقلت يمكن ما قاله اه *

—﴿ طاب الخليفة من ابن اليقظان الاقامة ببغداد ﴾—

﴿ قال ﴾

* قال (أبو اليقظان) فبينما انا كذلك عنده اذ أمر الخليفة باحضاري قال فلما مثلت بين يديه أمرني بالجلوس فجلست قال فذكر ما كنا عليه (من الحال في السجن تأنيساً له) قال فكان يرى مني اجتهاداً في الصلاة وغيرها فقال اني أحب أن أوليك من المشرق أي بلد أردته فقلت له الخيار

لي في المشرق دون المغرب أم في المشرق والمغرب فقال لي بل الخيار اليك في المشرق والمغرب الا أني أختارلك المشرق لكثرة خيره وأرغب لك عن المغرب لكثرة شره فقلت له اذ رددت الخيار الي فأنا اختار ماشئت قال ذلك اليك فقلت اجمع بيني وبين والدي فقال لي ما تريد بالمغرب من خير ولكن اذا أردت ذلك فالأمر اليك ثم عطف علي فقال لي جراياتك في الحبس انظر الى من توصي بها لئلا يعفو اسمك من عندنا فقلت الى فلان ابن فلان الخياط رجل بقرب الحبس قال وكنت أقبلت على النفوسي المرفوع معي وقلت له اقم تقبض كل يوم عشرين ومائة درهم فذلك خيرلك من المغرب فأبى علي فقلت له فاذ أبيت فالى من ترى أن تصرفها فقال لي الى فلان بن فلان الخياط فاني كنت اجلس عنده واستريح اليه وأشاوره في أمرك قال فلما ذكرت اسم الخياط للخليفة قال لي بم استحق ذلك منك قال فأعلمته بما قال النفوسي قال فأمر به فأجريت عليه (وأصبح بعد ان كان فقيراً من الاغنياء المعروفين عند السلطان وخير الصدقة ما اورثت غني) قال فكان النفوسي بعد ذلك بتيهرت اذا كربه امر ونزل به ضيق يقول لأبي اليقظان لم اقبل منك ولو قبلت منك لكان العشرون والمائة درهم في كل يوم أعود علي مما أنا فيه قال ثم أمر الخليفة الوزير بالنظر في أمري وأمر جهازي وأمر لي بسرادق فضرب لي ثم أمر لي بنفقة وكسوة وكتب لي كتباً الى عماله في الامصار بالحفظ والرعاية والبر والاكرام فأقمت حتى قضيت حوائجي ثم خرجت اه بلفظه *

﴿ غريبة ﴾

* ومما يحكي عنه أنه بعد أن تحرك من بغداد مقبلاً نحو المغرب حسب

منجمو الخليفة العباسي حسابهم فرأوا أنه لا بد من أن يتولى الملك بالمغرب فضاق صدر الخليفة ورجاله لذلك وقالوا قد أطلعناه على أمرنا وكشفناله أحوال بلادنا وتركناه وذلك هو عين ما كنا نخافه ولا نامن أن يهاجمنا يوما ما اذا تقلد الملك * وهموا بالارسال في أثره ليردوه وكان هو رحمه الله ممن لا يسابق في علمي التنجيم والرمل فصادف الحال أن حسب لهم وقت حسابهم له فرأى أنهم يبحثون عن موقعه ليقتفوا أثره فأمر باحضار قصعة كبيرة مملوءة ماء ودخل في وسطها وبيناهم فى تحرير حسابهم اذ ظهر لهم أنه في الماء فقالوا قد دخل البحر ونجا فتركوا تتبعه ومر هو في طريقه الى أن وصل والله أعلم *

ولاته وعدد اولاده ومدته

* لم نعلم له رضى الله عنه من الولاة والعمال غير أفلح بن العباس والي جبل نفوسة وأبي منصور ولم نر لوزرائه ذكراً وقد أهمل التاريخ المتأخر ذلك كله لقلة المواد فله عذر وفيما قدمناه عن علومه من الكلام مايغني عن الاعادة هنا * (ممزوج) وله رضى الله عنه من الاولاد الذكور عدد منهم يقظان الذي كني هو باسمه وقد خرج الى الحج في حياته ويوسف وهو المكني بأبي حاتم وأبو خالد وعبد الوهاب ووهب وزكرياء وغيرهم ممن له ذكر وكان من بينهم أبو حاتم شاباً حسن المجاملة طلق المحيا باسط الكف جميل الهيئة كثير المروءة واسع الاحسان والبر بأترابه يطعم ويكسو ويجود وكانت أمه غزال مالكة لأمر أبي اليقظان وحشمه فوقعت محبته في النفوس ورشحته العامة للامامة بعد أبيه حتى أنه في بعض الاعياد تخلف والده عن الحضور الى المصلى مع الناس فخطر ببالهم ماخطر وكان أبو حاتم موجوداً فحملوه على الاعناق ونادوا بطاعته ولما اتصل الخبر بالامام والده قال لأمه احذري ياغزال فقد أصبح ابنك

اليوم سلطاناً * أو مافي معناه من الكلام ولا زال بعد ذلك يقلده مهم الأمور ويقدمه في حل مشكلات الامارة تدريباً له واعلاءً لقدره وتعظيماً لشأنه في انظار الرعية واظهاراً لما لديه من الاقتدار على الاعمال الشاقة الى أن ارسله في جيش من وجوه زناتة لمحافظة قوافل اقبلت من المشرق فيها من الاموال ذهبا وبضائع مالا يحصى خوفاً من اعتداء سفهاء زناتة عليها اذ كانوا مخيمين بطريقها فأدركت الامام ابا اليقظان منيته وانقضى اجله عن عمر يناهز مائة سنة قضى منه اربعين سنة في خدمة الملة واعلاء كلمة الدين واقامة شعائر الاسلام ومحافظة المسلمين * وماقاله المراكشي من أن مدته ٢٧ سنة عار عن الصحة جداً ولا معنى له فجهز ودفن والناس عنه راضون وولداه غائبان يقظان بالحج وأبو حاتم بعسكره في محافظة قوافل تجار الشرق فلحق الناس من الكدر والأسف والنحيب مالا يوصف فرحمه الله رحمة واسعة وذلك سنة احدى وثمانين بعد المائتين ٢٨١ باتفاق المؤرخين حتى المراكشي الذي خالف في عدد مدته *

خلافة الامام أبي حاتم يوسف بن محمد
﴿ رحمه الله ﴾

﴿ ممزوج ﴾ وما كاد يتم دفن الامام رحمه الله حتى سارعت العامة الى المناداة باسم ابنه أبي حاتم يوسف اماماً في الأزقة والأسواق بدون اجتماع وتشاور مع رؤساء القبائل وأسرعهم الى ذلك رجلان أحدهما محمد رباح وثانيهما محمد بن حماد ولعله أخا بكر بن حماد الشاعر المشهور وفي الحال أرسلت اليه الرسل فوافته وهو مع القوافل وبلغته وفاة والده وعقد الامامة له فكر راجعاً معهم الى المدينة *

﴿ قال ﴾

* فنادوا لا طاعة لأحد الا لأبي حاتم على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر فلما وصل الى باب المدينة ازدحم الناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوه فما وصل المسجد الجامع الا وقت الظهر فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والاعناق حتى أوصلوه الى داره ثم أرسلوا الى القبائل فبايعوه اه فتمت له البيعة وخلصت له الامامة بدون انكار ولا معارضة من أحد الا ما كان خفياً في نفوس بعض من أهل المدينة ولم يبوحوا به كعمه يعقوب بن أفلح فانه منذ عقدت له البيعة بارح المدينة ورحل الى زواغة فسكنها ولم يدخل للرستميين جمعاً ولا أعان ابن أخيه بشيء من قول أو فعل وان لم يصدر منه مع ذلك ما يكدر الراحة قط فشمر أبو حاتم لمباشرة أموره عن ساق الحزم وسار بسيرة أسلافه الصالحين واستقام له الامر وأجمع الناس على ولايته وسلمت بواطن العامة من جهته مدة سنة على ما قاله المؤرخ المراكشي وأقر من أقر من عمال والده على أعماله وبدل من بدل وممن أقرهم على عملهم أبو منصور النفوسي في الجبل * ثم تكلف بعض رجال دولته واخوته وأعمامه أن يجعلوا له ما يقتضيه مقام الملك من الأبهة والحجاب وأبى الناس الا الدنو منه والدخول عليه في كل وقت مست الحاجة اليه مثل ما كان عليه قبل الامارة فوقع بذلك في الخواطر شيء من التنافر *

﴿ سعي بعض المفسدين في المروق من طاعة الامام ﴾
﴿ ونفيه اياه ومانشأ عنه ﴾

« ممزوج » وكان بالمدينة من مسموعي الكلمة من المشائخ من غير

الاباضية أبو مسعود وأبو دنون الكوفيان المتفقهان على مذهب الكوفيين وعلوان بن رعلان وغيرهم ممن وقع عليهم من الامام بعض اعراض وغض نظر لما تشبثوا به قبل ذلك من اتخاذ الوسائل لاثارة الفتنة وتحريك الفساد وتناجيهم بالطعن والقدح في السيرة فانضم اليهم محمد رباح ومحمد بن حماد اذ لم يجدا مع الامام نفوذ اغراضهما وقضاء مقاصدهما مع انهما أول من نادى بالبيعة له فاتفقا على الغدر به ووعدا المشائخ المذكورين بذلك (وهكذا كان وقع لجده الامام عبد الوهاب مع ابن فندين وشيعته الحكاية السابقة) فبلغ الخبر الامام أبا حاتم فلم يشك في صحته لما انه في حياة والده خرج ذات مرة من عنده على غضب فلاقاه رباح هذا وابن حماد وقد علما بما وقع بينه وبين والده فقالا له دع لنا هذه الخوخة (وهي باب صغير كان معداً له خاصة يدخل معه الى والده) فنقتله وتتولى الامر وتستريح فزجرهما وأضمر لهما في نفسه ما أضمر اذا أمكنته الفرصة فيهما لما قصداه من الخيانة وهاله أمرهما ولم يجد سبيلا لذلك الى أن بلغه ما ذكر فأمر بابعادهما ونفيهما *

--*(قال)*--

وكان لمحمد بن حماد على بعض أميال من المدينة منزل يقال له الثلة قد جمع الاشجار والانهار والمزارع والنخيل والقصور اهـ *

* فطلبا تعيينه لمكثهما مدة النفي فأصدر الامام أمره بذلك وتوجها اليه (وليس ذلك من الامام بمناقض اذ النفي لمثل هذين انما يكون بالاخراج عن الحوزة رأساً حتى لا يتمكن من مواصلة ذويه ولا يتمكنون من امداده وحمايته وبذلك تحصل التربية والتأديب كما هو شان سلطاننا المظفر عبد الحميد ابن عبد المجيد العثماني من نفيه أبناء الترك وغيرهم ممن هم من ناحية القسطنطينية

دارخلافته الى فزان وغدامس وغات وجبل نفوسة وطننا من ملحقات طرابلس الغرب بقطعة افريقيا ونفيه أولاد العرب منها ومن غيرها الى أرض الروملي والأناضول وغيرهما من بلاد أوروبا وآسيا حتى ان المنفي غالباً لا يعلم بحاله مدة اقامته الى أن يرجع أو يموت) ولقائل ان يقول ان أمثال هذه الأمور تؤخذ بالتجربة والتكرار فكلما حدث داء اخترع له دواء فان أفاد فذاك والا اخترع له غيره وعلى ذلك جاء قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أحدثوا * أي الناس أموراً لم تكن من قبل * فأحدثنا لهم) أي أتينا لهم بما يليق بذلك من التأديب الذي لم يكن قبل أيضاً * ولعل للامام في ذلك نظراً لم ندركه أولم يصب المرمى اذ كانت العاقبة سيئة فبقيا هناك في أنعم عيش وأرغده الا أن كلمة النفي حملتهما حملاً ثقيلاً لما لها عليه في نظر العموم من الوجاهة والقبول حسب زعمهما وضلا يراسلان أصحابهما بالمدينة لاستعطاف الامام والعفو عنهما ولما أعياهما الأمر ولم يحصلا على نتيجة عادا الى توجيه العتاب الى أصحابهما أولئك المشائخ والى لومهم وتوبيخهم على السكوت عنهما وصرف النظر عن الاعتناء بما يوجب ردهما الى المدينة مع أنهما ممن يأبى العدل والانصاف ابعادهما وحط منزلتهما بصفة النفي وصارا يتابعان الرسائل ويكرران الطلب بعبارات التعجيز والتكدير لأصحابهما الى أن استفزهم الكبر وغرهم اللعين فاجتمعوا وقالوا كيف يسعنا السكوت عن مثل هذين الرجلين مع ما لحقهما من الاهانة والذل على غير جناية وما هذا الا منكر يجب علينا انكاره وتغييره وقد علمتم انه لا سبب لنفيهما الا توجه التهمة اليهما بمجاملتنا وموافقتنا * ثم عقدوا الرأي على ادخالهما رضي الامام أم سخط وأرسلوا اليهما من انتخبوه من رجالهم وتهيئوا لملاقاتهم *

قال

* فما شعر أبو حاتم الا والتكبير عليهما بالمدينة ففزع لذلك وارتاع وعلم انها ليست بدار قرار فاجتمع اليه قومه وأهل بيته فقالوا له قد أعلمناك هذا أولاً ولكن أقم بين ظهراني القوم ونحن نخرج الى حصننا الذي به مواشينا وعبيدنا وهو حصن يعرف (بتالميت) في طرف من لواتة فاذ اصرنا اليه واجتمعنا به ورأينا به لواتة وغيرها من القبائل ناصرنا أخرجناك الينا ففعلوا ذلك فلما رأت بقية العجم الساكنين بمدينة (تيهرت) مافعلت الرستمية خرجت الى حصنها وفعلت نفوسة مثل ذلك *

خروج الامام من المدينة

قال

* ثم أقام أبو حاتم بعد ذلك أياماً ثم خرج وخرج معه من وجوه البلد السمحيين وغيرهم نحو مأتي رجل وكان الخارجون معه حماة البلد منهم رجل يعرف ببكر بن يبيب ومن السمحيين رجل يعرف ببكر بن عبدالواحد وكان هذان الرجلان فارسي المغرب وبقيت العامة ومشائخ البلد في جمع عظيم وعلموا ان الحرب قد دهمتهم فشرعوا في بنيان حصنهم ثم ان أباحاتم لما خرج اجتمعت لواتة كلها اليه فأعطى الأموال وحمل على الخيل واجتمعت أهل قبائل الصحراء اليه خلا الحصن المعروف (بتالغمت) وأهله الصفرية فانهم مالوا الى المدينة اه

* (وقد وقفت على موضع هذا الحصن اثناء رجوعي من بني ميزاب عام ألف وثلاثمائة وستة عشر ١٣١٦ وهو في ربوة عالية يحيط بها كالهالة وادٍ كثير الأشجار ذو منظر لطيف اذا امتلأ بماء الامطار وصار كالبحر كما

رأيته وبقيت فيه تلك الاشجار مصطفة كالسفن السابحة في البحر وقد بنى بأعلاها الفرنساويون الآن (فندقاً) على هيئة حصن متسع يوجد فيه كل ما يستحقه المسافرون وفيه بيوت معدة للنوم بأسرة وفرش لا تتجاوز اجرتها في الليلة ثلاثة دراهم وقد بني من انقاض الحصن القديم على حسب التخمين اذ لم يبق منه الا آثار و أطلال قليلة وهو الآن محط رحال القوافل والمسافرين والعربات (الكروصة) لجهات متعددة من أعمال الجزائر وقد جمعني القدر فيه بأفاضل من تجار بني ميزاب أتوا من بلاد ومدن متفرقة وبتنا جميعا في ليلة أنس وسرور ثم ذهب كل الى حيث كانت وجهته وبهذا الاسم يسمى الآن أيضا وان سمي هذا باسم ذاك وهو في محل آخر فالله أعلم *

﴿ محاصرة الامام للمدينة ﴾

وبعد أن اجتمع للامام جموع ملأت السهل والجبال عول على محاصرة المدينة وقد ذكر ابن الصغير الحادثة مفصلة نخذها على القاعدة المتقدمة *

﴿ قال ﴾

* ثم جمع أبو حاتم جموعه وزحف الى المدينة من ثلاثة مواضع من القبلة والمشرق والمغرب فتولى بنفسه القبلة مع لواتة والرستمية ومن شائعها وتولى المشرق العجم وصنهاجة ومن شائعها وتولى المغرب طوائف من الناس مع نفوسة وكان قتال شديد من الاوجه الثلاثة وكانت الدائرات في الأوجه الثلاثة على أهل المدينة اه *

* « ممزوج » فقتل من المعروفين بالمدينة من ناحية المشرق رجل يعرف بابن مادة قتلته العجم ومن المعروفين من ناحية القبلة رجل من أهل دمر ولما رأى مادة ابنه مقتولا داخله الغضب فحمل على رجل عجمي يسمي (برجا)

فقتله ولما علم به الناس بادروا اليه ليقتلوه فلم يمكنهم وكادت الفتنة تعود فيما بينهم داخل المدينة فاعترفوا لأنفسهم بالخطاء في اثارة الفتنة وأيقنوا بأن أمر الرعية لايضبط بدون سلطان وقالوا قد كان في أول الأمر قيامنا لأجل نفي رجلين فقط حسبناه منكراً وقصدنا تغييره ثم وقعنا فيما هو أعظم من سفك الدماء ظلماً وعدواناً * فقوموا بنا الى تسليم مقاليد الأمور لصاحبها وادخاله المدينة حتى ينتقم من هذا المتعدي وشيعته ويحكم كيف شاء وما لنا في الحرب والفساد من خير * ثم أرسلوا الى الامام بما قرروه فأجابهم بأنه لايقبل منهم شيئاً الا ان سلموا له الرؤساء والمشائخ الذين كانوا سبباً في الفتنة ليحكم فيهم بما يراه مما يوافق الشرع الشريف * فصعب عليهم ذلك ونكصوا على أعقابهم وأبوا فعاد الامام الى حربهم *

مبايعة أهل المدينة للعلامة يعقوب
﴿ ابن أفلح عم الامام ﴾

* (ممزوج) ولما ضاق بهم الحال من الحصار أجمعوا على أن لا طاقة لهم بالاستقلال دون رأس من الرستميين وقال قائلهم قد علمتم ما كان ليعقوب ابن أفلح من مصارمة ابن أخيه منذولي الأمر * وهو بزواغة غير بعيد فارسلوا اليه واعرضوا عليه البيعة حتى نرى رأيه فكتبوا كتابهم ووجهوه اليه مع أمناء منهم فتوانى عن قبول طلبهم واجابة دعوتهم وقد كان لولا هذه الفعلة التي تاب منها وندم بعد ذلك كما قال ابن الصغير في قوله * كان بعيد الهمة نزيه النفس ماجس بيده ديناراً ولا درهما وكان اذا أتى وكيله بغلاته أمره ان يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها واذا أراد اخراج شيء منها دفعه بقضيب في يده وكان اذا سافر ونزل بقوم لم يأكل لهم طعاماً وكانت له بقرات يأمر

يحلبها بين يديه في اناء جديد فاذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثاً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شرابا ولا يخرج لبراز وكان وضوءه وضوء طاهر في الموضع الذي يكون فيه * شهد منه ذلك جماعة ممن صحبه واستفاض ذلك عنه حتى صار كالعيان وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه تخرج عن طبع البشر حجزه سراويله في جنبه وركوبه فرسه من بين يديه وكان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب قبله ولا بعده به يضرب المثل الى اليوم اه *

* (ممزوج) ولما وصلهم ودخل المدينة عقدوا له الولاية ورجعت اليه جماعة من لواتة وعاد أهل المدينة في نشاط الى الحرب مؤملين الفوز (وما علموا ان بيعة أبي حاتم (الامام حقاً) لم تبرح من رقابهم *

﴿ حرب الامام مع عمه يعقوب ﴾

* (ممزوج) وعند ئذ تجددت الحرب بين الامام أبي حاتم وبين عمه يعقوب أياما ثم ضعفت وسكنت بعض السكون الى ان تحرك الامام زاحفاً بمن معه الى المدينة من جهة والرجل الموسوم (بوانودي) ومن معه أيضا من جهة أخرى فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت وترك واحداً وقف عليه بنفسه مع من كان معه ودارت الحرب بين الفريقين الى أن حضر وقت الظهر ونودي في الصفوف بالآذان (ولعمري ان هذا من أهل المدينة لمن العبث فما يغنيهم عند الله شدة هذا الاحتياط بمراقبة وقت الفريضة في لجة العصيان والنفاق) ثم اشتغلوا بالصلاة فتبدلت نية (وانودي) ومن معه اذ رأوا ذلك وندموا على قدومهم للحرب وتنحوا الى جهة ولما قضيت الصلاة دار الامام أبو حاتم بفرقة ممن في عسكره من العجم الى الجهة الشرقية وترك المسكر بحاله راجياً أن يصيب غفلة من أحد الأبواب فيدخل المدينة ولما قصد الباب وكان عامراً

بالرجال فتحوه وحملوا عليهم حملة رجل واحد فتولى منهزما وانصرف (وانودي) بمن معه تاركاً للقتال فضعفت الحرب بعد ذلك وطمع الناس في العافية واشتاقت أرواحهم الى الصلح وأذعنوا للراحة *

عقد صلح بين الامام وعمه

(بمزوج) وبينما الناس في ذلك يترقبون من أهل الخير والاصلاح السعي في كف هذه الفتن وايقاف سيرها اذ قدم ذلك الرجل الشهير في قومه صاحب الرياسة والتقدم والقدر الجليل أبو يعقوب المزاتي بجميع جموع مزاتة أولئك الاغنياء أولو الثروة الواسعة والعدد الوافر أهل الحرث في بطون الأودية والنسل من حمر النعم والبقر والغنم في بسائط الارض وجبالها الذين امتلأ بأموالهم واسع بيت مال المسلمين بما يؤدونه مما وجب عليهم من الحقوق الشرعية حتى قال فيهم الامام عبد الوهاب رضي الله عنه ماقام هذا الدين الا بسيوف نفوسة وأموال مزاتة ونزل حول المدينة فتقدم اليه رؤساء القبائل وأهل الفضل ممن يسعى في اصلاح ذات البين وشكوا له ماحل بالناس بسبب تلك الفتن من قطع السبل وفراغ الأيدي وهلاك الحرث والنسل واهراق الدماء وارتكاب الفواحش والمجاهرة بمعاصي الله وكلفوه بالدخول بين الفريقين بجعل هدنة الى مدة معلومة يتعامل فيها الناس وتمتد الخطا مع العافية والأمن وتتعارف الناس وربما بذلك تلين القلوب وتنحسم العداوة ويعقد صلح ينقطع معه الفساد فأجاب وجد في السعي في ذلك ورغب وصرف عنايته الى أن رضي الطرفان فطلب من كل أن يقدم اليه من يختاره ويأمنه لعقد الهدنة فقدم الامام أبو حاتم مكنوداً وابن أبي عياض اللواتيين وقدم يعقوب ذلك العلامة الجليل الشيخ عبد الله بن الامطي المذكور آنفا

وبرزوا للاجتماع وسلموا الأمر لمتولي العقد فاتفقوا على رفع يد الامام أبي حاتم ويد يعقوب عن النظر في الأمور مدة أربعة أشهر يسود فيها الأمن وتنطلق السبل وتخالط الناس الى أن يأذن الله في ملكه بما يشاء فقبل الفريقان ذلك وانقطعت الحركة ووجد الناس حلاوة الطمأنينة ورجوا العافية ولم يبرح الامام في اثناء ذلك عن استمالة وجوه المدينة وشبابها بجميع أنواع السياسة من حسن الملاطفة والاكرام ومواصلة المنقطعين بصلات البر سراً وعلانية الى أن أطبقوا على ولايته والرضاء به جميعاً الا من نذر ممن استحب العمى على الهدى ورغب في الفتنة لنهب أموال الناس بالباطل * وأبو يعقوب الزاتي في ذلك كله لم يلو العنان عن الجد في حصول الصلح واتمام عقدة الاتحاد وشد عرى الاجتماع وكان في المدينة رجلان يسمى أحدهما أحمد والآخر محمد ويعرفان بابني دبوس لهما من عظيم الجاه ونفوذ القول والشهرة بالشجاعة وشدة الأقدام وكثرة الاتباع لدى الخاصة والعامة حظ وافر لم يكن لغيرهما من الوجوه والاعيان ولهما دار تعرف بالكنيسة

اجماع أهل المدينة مع عموم المسلمين على خلافة الامام وهروب يعقوب الى طرابلس

« ممزوج » وبينما الناس ذات يوم في عيد من أعيادهم اذ ابتدأ الرجلان السير من طرف المدينة وامامهما نفر يقولون من أراد العافية فليصعد الى الكنيسة فبادر الناس اليها ولم يتخلف أحد غير يعقوب وشيعته وبعض مشائخ منهم أبو مسعود شيخ المدينة (رئيس البلدية) الا أنه لما رآي الناس كافة ذاهبين أفواجاً أفواجاً الى مجتمعهم صعد معهم ليعلم حقيقة أمرهم ومنتهى غرضهم فوجدهم

قد فوضوا الامر في المسئلة لابني دبوس فانحدر ممتلاءً غيظاً لما فهمه من مآل الاجماع وانفض المجلس ولما جن عليهم الليل ركب محمد وأحمد مع من له علم من أهل الرأي بلباب القضية قاصدين الامام أبا حاتم ولما بلغ الخبر الى يعقوب وحزبه تسارعوا الى خيلهم وخرجوا في ستر من الليل راجعين من حيث أتوا بعد أن كدروا سماء الأمن وحيروا مركز الامامة نحو أربع سنين كاملة على ما ذكره المراكشي وقصدوا زواغة ملجأ الفارين لقربها من البحر وكونها في الحدود يسهل الوصول منها الى حيث شاءوا متى وقع عليهم الطلب والبحث وان كانت قريبة من جبل نفوسة أهل الشدة والبأس وحصن الخلافة وسيف الامامة *

دخول الامام أبي حاتم المدينة
(بالاجماع من المسلمين)

« ممزوج »

* وبينما الامام في قصره بأبي مينة اذ دخل عليه ابنا دبوس ومن معهما وقالوا له اركب معنا الساعة ولا تتأخر ولا تنتظر رفيقا واخبروه بالقصة ولثقته بالرجلين لأمانتهما خرج معهم ولم يصحب من عسكره ولا من رجاله أحداً ولم ينفلق الصبح الا وهم بباب المدينة واذا بها خاوية من يعقوب وزمرته ومن كان على شاكلتهم فهرع من بلغه الخبر من الناس الى ملاقاته من الجهات وتباشروا وعمهم الطرب جميعاً فدخل المدينة ولا نزاع ولا حرب بعد أن هجرها وحاصرها أربع سنين فقصد دار الامارة وأتته الوفود وتقدمت الخطباء والشعراء وأرباب الجرائم الى بابه لطلب العفو والتهنئة ومن بينهم أبو بكر بن حماد الشاعر المشهور المتقدم الذكر القائل لما مثل بين يديه *

(ماذا يدبر ربنا في أمره * سبحانه في أرضه وسمائه)
(رد الملوك الي محل قرارهم * مستبشرين بفضله وعطائه)
(فتبارك الله اللطيف بصنعه * ما أغفل الثقلين عن نعمائه)
(رفع السماء بلا عماد بين * والبحر أمسكه على ارجائه)
(لولاه فاض على العباد بموجه * وعلى الجبال الراسيات بمائه)
(ان المتوّج يوسف بن محمد * تتزين الدنيا بطول بقائه)
(أخذ البلاد بسيفه فاستسلمت * وبعدله وبفضله وسخائه)

* وهو القائل أيضاً على ما ذكره العلامة البرادي رحمه الله في كتابه ﴿ الجواهر ﴾

(ومونسة لي بالعراق تركتها * وغصن شبابي في الغصون نضير)
(فقالت كما قال النواسي قبلها * عزيز علينا ان نراك تسير)
(فقلت جفاني يوسف بن محمد * فطال علي الليل وهو قصير)
(أبا حاتم ما كان ماكان بغضة * ولكن أتت بعد الامور أمور)
(فأكرهني قوم خشيت عقابهم * فداريتهم والدائرات تدور)
(وأكرم عفو يوثر الناس أمره * اذا ما عفا الانسان وهو قدير)

* فصفح وسامح ووعد وأوعد وأمر المنادي فنادى بالأمان وأعرض عن طلب من كان مع عمه وعفا عن الكل *فصفا له الجو وخضعت الرقاب *

* (قال) ولما دخل أبو حاتم مدينة تاهرت جمع مشائخ البلد أباضيتها وغير أباضيتها فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين فقالوا له ان أباك لما دخل كدخولك ولى محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وهو الذي قدمنا ذكره قبل هذا ولمحمد ولد يسمى بعبد الله ماهو دون أبيه وأنت عالم بورعه ودينه كما

نحن عالمون به فقال اشرتم وأحسنتم وولاه القضاء فقال من ترون أن نولي بيت المال فقالوا عبد الرحمن بن صواب النفوسي فقال أصبتم وأحسنتم * من ترون أن نولي الشرطة فقال قوم زكار قد قتل ابنه بين يديك وله نصيحة وقال قوم ابراهيم ابن مسكين فان له صلابة في الحق فولاهما جميعاً وكان البلد قد فسد أهله في تلك الحروب واتخذوا المسكر أسواقاً والغلمان اخداناً فلما ولي هذان الرجلان الشرطة قطعا ذلك في أسرع من طرفة العين وحملا الناس على ضرب السوط والسجن والقيد وكسرت الخوابي بكل دار عظم قدرها أو صغر وشردت الغلمان وأخدانهم في رؤس الجبال وبطون الأودية وحملا الناس على الواضحة وخاف المنافق وأمن البريء وشرد السراق وقطاع الطرق وأمنت السبل ومشى الناس بعضهم الى بعض ولم ينقموا على أبي حاتم شيئاً اه هذا كله بالنظر الى تيهرت وما حولها من الولايات واما جهة طرابلس وجبال نفوسة وما يليها فانها لم تكتسب راحة منذ ولي هذا الامام وكثرت فيها الفتن والحروب حتى انها لم تتمكن من اعانة الامام بشيء في حروبه هذه وسنأتي ببيان ذلك ان شاء الله

خبر أبي منصور رحمه الله
﴿ مع الطيب بن خلف ﴾

* تقدم ان الامام أبا حاتم رضي الله عنه جدد الولاية لأبي منصور الياس على جبل نفوسة لما آل اليه الأمر * وفي صدر مدة هذا الامام على حسب التقريب ان لم نقل في آخر أيام والده تحرك ابن خلف الذي تقدم ذكره ساعياً في احياء سيرة أبيه وتجديد الخلاف والخروج من الطاعة فصدر أمر الامام الى أبي منصور بالمبادرة اليه والقبض عليه قبل استفحال أمره وكان قد هرب الى زواغة وهم في جموع كثيرة وكلهم على رأي أبيه فقصدهم أبو منصور

بعسا كره ونزل قريباً منهم وكلمهم في شأنه فتحزبوا وأبوا أن يسلموه واتفقوا
على حمايته والمدافعة عنه وكان في بني يهراسن شيخ كبير صاحب رأي وادراك
رأى انهم لا طاقة لهم على مناصبة أبي منصور الحرب فجمع القوم وقال لهم
يامعشر زواغة اقترح عليكم ثلاثة أمور ان اخترتم منها واحداً أصبتم والا
فمصيركم الى الذل * اما ان تتركوا حوزة طرابلس وتدخلوا الى جزيرة جربة
لتتحصنوا فيها وتمنعوا صاحبكم * واما ان ترسلوا الى تيهرت رسلاً بكتاب
من عندكم تطلبون فيه من الامام أن يخصصكم بعامل مستقل عن جبل نفوسة
حتى لا تدخلوا تحت أحكامهم وسيطرتهم * واما ان تسلموا لي صاحبكم (ابن
خلف) لأسلمه انفوسة بالأمان وأنا أضمن لكم سلامته وأنهم لا يتجاوزون
فيه الحق * فلم يعجبهم قوله وأجابوه بكلام غليظ أغضبه فقام وتركهم * ولما
وصلهم أبو منصور بجنوده دعاهم الى الانقياد والطاعة فأبوا فناجزهم الحرب
وكان بين الفريقين قتال شديد انهزمت على أثره زواغة وكان القتال قريباً
من أرض ذات غرس جديد ومن عادتهم ان يحوطوا الغرس أو الجنان
بحائط أو حبال توصل بين أعمدة مغروزة في الأرض محافظة عليه من
الوحوش والحيوانات فصدت تلك الحبال زواغة عن الهروب وحبستها
حتى أخذ منها أبو منصور غرضه من القتل ثم رجع عنهم فدخلوا الى جزيرة
جربة وتحصنوا فيها والتجأ ابن خلف الى رجل من وجوه زواغة هناك
فأدخله في قصر من قصور الجزيرة وظنوا انهم قد نجوا * ثم لما استراح أبو
منصور مدة واكتشف حقيقة حالهم وخبرهم في الجزيرة جدد النهوض اليهم
فسار في عسكر جرار الى أن قرب من الجزيرة ثم فكر في الأمر فرأى أن
الدرهم والدينار يفعلان مالا يفعله الرمح والسنان * ويمهدان من الطرق مالا

تهده الفرسان *ويذللان من الصعوبات مالا تذلله السيوف عند الطعان * فأرسل مع رجل من بني يهراسن مائة دينار الى الزواغي الذي عنده ابن خلف هدية ولما وصله وسلمها له وهو في بني معقل من زناتة صار يسأله عن أبي منصور وأحواله ويقول له لو أتيت الينا في أولادنا لد فعناهم لك * فعاد الرسول الى أبي منصور وأخبره فطوى أبو منصور المراحل في أقرب وقت وكان له طبل يأمر بضربه اذاحان وقت الصلاة فيقف أول العسكر وآخره فيصلي بهم ركعتي السفر ويأمر بضربه للرحيل وجد السير حتى دخل جربة بلاحرب ولا قتال فتوجه الزواغي الى ابن خلف وهو في قصره وقال له انزل ياأيها الأمير فقد أرملت كثيراً من نساء زواغة قال أبو زكرياء فقال له ولد خلف ليتكم لم تسموني أميراً يامشومات بالبربرية فأنهم لأنه رجل عربي لايحسن البربرية اه فنزل ودفعوه الى أبي منصور فقيده ومضى به الى الجبل فحبسه فكان في سجنه الى أن وجب حد السرقة على رجل أقيم عليه الحد قبل ذلك فاختلفوا في محل قطع الرجل منه فوجهوا اليه السؤال فأجاب بأنها تقطع مما دون العقب وقال سجنوني وأتوا يتعلمون مني العلم فأطلق أبو منصور سبيله بعد أن أظهر التوبة وتحسنت أحواله بعد ذلك ورجع الى الحق فيما قيل وكانوا يلقبونه بالطيب بن الخبيث بن الطيب والله أعلم* وانما كان أبو منصور يضرب الطبل عند دخول وقت الصلاة لأن النداء أو الآذان لايكفي لايقاف تلك الجيوش المنتشرة الكثيرة الممتدة مع الطريق ولا بد من أنهم يؤذنون قبل اقامة الصلاة*فالطبل علامة على الأمر بالوقوف لاعلى الصلاة*ولعل اختلافهم في مسئلة قص الرجل كان لقصد امتحان الطيب وجعله وسيلة الى اظهاره من السجن* والا فكيف يختلفون في مثل هذه المسئلة وهم في عصر كان الجبل

فيه مملوءاً بفحول العلماء والله أعلم *

—*(ولاية العلامة أفلح بن العباس رحمهما الله)*—

« على جبل نفوسة وواقعة (مانو) »

* ولما توفي أبو منصور رحمه الله كتبت نفوسة الى الامام بذلك فولى عليهم العلامة أفلح وفي مدته كانت واقعة (مانو) التي فل فيها حد سيوف نفوسة وفنيت فيها أبطالهم وأبقت فيهم ثلمة عظيمة وهي المصيبة الكبرى التي تضعضع بها ركن الامامة بتيهرت اذ كانوا حصنها المنيع وسيفها البتار ودرعها المتين * ولما ضعفوا أخذت في التقهقر بطمع الأعداء فيها وتسلطهم عليها حتى اضمحل أمرها كما سيأتي بيانه *

* وتفصيل هذه الحادثة الشنيعة هو كما ذكره المؤرخون كلهم منهم الشماخي رحمه الله حيث قال وكان ابراهيم بن أحمد من بنى الأغلب والي بني العباس على أفريقية ظالماً جائراً فقدم طرابلس ولعله أفسد فاجتمع رأي أكثر نفوسة على ملاقاته فأبى لهم أميرهم أفلح بن العباس وسعد بن أبي يونس عامل قنطرارة (تيجي) ومعبد الجناوني وعزم من رغب في الجهاد واظهار المعروف ودين الله لتكون كلمة الله هي العليا * قال ابن الرقيق وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين تحرك ابراهيم بن أحمد يريد محاربة ابن طيلون وامر بالحشد فلما اجتمع له مايريد خرج من تونس لعشر خلون من المحرم فأقام برقادة الى سبع بقين من صفر ثم خرج بجميع من معه فاعترضته أهل نفوسة في جمع عظيم وذلك في النصف من ربيع الأول فكان بينهم قتال عظيم فقتل من جنده جماعة من الرؤساء وغيرهم ثم انهزم أهل نفوسة وكان في أيام المتضد فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً وتطارح منهم في البحر بشر كثير وقتلهم فيه حتى

غلبت حمرة الدم على الماء اهـ هذا ماذكره صاحب السير رحمه الله نقلاً عن ابن الرقيق ولا سبب فيه ولا داعي الى حمل نفوسة على المعارضة والوقوع في هذه المصيبة مع انهم أعانوا بني الاغلب قبل ذلك على ابن طولون كما تقدم * والذي أراه مناسباً وان كان قابلا للنقض هو ما قاله العلامة أبو زكرياء رحمه الله من أن الجند كان قادما من المشرق وسببه هو أن أخبار نفوسة وقوتهم قد تواترت عند بني العباس ملوك الشرق ولا زالت الرسائل تتوجه اليهم من القيروان وطرابلس تفيدهم بأن دولة بني رستم بتيهرت لم تقم الا بنفوسة وكان ذلك في عهد المتوكل ببغداد فأنفذ الى المغرب جيشاً وقدم عليه ابراهيم بن الاغلب ولما وصل طرابلس اجمعت نفوسة على منعه من الجواز خوفا من أن يكون قاصداً تيهرت دار امامتهم فأرسل اليهم يستأذنهم في الجواز فأجابوه بالمنع فطلب أن يتركوا له مقدار طول عمامة على ساحل البحر ليمر فيه فأبوا فلما رأى عزمهم أمر عسكره بأخذ الحذر وقال لهم اتخذوا طريقا على ساحل البحر فان تركونا كان المراد وان تعرضوا لنا قاتلناهم ولما بلغ الخبر الى نفوسة قال بعضهم دعوا الرجل ولا تتعرضوا له وأبى بعضهم الا ملاقاته * وممن كره ذلك العلامة سعد ابن أبي يونس فقال له بعضهم عز عليك شداخ قنطرارة (صنف من تمرها) وكرهت الموت ولذلك تعرضت فقال خفت أن تذبح البقرة فيتبعها العجل يعني بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطرارة * وممن وافقه على رأيه العلامة معبد الجناوني وأميرهم أفلح ثم كانت الغلبة للرأي العام فلاقوه بموضع يقال له (مانو) وهو قصر قديم بين قابس وطرابلس واقتتلوا قتالا لم يعهد مثله قبله فيما قيل وكان فيهم رجل من شجعانهم ما برز له أحد الا قتله فخرج اليه أفلح بنفسه * وكان صاحب البند (أي العلم الكبير) العلامة شيبة الدجي فأمره أفلح بأن يثبته

في الارض فأبى فأمره ثانيا فأبى ثم أمره ثالثاً وكأنه أضمر في نفسه للمشائخ الذين ألزموه بالحرب ما أضمر من الشر فقال له حملته مع ابيك وجدك ولم يأمراني بذلك وسأحفر له حفر الله لك ثم حفر له في الارض وركزه فانصرف أفلح وحام العسكر حول البند لا يولون الأدبار والحرب قائمة* ولما رأى بعض أهل البصائر ما حل بالعسكر من الفناء صرع البند فتفرقوا وقد مات منهم اثنا عشر ألفاً أربعة آلاف منها من نفوسة والباقي من غيرها وأربعمائة عالم فيهم من المشاهير العظام والعلماء الكرام أبو ميمون وعمروس وماطوس وشيبه وميال ومعبد وجنا التنزغتي وقد كان شرع في بناء مسجد بتنزغت بلدته فجاءه الامر فتوجه قبل أن يتمه وهو باق الى الآن لا سقف له وسواريه من الحجر الصلد واقفة كما نصبت في ذلك الوقت ثم زحف ابن الأغلب الى قنطرارة (مدينة تيجي) فنزل عليها بغتة بعد طلوع الفجر وحاصرها حتى سلموا فقتل من قتل وأخذ منها ثمانين عالما وارتحل الى جهة نفزاوة وكان بها من العلماء المشهورين العلامة أبو بكر يوسف النفوسي فوجه اليه رسله ولما وافته سألهم أن يمهلوه حتى يصلي ركعتين فلما صلاهما أخذ في الدعاء سائلا ربه أن يصرفهم عنه فبعث الله ريحاً عاصفا شتتهم وحالت بينه وبينهم وكان ضريراً فأخذ ابنه يوسف بيده وذهب فلم يدركوا له أثراً فعطف ابن الأغلب بالأسارى الى القيروان ومنهم العلامة ابن يتوب* وكان مقطوع العرقوب ولما أرادوا وضع القيد فيه مدلهم الرجل المقطوعة* ثم استأذن أصحابه في الهروب فأذنوا له فهرب * ولما بلغ ابن الأغلب خبره أمر بقتل الباقين فقتلوا عن آخرهم رحمهم الله * وممن أخذ أسيراً عمروس رحمه الله وكان على فرس سابق يذود عن العسكر ويحمي الاطراف ولما أعياهم أمره نسجوا له شبكة من حبال في طريقه فعثر فيها

جواده فأخذوه الى ابراهيم فقال له سلني العفو عنك لأترك سبيلك فقال له ذلك بيد الله لا بيدك* وتلك كلمة لا أقولها أبداً حتى ألحق بالله وانما اسألك أن لا تكشف عورتي* فقرضوه بمقراض من حديد* ولما بلغوا المرفقين فاضت روحه رحمه الله تعالى * ولعن ابن الاغلب العنيد * ومن الاسارى أخت عمروس تلك العالمة الجليلة وبعض نسوة كن خرجن مع العسكر في أول الأمر ولما خافت أخت عمروس على نفسها وعلى من معها الفساد من فساق بني الأغلب أمرتهن أن تستخلف كل واحدة منهن على نفسها من يزوجها ممن يريد بها سوءاً * ثم ان نفوسة رجعوا الى الجبل وتحصنوا فيه واجتمع أهل الرأي منهم واتفقوا على عزل أفلح فعزلوه وولوا ابن عم له ولما بلغه الخبر غضب لذلك ونوى الشقاق والفتنة * ولما سمع أبو معروف بذلك وهو ممن كره عزله خوفاً من الاختلاف بادر اليه وحذره الشر ونهاه عما كان يقصده وأمره بالصبر والسكون فامتثل أمره *ثم ان ابن عمه لم يحسن القيام بأمور الناس فعزلوه بعد ثلاثة أشهر وولوا أفلح * وقد ذكر المراكشي الحكاية في تاريخه وبين ان نفوسة كانوا في عشرين ألف مقاتل*ولا أظنهم الا أكثر من ذلك بأضعاف حسبما تقتضيه كثرتهم ومعارضتهم*ثم قال ولما قتل أكثرهم تمادى الى طرابلس فقتل بها أبا العباس أحمد بن زيادة الله بن الأغلب وكان أديباً ظريفاً له تواليف * وسبب قتله ان المعتضد بالله العباسي كتب الى ابراهيم ابن أحمد يعنفه على سوء فعله بأهل تونس ويقول له ان انتهيت عن أخلاقك هذه والا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله ثم نهض من طرابلس الى تاورغا فقتل بها خمسة عشر رجلاً وأمر بطبخ رؤسهم وأظهر انه يريد أكلها هو ومن معه من رجاله فارتاع أهل العسكر منه وقالوا قد

خولط فانفض الناس عنه فلما رآى ذلك خشي أن يبقى وحده فرجع الى تونس فجعل عقوبة من انفض عنه غرم ثلاثين دينارا فسمي غرم الهاربين اه فليتأمل فانه مباين لما قلناه أولاً اعتماداً على كلام أبي زكرياء رحمه الله والله أعلم بالحقيقة *

واقعة أخرى لابن الأغلب

(مع نفوسة)

* وبعد مضي سنة على محاربة (مانو) حدثته نفسه الخبيثة بالعود الى نفوسة وتجديد الحرب معهم مادام جرح الأولى جديداً فأرسل ابنه أبا العباس بعسكر في رجب من سنة أربع وثمانين ومائتين الى حيز نفوسة فقتل من من وجده في الأطراف واستباح النساء وأتى الى والده ابراهيم بجماعة منهم أسارى فأمر بقتلهم * ذكر الشماخي رحمه الله انه قدم اليه رجل منهم وكان أحسنهم منظراً فقال له أظنك معلم القوم وامامهم فقال لست كذلك قال فما تقول في قال ماأقول الا انك فاسق ظالم سفاك لدماء المسلمين أبعدك الله فغضب وقال له والله لأقتلنك قتلة لم أقتل بها أحداً من أصحابك فقال له ان كان الأمر بيدك ستفعل ماقلته وان كان بيد الله فهو أقوى فزاده غيظاً وقال ومن ذا الذي يمنعك مني * ثم سمع الآذان فقام ليصلي بأصحابه فألقى الله في قلبه اللطف به فتركه وتحقق أن الأمر بيد الله واستأصل من قدر عليه من أهل قنطرارة فصح ماخاف منه العلامة سعد حتى قال ماسبق ذكره * وقد ذكر هذه الواقعة المراكشي أيضاً ولما فيها من زيادة على ماذكرناه نأتي بكلامه « قال » وفي سنة ٢٨٤ كانت وقعة نفوسة لأبي العباس ابن ابراهيم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر منهم نحو ثلاثمائة فلما وصل بهم

الى والده ابراهيم بن أحمد دعا بهم فقرب اليه شيخ منهم فقال له ابراهيم أتعرف علياً ابن أبي طالب (يشير الى مسئلة الحكمين والنهروان) فقال له لعنك الله يا ابراهيم على ظلمك وقتلك *فذبحه ابراهيم وشق عن قلبه وأخرجه بيده وأمر أن يفعل ببقية الأسرى كذلك حتى أتى على آخرهم ونظمت قلوبهم في حبال ونصبت على باب تونس اه فانظر أيها القارئ الى هذا التمثيل الشنيع *والفعل الفظيع *الذي لا يصدر من الوحوش الخسيسة فضلا عمن يدعي التوحيد * فقبح الله الاستبداد وأربابه ولعن كل جبار عنيد *

وقد ابتلي الله ابن الاغلب بعد واقعة (مانو) بفساد العقل فارتكب افعالا لا تصدر من المجانين اذ شرع في قتل رجاله وأولاده وبناته ونسائه وكتابه وحجابه حتى أنه قتل ثلاثمائة خادم من خدامه لأجل خادم واحد رفع منديلا سقط من احدى جواره وقتل ابنه المكنى بأبي الأغلب صبراً بين يديه وثمانية اخوة كانوا من رجاله وست عشرة بنتا في يوم واحد *قال الشماخي رحمه الله* قال ابن الرقيق وأتى بأمور لم يأت بها أحد قبله ولم يتقدمه الى مثلها ملك واتخذ الأحداث حتى جمع أربعا وستين حدثا وجعل لكل واحد منهم فراشا ومرقدا ولحافا وبلغه عن بعضهم أمر فقتلهم جميعا * منهم من ضرب بعمود حديد فطار دماغه وكان يحرق منهم كل يوم خمسة أو ستة حتى أتى على آخرهم *وادخل بعضهم الحمام فسد عليهم وماتوا من حينهم وقتل ندماءه وطبيبه وقتل كتابه وحجابه وسجن بعض كتابه واستعطفه على نفسه ومن جملة كلامه ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا فأجابه * بأن الملوك اذا ما استرحموا قتلوا * فقتله * وألجأه وابل المطر الى مسجد قرية فسقط بعضه وخشي من سقوط الباقي عليه وعلى أصحابه فخرجوا ووقفوا في المطر فأبصرهم فتى فأنزلهم وأحسن بما قدر وباتوا

بأحسن مبيت وكان زمان التين فأدخلهم بستاناً له وأطعمهم ما أرادوا * فأمر به فضرب ضرباً وجيعا وكانت له عبيد صقالبة فرمى بعضهم من اعلى القصر وبعضهم أدخلهم بيتا وبنى عليهم ليموتوا جوعا فوجدوا في البيت سيفاً فقتلهم واحد منهم ثم قتل نفسه فحزن عليهم اذ لم يموتوا جوعا * وقتل صاحب الديوان وشريكه لا لأمر عظيم بأن قطع يدي أحدهما ورجليه وحمل رأسه الى صاحبه فقال له ان لك خدمة وقديم صحبة ولأقتلنك قتلة مريحة فقال ماخنت لك عهداً منذ توليت * فأمر بضرب عنقه وقتل ابنه أبا عقال اذ قال لأخيه ان أبي زال عقله * وقتل جواره وبناته فمنهن من خنق ومنهن من بنى عليها حتى ماتت جوعا وله أفعال غير هذه واضطرب أمره ثم أظهر التوبة وأراد الحج ثم رجع غازياً الى صقلية فمات طريداً ملعونا ولم تبق أيامهم بعد ذلك الا قليلا حتى اباد الله ملكهم وأهلكهم وأزال الأمر من ايديهم الخ اه المراد منه وهذه الاخبار مذكورة عنه في اكثر التواريخ بل فيها اكثر من هذا والله أعلم * وقع هذا كله بجهات نفوسة والامام بتيهرت لم يتوصل الى اعانتهم لبعد المسافة وخوف ايقاظ الفتنة بتلك الجهات أيضا الا أن العدل عنده سائد والأمن عام في الرعية *

﴿ أحوال أرباب المذاهب بتيهرت وخطب الجمعة ﴾
﴿ في مدة هذا الامام ﴾

* المشهور أن لهؤلاء الائمة كلهم دواوين خطب للجمع والأعياد اذ كانوا يخطبون بأنفسهم ولا يعيدون خطبة خطبوا بها قط * وكلما بحثنا لم نعثر على شيء منها وقد تعرض ابن الصغير لشيء قليل من هذا الأمر حيث ﴿قال﴾ ولم ينقموا على أبي حاتم شيئاً ثم نقموا عليه بعد ذلك أشياء أخذه ناساً بالتهمة

وضربه بالسوط على الظنة الا ان البلد وقضاته وأصحاب بيت امواله واصحاب شرطته ومن بالبلد من فقهاء الأباضية وغيرهم من الكوفيين والمدنيين لم يطالب بعضهم بعضاً ولا سعى بعضهم ببعض *

وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئا الا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها وتناظرت واشتهت كل فرقة ان تعلم ماخالفتها فيه صاحبتها ومن أتى الى حلق الاباضيةمن غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الاباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك الى أن قال وحضرت لخطبائهم خطباً كثيرة * أولهم ابن أبي ادريس *والثاني أحمد التيه*والثالث أبو العباس بن فتحون * والرابع عثمان بن الصفار *والخامس أحمد بن منصور وكل من رأيت من خطبائهم على المنابر فليس يستعملون فى خطبهم الاخطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خلا خطبة التحكيم فانهم كانوا اذا فرغوا من الخطبة الاولى قاموا الى الخطبة الثانية وحكموا وسوف اذكر خطبة التحكيم فيما يلي هذا الكلام * فلم يزالوا كذلك الى أن ولي الخطابة رجل منهم يقال له أحمد بن منصور * وسمعته يخطب هذه الخطبة ثم يخطب بعدها بخطبة التحكيم فلقيته وعاينته وقلت له أن خطبتك التي سمعت منك اليوم ليست من خطب اسلافك * فقال لي حملني عليها عثمان بن احمد بن بجباج * وكان مقدماً عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم فخطبت بها لأنه استحسنها لي *

﴿ والخطبة هي هذه ﴾

﴿ الحمد لله ﴾ الذي ابتدأ الخلق بنعمائه * وتغمدهم جميعا بحسن بلائه فوفق كل امرئ منهم في صبائه * الى ما يحتاج الله من غذائه * وسخر له

من يكاؤه الى وقت استغنائه * ثم احتج على من بلغ منهم بآلائه * وأنذرهم بأنبيائه * ﴿ الذي لم يزل بصفاته واسمائه * لا يشتمل عليه زمان * ولا يحيط به مكان * خلق الأماكن والازمان * ثم استوى الى السماء وهي دخان * فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقدرها أحسن تقدير * واخترعها من غير نظير * لم يرفعها بعمد تدرك بالمعاينه * ولم يستعن عليها بأحد استكباراً عن الشركة والمعاونه * وزينها للناظرين * وجعل فيها رجوما للشياطين * فتبارك الله أحسن الخالقين * تعالى ان تطلق في وصفه آراء المتكلفين * وأن تحكم في دينه اهواء المقلدين * بل جعل القرآن اماماً للمتقين * وهدى للمؤمنين * وملجأ للمتنازعين * وحكماً بين المتخالفين * ودعا أولياءه المؤمنين الى اتباع تنزيله * وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع الى قول رسوله * صلى الله عليه وسلم * بذلك نطق محكم كتابه اذ يقول جل ثناؤه ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ وتعبد نبيه صلى الله عليه وسلم عند رجوع الأمة في تأويل ما اشكل عليها اليه * بأن يبين لهم معنى ما انزل عليه * فقال ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾ ولم يكلهم تملي الى القول في دينه بآرائهم * ولا اذن لهم في مسامحة اهوائهم * فتكون الاحكام مبتدعه * والآراء مخترعه * والحكام متبعه * بل أحصى كل شيء عددا * وضرب لكل شيء أمدا * ليهلك من هلك عن بينة * ويحيي من حي عن بينه * ﴿ أحمده حمداً يبلغ رضاءه * ويحتسب آلاءه * واستعينه على ما استحفظنا من ودائعه * وحفظ ما استودعنا من شرائعه * ونؤمن به ايمان من أخلص عبادته * واستشعر طاعته * ونتوكل عليه توكل من انقطع اليه ثقة به * ونرغب فيما لديه * واشهد أن

لا اله الا الله وحده لا شريك له . شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد . مقر له بالعظمة والتمجيد . خائف من انجاز ماقدم له من الوعيد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا . وارتضاه لخلقه نبيا . فوجده على حفظ ما ضمنه قويا . وبأداء مااستودعه مليا . وبالدعاء الى ربه حفيا . ومتوقفاً عند ورود المشكلات . ومشمراً عند انجلاء الشبهات . لا يرعوي لمن عذله . ولا يلوي على من خذله . ولا يطيع غير من ارسله . يصدع بالامر . ويطفيء نار الكفر . لم تأخذه في الله لومة لائم . ولم ينحرف عنه لزعم زاعم . ارسله على حين فترة من الرسل . ودروس من السبل . وتضامن من أهل الملل . والناس فريقان عالم مستكبر . وجاهل مستظهر . فالعالم الذي قد سبق له الخذلان بنزغة الشيطان . ويجمح به الطغيان . فيستنكف عن الدخول في الايمان * والجاهل متسكع في غيه متحير في أمره . منتظر مايكون من غيره . فلم يزالا يعكفان على الأزلام . ويعتصمان بالأصنام . والرسول عليه السلام . يرعاهم رعي السوام . ويدعوهم الى دار السلام . فلم يزل عليه السلام يعظهم بالآيات . ويقرعهم بالمعجزات . حتى استقام من احب الله توفيقه من سائر أهل الديانات . فبلغ المحكمات . وأوضح المشكلات . وزجر عن القول في الدين بالشهوات . فختم الله به النبيئين وأكمل به الدين . وأوجب به الحجة على العالمين . صلى الله عليه وعلى آله الطيبين . واخوانه المرسلين وأوليائه من المؤمنين . ثم جلس ثم قام فقال .

خطبة التحكيم

﴿الحمد لله﴾ الذي نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره . ونبرأ من الحول والقوة اليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا اله

الا الله وحده لا شريك له. وأن محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا. والكعبة قبلتنا. والقرآن امامنا. رضينا بحلاله حلالا. وبحرامه حراما. لا نبتغي به بدلا. ولا عنه حولا. ولا نشتري به ثمنا. لا حكم الا لله اتباعاً لكلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وخلافاً لأهل البدع. لا حكم الا لله خلعاً ونبذاً وفراقاً لجميع أعداء الله. لا حكم الا لله ولو كره الجبارون الحاكمون بغير ما أنزل الله. وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد. اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان. اللهم وارحم الشراة في سبيلك أهل الفضل في الاسلام. اللهم أرض وصل على الخليفتين المباركتين بعد نبيك. أبي بكر وعمر امامي الهدى بما عملا به من كتابك. وما أثراه من نبيك. اللهم وأصلح الأمير يوسف بن محمد أصلحه وأصلح على يديه. ووفقه للخير وأعنه عليه. وافتح له من عندك أعواناً وأنصاراً على طاعتك. اللهم اعزز به الاسلام وأهله. واذلل به الكفر وأهله. وانصره نصراً عزيزاً. وافتح له فتحاً يسيراً. وهب له من لدنك سلطاناً نصيراً. كفى بك وليا وكفى بك نصيراً. اللهم اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالأيمان. ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم. ثم قرأ قل هو الله أحد ثم نزل اه *

* الى هنا انتهى ما وقفنا عليه من كلام العلامة ابن الصغير المؤرخ المالكي في أئمة بني رستم ومدينة (تيهرت) دار امامتهم وهو كلام لم يجد به

أحد من المؤرخين منا ومن غيرنا لا قبله ولا بعده والله أعلم *

﴿ وفاة هذا الامام ﴾

﴿ وعدد مدته ﴾

* ثم ان الله سبحانه وتعالى قضى على هذه الدولة بالانتهاء وحكم بخراب ملك هذه العائلة كما قضى على من قبلها ومن بعدها من الملوك والسلاطين والخلفاء تصديقا لقوله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون * وقوله يعز من يشاء ويذل من يشاء ﴾ فتغلب الشيطان على عقول أبناء أبي اليقظان أخي الامام وصور لهم انهم أحق بالامامة من عمهم * ولعلمهم بأن الرعية كلها راضية به وبأحكامه وأنهم لا يمكنهم الوصول الى عزله وخلعه ولا الى اثارة فتنة يكتسبون بها استقلالا ولو ببعض الجهات أجمعوا على الغدر به ظنا منهم انهم لا ينازعون بعده في شيء فهجموا عليه وقتلوه على حين غفلة ونصبوا مكانه باتفاق مع من شايعهم واحدا منهم وهو اليقظان وذلك سنة أربع وتسعين ومائتين ٢٩٤ بعد أربعة عشر عاما من يوم ولايته ذاق فيها الحلو والمر ثم ختم له بالشهادة فرحمه الله ورضي عنه * فأقام اليقظان في الامارة سنتين مهدئ الجوانب مضطرب الأحوال لما كان في ذلك العهد من استفحال أمر عبيد الله الشيعي وظهور دعوته في المغرب وملكه الذي به انقرض ما كان بالمغرب ومصر من الممالك والامارات * وممن سعى في تقديم اليقظان وتسليم أمر الامامة له العلامة أبو الخطاب وسيل بن سنتين الزواغي الذي أثنى عليه صاحب الطبقات وقال * مذكور فيمن أفنى بدنه في العبادة وماله في الصدقة موسوم بسمة الصلاح معدود في ديوان علماء وقته الخ *

* وعلى هذا فاليقظان في رضائه ولعله غير داخل مع اخوته في مسئلة قتل الامام أو لم يصح عنده اتفاقه معهم ولذلك لما عاتبته نفوسة الجبل على بعض أمور منها التزامه الامر لليقظان قال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا يعاتبونني على ما بلغهم مني من التقصير قبل يوم القيامه* ثم قال انما التزمت الامر لليقظان احتسابا لله لا لليقظان *

انقراض ملك بني رستم من تيهرت
واستيلاء الشيعة عليها

* لا ملك الا ملك الله * ولا حول ولا قوة الا بالله * كان عبيدالله الشيعي رجلا من المشرق على مذهب الشيعة ينتسب الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها قدم الى المغرب يطلب الملك فيه لرؤيا رآها في نومه وقد صدقت الرؤيا ونال الملك وقهر الملوك وطغى وتجبر وآل ملكه بعد الى الاضمحلال كغيره والله أعلم *

* ذكر كل المؤرخين ان زوال ملك بني رستم كان على يد الشيعي الا أنهم لم يذكروا خبره بالتفصيل وغاية ما قالوه ان للشيعي مع بني رستم في تيهرت خبراً طويلاً والذي ذكره أبو زكرياء رحمه الله ان للامام أبي حاتم بنتا اسمها (دوسرا) ولعبيدالله الشيعي مولى اسمه الحجاني (أبو عبدالله) أرسله الى قبيلة كتامة فأقام فيها الى أن ظهر أمره وملك سجلماسة فأرسل اليه بالقدوم * وكانت (دوسرا) توجهت اليه مع أخ لها لما قتل والدها الامام وأخبرته بما وقع ووعدته بالتزوج به ان أخذ لها ثار أبيها فلم يجبها بشيء ولما دعاه عبيدالله الى سجلماسة مر بالقرب من تيهرت فخرج اليه من فيها من وجوه فرق الشيعة والواصلية والصفرية والمالكية وقدموا له الشكاية في اليقظان ووعدوه بالاعانة بالمال

والرجال ورغبوه في استيصال هذه العائلة كلها وانتزاع الأمر من أيديهم * ولا رجال ولا عسكر لليقظان ولا قوة له لادبار الناس عنه بما وقع من قتل الامام فأرسل اليه الحجاني رسلا يطلب منه الاجتماع به فخرج اليه ومعه بنوه واخوته وأتباعه ولاقاه على أميال من تيهرت ولما اجتمع به قال له (متجاهلا) ما اسمك فقال له اسمي * اليقظان * فقال الحجاني بل أنت الحيران * ما بالكم قتلتم أميركم * وسلبتم من أنفسكم ملككم . وأطفيتم نور الاسلام وألقيتم الينا بأيديكم بغير قتال ولا حصار * ثم أمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وذلك في شوال سنة ٢٩٦ ولما سمعت دوسرا بنت الامام بذلك هربت خوفاً من ان يطلبها الحجاني للتزوج بها كما وعدته ثم ان الحجاني دخل تيهرت ونهبها واستباحها وقصد المكتبة المعروفة بالمعصومة وأخذ ما فيها من الكتب الرياضية والصنائع وغيرها من الفنون الدنيوية وأحرق الباقي كله ومن هنالك فقدت أغلب مؤلفات المذهب اذ كانت المكتبة عظيمة جامعة * وطلب (دوسرا) بكل جهد فلم يقف لها على أثر *

خبر العلامة يعقوب بن أفلح
(رحمه الله)

* ذكر أبو زكرياء رحمه الله ان يعقوب رحمه الله لما بلغه مجيء الحجاني الى (تيهرت) خرج منها في خيل من أصحابه وأقاربه وأهله قاصداً مدينة (وارجلان) ولما سمع به الحجاني أرسل في أثره عسكراً وكان يعقوب على جواد عظيم الشأن يضرب به المثل في المغرب كله ولما لحقه العسكر اعترضهم في الطريق وصدهم عن الاتصال به وبمن معه وكلما رآهم سائرين نحوه أمر من معه بالمسير ووقف هو في الطريق فاذا رآه العسكر واقفاً ينتظرهم وقفوا

في مكانهم رعباً منه لما كان له من الهيبة والشدة . ولما أعياهم أمره ولم يقدروا له على شيء رجعوا وتركوه لحاله فنظر الى الطالع في السماء ثم قال لأصحابه افترقوا فقد انقضت أيامكم وزال ملككم فلا يعود اليكم الى يوم القيامة وما اجتمع منكم ثلاثة الا وقع عليهم الطالب فتفرقوا * وأقبل هو بمن معه على وارجلان وذلك على عهد العلامة أبي صالح جنون بن يمريان رحمه الله فتلقاه أبو صالح في جموع وارجلان لما بلغه وصوله وأدخلوه وأكرموه وأحسنوا القيام به ثم طلبوه ان يولوه الامامة هناك فامتنع وقال لا يستتر الجمل بالغنم فأرسلها مثلا ومكث فيهم زمناً طويلاً ثم توفي ودفن في مقبرة أبي صالح قال أبو زكرياء وقبره في عصرنا هذا لم يندرس كأنه ربوة اهـ *

* وذكر ان بعض أهل وارجلان قال له أتحفظ القرآن كله فقال له معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى مالم أحفظه وأعرف معناه فكيف بكتاب الله الذي أنزله على نبيئنا محمد صلى الله عليه وسلم . ومما يحكى عن خشوعه انه كان في بعض الليالي قائماً يصلي فوقع سقف البيت ولم يبق منه الا ما كان فوقه ولما جاء الناس للبحث عنه وجدوه واقفا على ما هو عليه ولما سألوه قال لهم ظننت ان القيامة قد قامت * أي لما وقع من الزلزلة * ولم يعلم بأن ذلك من السقف لاشتغاله وله أخبار غير هذه مذكورة والله أعلم *

﴿ بيان بعض من ولي تيهرت ﴾
﴿ بعد بني رستم ﴾

* ذكر البرادي طرفا من أخبار تيهرت بعد بني رستم وهو أحسن ما وقفت عليه من كلام المؤرخين في هذا المقام وان كان مفرقا مشتتا في تاريخه . فخذه مجموعا موصولاً من لفظه ﴿ قال ﴾ فسار أبو عبد

الله (الشيعي سنة ٢٩٦) حتى حل بمدينة (تيهرت) فدخلها بالأمان وقتل من بها من الرستمية * يقظان بن أبي اليقظان وجماعة من أهل بيته وبعث برؤسهم الى أخيه أبي العباس وأبي زاكي خليفته برقادة وطوفت بالقيروان ونصبت على باب مدينة رقادة وانقضت دولة بني رستم بتيهرت اه *

* فتوالت عليها بعدهم المصائب * وتتابعت عليها النوائب. وتراكم على أهلها البلاء * وفشا فيهم التنقل والجلا. وامتحنوا بالزلازل والقتال * وتجرعوا كؤس الذل والوبال * وما ينزل بهم عامل الا وتحضر عمال * وما يطرأ عليهم حال الا وتظهر أحوال * وقد وضح المؤرخ المراكشي بعضا من ذلك حيث قال * ثم ولى أبو عبد الله على (تيهرت) أبا حميد دواس بن صولات اللهيصي وكان يلقب بالسيد الصغير ثم نهض حتى احتل مدينة سجلماسة وحاربها يوم الأحد لسبع خلون منه ففتحها في هذا اليوم وأخرج منها عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم وكانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار وفي سنة ٢٩٧ خالف على أبي عبد الله الشيعي محمد بن خزر بن صولات الزناتي وأقبل الى مدينة (تاهرت) وطمع بأخذها واخراج دواس بن صولات منها وان يقطع بأبي عبد الله ومن معه في انصرافهم من سجلماسة وباطنه على ذلك قوم من أهل (تاهرت) يعرفون ببني دبوس فاستدعوه فوشي بهم الى دواس عامل الموضع فحبسهم في حصن ابن مخاتة المعرف (بتاهرت) القديمة وحارب محمد بن خزر (تاهرت) وتغلب على بعض أرباضها فلما رآى ذلك دواس هرب الى ابن حمة صاحب القلعة ووثب أهل حصن ابن مخاتة على بني دبوس عندهم فقتلوهم ودفع أهل (تاهرت) محمد بن خزر وحاربوه ثم كاتبوا دواسا فانصرف اليهم ورجعت قبيلة زناتة الى (تيهرت) وحاصروا دواس بن صولات فيها فأخرج اليهم

عبيدالله قائدا يعرف بشيخ المشائخ فهزم زناتة وقتل كثيرا منها وفي سنة ٢٩٩ فتحت (تيهرت) وكان أهلها قد ثاروا على دواس عاملها وأرادوا قتله فهرب منها الى (تيهرت) القديمة وتحصن بها وقتل فيها أكثر أصحابه وكانوا في نحو ألف فارس واستدعوا محمد بن خزر فقدم عليهم وأدخلوه البلد وولوه وبرزوا اليه بأم دواس وعياله وأكثر سلاحه ثم خذلوه وخذلهم فزال عنهم وانصرف الى موضعه ثم أخرج عبيد الله العساكر الى (تيهرت) في أعداد عظيمة وخلق لا يحصى كثرة فنزلت عليها يوم الجمعة لانسلاخ المحرم وحورب أهلها ثلاثة أيام ثم اخذوا بالكيد ودخلت العساكر (تيهرت) يوم الثلاثاء لأربع خلون من صفر فقتلوا وسبوا النساء والذرية وانتهبوا الأموال وحرقوها بالنار وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل ثم ولى عبيد الله (تيهرت) مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي وانصرف دواس بن صولات الى مدينة رقادة وقتله عبيد الله بعد ذلك وفي سنة ٣٠٤ خرج مصالة بن حبوس من (تيهرت) لمحاربة سعيد بن صالح بن ادريس صاحب (ناكور) فدارت بينهم حروب كثيرة *

﴿ أقول قال صاحب الاستقصاء وفي سنة ٣٠٥ أحرقت النار أسواق مدينة فاس وأسواق (تيهرت) قاعدة زناتة واحرقت اسواق قرطبة وارباض مكناسة من بلاد جوف الأندلس وكان ذلك كله في شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار اهـ ﴾ *

* وفي سنة ٣١٠ قدم مصالة الى المهدية على عبيد الله فأقام بها أياما ثم صرفه الى (تيهرت) فخرج اليها في شعبان وفي هذه السنة خالفت نفوسة على عبيد الله وقدموا على انفسهم أبابطة فاجتمع اليه عدد كثير واشتدت

شوكتـه فأخرج اليهم عبيد الله علي بن سليمان الداعي في جمع كثير فلما قرب منهم ثبتوا فقتلوا كثيرا من أصحابه وانهزم الباقون وتفرقوا عن علي ابن سليمان فسار علي الى طرابلس وكتب الى عبيد الله بذلك فكتب عبيد الله الى علي بن لقمن عامله على قابس بأن يقتل كل من مر به من المنهزمين فقتل منهم جماعة وأمد عبيدالله علي بن سليمان بالجيوش وأخذ في حصار نفوسة بعزم وفي سنة ٣١١ أوقع علي بن سليمان بأهل نفوسة ودخل حصنهم وهدمه وقتل الرجال وسبي الذرية وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان وفي سنة ٣١٢ خرج مصالة بن حبوس من (تيهرت) الى زناتة فأداخ بلدهم وقتل وسبي وأخرج خيلا الى بعض نواحي ابن خزر وكان فيها اكثر حماته ووجوه رجاله وبقي مصالة في نفر من اصحابه فبلغ ذلك ابن خزر فقصد نحو مصالة ودارت بين الفريقين حرب عظيمة قتل فيها مصالة وانهزم اصحابه وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان وفي سنة ٣١٤ زحف ابن خزر الى (تيهرت) وحاربها فانهزم عنها وأخرج عبيد الله في أثره موسى ابن محمد الكتامي في جماعة من القواد فلما صار بطبنة دخل محمد بن خزر الصحراء وأبقى اخاه عبد الله مع وجوه رجاله بوادي مطاطة فدارت بينه وبين جند الشيعي حرب عظيمة كان الظفر فيها والغلبة لابن خزر ثم أخرج عبيد الله اليه أسحق بن خليفة واصحابه وخالفت على الشيعي لماية وما جاورها من القبائل واستمدوا ابن خزر فكتبوا الي عبيدالله مستمدين فأمدهم بجيش كثير فهزموه وراسلت هذه القبائل محمد بن خزر فولى عليهم أخاه عبدالله ودارت بينه وبين جيوش الشيعي وقائع كثيرة * وبعد وفاة مصالة تولى (تيهرت) أخوه يصل بن حبوس الى أن توفي سنة ٣١٩ ثم وليها أبو مالك بن

يغمراسن بن أبي شحمة اللهيصي فقام عليه اهل البلد وأخرجوه سنة ٣٢٣ ووليها ابو القاسم الأحدب بن مصالة بن حبوس فقدموه على انفسهم فأقام عليهم سنة واحدة فلما انصرف ميسور من ارض المغرب الى افريقية حاربهم حتى ظفر بالبلد فقتل ابا القاسم بن مصالة المذكور وولى على (تيهرت) داود بن ابراهيم العجيسي فأقام واليا عليها الى ان اخرجه حميد بن يصل في جمادى الآخرة من سنة ٣٣٣ في ايام ابي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني وخرج حميد بن يصل من (تيهرت) في سنة ٣٣٣ في خبر طويل ذكره وجاز الى الاندلس واحتل اسماعيل الشيعي مدينة (تيهرت) وولى عليها ميسوراً الفتى فاضطرب عليه اهل البلد لأنه سار فيهم بسيرة غير مرضية فاستدعوا محمد بن خزر الزناتي وابنه الخير ومن معهما من زناتة فقدموا الى (تيهرت) في جمع عظيم وأظهروا أنهم ناصرون لميسور فخرج اليهم فغدروه وأسروه ودخل بنو خزر وزناتة مدينة (تيهرت) ونزلوا دار الأمارة ثم اضطرب أمر أهل (تيهرت) وتغلب عليها يعلى بن محمد اليفرني الزناتي الى ان قدم جوهر قائد الشيعة سنة ٣٤٩ اهـ بدون زيادة ولا نقصان الا ما كان من بعض كلمات يقع بها ربط كلامه المتفرق لا يترتب عليها شيء من جهة المعنى الأصلي ولم نقف على من وليها بعد هذا التاريخ ولم نعلم نهاية عمرانها متى كانت الا ما يوخذ من كلام ابن خلدون فانه بعد أن تكلم على أحوال بني رستم فيها باختصار وتكلم على بعض من وليها بعدهم ممن ذكرناهم هاهنا قال*ولم تزل (تاهرت) هذه بعد لأعمال الشيعة وصنهاجة سائر أيامهم وتغلب عليها زناتة مراراً ونازلها عسكر بني أمية راجعة في أثر زيري بن عطية أمير المغرب من مغراوة أيام أجاز المظفر بن أبي عامر من العدوة الى حربه ولم يزل

الشأن هذا الى أن انقرض أمر تلك الدول وصار أمر المغرب الي دولة الموحدين من بعدهم وملكوا الفرس وخرج عليهم بنوغانية بناحية قابس ولم يزل يجيء منهم جلب على ثغور الموحدين وشن الغارات على بسائط أفريقية والمغرب الأوسط وتكرر دخوله اليها عنوة مرة بعد أخرى الى أن احتمل سكانها وخلاجوها وعفار سمها لما تناهى عشرون من المائة السابعة والأرض لله اه والذي يوخذ من التاريخ انها خربت مرارا وعمرت ولعل ماذكره ابن خلدون هو خرابها الأخير الذي لم تعمر بعده * (هذا) وبعد أن تبادلتها أيدي الشيعة وغيرهم ممن سعى في الأرض فسادا أضمحلت آثار العدل منها وتغيرت معالمها وساد فيها الجهل وسارت في التقهقر والادبار على نسق ما كانت عليه أيام بني رستم من التقدم في العلوم والعمران وقد بلغ الجهل بأهلها في آخر امرها مبلغاً يكاد يكذب به سامعه * ومن ذلك ما ذكره المؤرخ القزويني حيث قال * ويحكى أنه رفعت الى قاضيهم (يعني أصحاب تيهرت) جناية فما وجدها في كتاب الله فجمع الفقهاء والمشائخ (صورة) فقالوا بأجمعهم الرأي للقاضي فقال القاضي اني أرى أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثم افتحه فما خرج عملنا به فقالوا وفقت (الى الصواب) أفعل ففعل فخرج « قوله تعالى سنسمه على الخرطوم » فجدع (قطع) أنفه اه

* وقد تضاربت أقوال المؤرخين وتباينت في تقدير مدة عمرانها بامامة بني رستم كما اختلفوا في مدة كل امام منهم وقد قدمنا الراجح من ذلك *

* فقال بعضهم ١٣٠ وبعضهم ١٥٠ سنة وعلى هذا القول جرى والدي حفظه الله في قصيدته التي رثى بها استاذه عمه الشيخ سعيداً الباروني نزيل جزيرة جربة وعالمها الوحيد في عصره رحمه الله حيث قال *

وأين الأئمــة الكــرام جميعهــم * بنو رســتم كأس المنايا تجرعــوا
لقد أسسوا (تيهرت) بالغرب وارتقوا * مدارج عز الملك فيها وأبدعوا
وداموا بهــا خمسين عاما ومائـة * يحفهم من كان بالعضب يقطـع
فبــدّدهم ريب المنون وأصبحت * منازلهــم قفرا بهــا الريح زعزع

* وأنهاها بعضهم الى ١٦٠ سنة وهو صاحب المكتبة الصقلية المطبوعة بمطبعة ليبسيك الأفرنجية (قال) وزال ملك بني الأغلب وبني مدرار الذين منهــم اليسع وكان لهم ثلاثون ومائة سنة منفردين بسجلماسة وزال ملك بني رستم من (تاهرت) ولهم ستون ومائة سنة وملك المهدي (الشيعي) جميع ذلك اهـ

* والذي يؤخذ مما رجحناه فيما سـبق من مدة كل امام انها لم تتجاوز ١٤٠ سنة ولعل من قال بأكثر من هذا يرى ان امامة عبد الرحمن رحمه الله مؤسس «تيهرت» كانت قبل ١٦٠ من الهجرة وهو غير بعيد ان اعتبرناها من يوم وفاة أبي الخطاب وخروجه هو من القيروان كما قدم والله أعلم بالحقيقة .

رثاء (مدينة تيهرت)
« لما خربت »

* تقدم ماهو كاف في بيان بعض ما كان فيها من العلماء والأدباء والشعراء ولا نشك في انهم رثوها بقصائد كثيرة وبكل أسف لم نعثر على شيء منها كلما بحثنا الا بعض أبيات ذكرها العلامــة المراكشي وهي تسيل الدمع وتكلم الروح وتحرك الأحزان . وتدل على ما كان لقائلها من القدرة على اختيار العبارات المؤثرة بمعانيها المهيجة المثيرة للحنين الى معاهد الأولين . وآثار المتقدمين . « قال » ومما قيل حين قضى الله بخرابها وانتقل أهلها وأربابها عنها .

(خليلي عوجا بالرسـوم وسلما * على طلل أقوى وأصبح أغبرا)
(ألما على رسم (بتيهرت) دائر * عفته الغوادي الرائحات فأقفرا)
(كأن لم تكن (تيهرت) دار المعشر * فدمرها المقدور فيمن تدمرا)

﴿ قال وقال بعض شعراء (تيهرت) من قصيدة أولها ﴾

(فراغ الهوى شغل * ومحيا الهوى قتل
ويوم الهوي حول * وبعض الهوى كل)
(وجود الهوى بخل * ورسل الهوى عدا
وقرب الهوى بعد * وسبق الهوى مطل)
(سقي الله (تيهرت) المنا و (سويقة)
بسا كنها غيثاً يطيب به المحل)
(كأن لم يكن والدار جامعـة لنـا
ولم يجتمع وصل لنا لا ولا أهل)
(فلما تمادى العيش وانشقت العصا
تداعت أهاضيب النوى وهي تنهل)
(سلام على من لم تطق يوم بيننا
سلاماً ولكن فارقت وبها ثكل)
(وماهي آماق تفيض دموعها
ولكنها الارواح تجري وتنسل)

* قال وتيهرت القديمة هذه هي التي خربها الخير بن محمد بن خزر الزناتي

﴿ سياحتي في المغرب وزيارتي تيهرت ﴾

* كنت ارتحلت من مصر بعد أن جاورت في الازهر العامر نحو ثلاث

سنين الى المغرب الأوسط سنة ١٣١٣ فقصدت جبال بني مصعب من أعمال الجزائر لطالب العلم من عالم الاسلام امام الأئمة الاعلام أستاذي الشيخ محمد ابن يوسف الميزابي صاحب الصيت البعيد والذكر الحميد الذي عرفت الدول حق قدره فرصعت صدره بالنياشين المعتبرة بدون ان يسألها أو يتصدي لها وناهيك من رجل حاز ذلك على بعد مكانه وقلة الوسيلة من أمير المؤمنين وسلطان المسلمين المعظم عبد الحميد بن عبد المجيد خان العثماني صاحب مملكة القسطنطينية العظمى ومن السلطان المعظم ملك دولة الزنجبار ومن الدولة الفرنساوية الكبري * فأقمت عنده ملازماً مجلسه الفاخر نحو ثلاث سنين أيضاً أظهر رضي الله عنه في أثنائها من الاعتناء بشأني والاجتهاد في ارشادي مالا أقدر قيمته ببيان * فجازاه الله عني بما هو أهله وأسكنه بعد عمر طويل غرف الجنان . كما لاقيت من الاخوان الكمل والأصدقاء الافاضل اهل المروءة والأدب الكامل ممن عرفتهم وعرفوني هنالك كل حفاوة واكرام . وتبجيل واحترام حتى كدت أهجر بلادي وأتخذ بلادهم وطناً لي .

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تعاب بنسيان الأحبة والأهل

* ولما كنت أسمعه كثيرا من أستاذي هذا على تيهرت وعمرانها * وبني رستم وعدلهم فيها اشتاقت نفسي الى زيارة اطلالها والوقوف على ما بقي من آثارها * اعتبارا بمن مضى وتزوداً من بركات من وطؤا ثراها * وعمروا بذكر الله سهلها ورباها * فاستاذنت الامام في السفر وبعد مماطلة وتسويف طويل أنعم بالاذن وشيعني مسافة أخجل من بيانها لعلو مقامه وصغر مقامي وان علم بها الخاص والعام * ولقبني عالا أتحمل حمله مما لم يجد به لغيري وزودني من دعائه الصالح وتوجهاته القلبية ما لم ازل استمد منه الرشد والتوفيق ولا

أضام معه باذن الله مادمت حيا * فقصدت الجزائر ومنها عطفت الى « تيارت » وهي « تيهرت » القديمة يصحبني من الأصدقاء عدد لا أنسى ذكرهم ولا أقدر فضلهم على متن وابور السكة الحديدية فاخترق بنا جبالا * وقطع أودية * وهو يزأر كالأسد كلما دخل غاراً * أو تجاوز قنطرة * وكأنه يدرك ببصيرة نقاده * ويبصر بأبصار وقادة * أو يهتدي بالدليل * فيقتحم المفاوز بالليل * الى أن وصلنا « تيارت » ونزلنا عند صديق لنا من افاضل تجار بني ميزاب فأكرم نزلنا ثم سار معنا على ظهر البابور الى « تيهرت » *

* فنزلناها واذا هي لم يبق منها الا آثار ورسوم وأنقاض متراكمة يجمعها الفلاحون ليحرثوا أماكنها . وبقي من سورها شيء قليل في ناحية يدل على منعته وقوته وزرنا الغار الموجود فيها بالقرب من الشجرتين اللتين يقال انهما من وقت عمرانها والمشهور عن الغار أنه معبد لبعض زهاد ذلك الوقت ويعترف له الاعراب المجاورون لها ببعض كرامات منها ما أخبرني به بعضهم من أن نصرانياً كان في السنين القريبة يرعى خنزيراً له ويأوي اليه في بعض الاوقات للمبيت أو المقيل فيه ولما سمع بنو ميزاب التجار (بتيارت) أو غيرها نهوه عن ذلك مرارا وحذروه فلم ينته ثم أصبح في بعض الايام وهو فيه أعمى وخنزيره هباء بجنبه فاعتبر وندم حيث لا ينفعه الندم . ومن عادة بني ميزاب زيارتها في كل سنة مرارا والتصدق فيها وقراءة القرآن فكان يبعث اليهم يسألهم أن يقبلوا منه صدقته مع صدقاتهم رجاء أن يرد الله عليه بصره فلا يقبلون منه فأتى مرة بنفسه وذبح وتصدق وذهب وقد سألت عنه لما سمعت الحكاية لأجتمع به وآخذ منه حقيقتها مشافهة فلم يتيسر ذلك لموانع أهمها استعجالي ولعلماء الافرنج من الفرنساوين وغيرهم حقيقة علم بأحوال هذه المدينة

وأخبارها وما كانت عليه من العمران فهم يقصدونها في سياحتهم * وقد وجدنا هناك فرنساوياً فلاحاً لا يعرف من العربية الا يسيراً ولما رآنا بفم الغار جاءنا فقال بكلام لا يفهم الا بالقوة ان لبني ميزاب هاهنا في الزمن الاول خمسة ملوك أقوياء وأشار بأصابع يده * ومن وسطها الآن تمر السكة الحديدية وطريق الكروصه الى {تيارت} وغيرها * وبالقرب من العين المسماة الى الآن بعين السلطان بنيت المحطة وعلى العين شرع الفرنساويون في العمارة ولا يمضي زمن حتى يقال عاد الى (تيهرت) شبابها القديم ونزلها تجار الاباضية أربابها القدماء وغيرهم من بني ميزاب وما ذلك على الله بعزيز * وفي جانب منها هنشير عظيم ذو أنقاض كثيرة يعرف الآن بدار السلطان ولعله بقية من دار الامارة الاولى والله أعلم .

* وبعد أن قرأنا ما تيسر من كلام الله العظيم وتصدقنا على الحاضرين بما استصحبناه معنا لأجل ذلك من (تيارت) انفردت الى أعلى جهة منها * أكيف هيئاتها * وأرمي بنظري الى أرجائها * وأنا أردد قول الشاعر القائل *

{كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر }

* الى أن لاحت لي قطعة السور الباقية منه فانتقلت اليها فاذا بها زاوية من زواياه محكمة البناء متينة الأساس كأنها بقية برج فاسترحت في ظلها بجنب عود من تين أو خروع عتيق فما أظن برهة من الزمن أجول بفكري في أخبارها وتاريخها * وببصري في آثارها * حتى أدركتني رقة لانت لها الطبيعة الجامده * والقريحة الكاسده * فجادت بما لم يكن من عادتها قبل ذلك أن تجود به * واستحضرت ما لم أكن أظنها تسبح فيه * فقلت والقلب في حسرة وانكسار * والدمع ينحدر من عينٍ مدرار * وان لم أكن ممن ينظم من الشعر

عقوده * ويدرك منه سننه وفروضه * هذه القصيدة التي لم أغير منها مما قلته اذ ذاك شيئاً سيراً في منهج الصدق الا ما كان من قولي . ﴿ واستعبدوا البر والبحرا ﴾ فانه قد أبدلته الآن بقولي ﴿ واستسهلوا الخ ﴾ كما ستراه لما في لفظ استعبدوا من مجاوزة حد المبالغة المنهي عنها نخذها أيها القاريء على ما فيها ﴿ وان بالبدر كلفاً ﴾

قفا نبك أطلالا تقلص ظلها * ونندب آثار الذين بقوا ذكرا
بني رستم من قام بالعدل ملكهم * فأمست بهم تيهرت كالروضة الزهرا
تحف بها الانهار والزهر باسم * بروض بساتين هي الجنة الخضرا
أقاموا منار الدين دهراً وشيدوا * معالمه واستسهلوا البر والبحرا
فكم نظموا جيشاً وكم نشروا عدلا * وكم هندوا سيفا وكم ضربوا تبرا
وكم من حصون أحكموا ومعاقل * وكم مسجد أحيوا وكم عمروا قطرا
وظل لواء النصر يخفق فوقهم * وتيهرت دار العلم والدولة الكبرى
فكم من أمير تحت ظل ابن رستم * تقلد فيها السيف واكتسب الشكرا
وكم من امام كان في الدين حجة * وكم في سياسات الملوك ترى بدرا
فأمست خلاء تذرف الدمع حولها * عيون بها قرّت وسادت بها دهرا
كذا الدهر خوان فيضحك تارة * ويبكي مراراً صاغ من حلوه المرّا

*
* *

أيا دار كم عمرت والسعد مقبل * عليك وكم بالعلم سادت بك الغبرا
عمرت وعمرت البلاد سويعة * من الدهر كانت من نوادره الغرا
يشد اليك الرحل من كل وجهة * بك العيش رغد طيب وبك الاخرى
فهل فيك من يدري وقوف متيم * يكفكف دمعاً نادباً مربع الذكرا

يئن أنيناً يجرح القلب والكلى * يفتت أكباداً ولما يطق صبرا

* * *

سلام سلام من قلوب كئيبة * تسائل اطلالا ولم تكتسب خبرا
على معهد الاسلام والدين والهدى * وربع ملوك كان ملكهم صدرا

* * *

ألا أيها الخل المرافق قف وقل * حيال ديار طالما جبرت كسرا
سقى الله ﴿ تيهرت ﴾ بوابل رحمة * يجدد ذكراها ويحيي لها ذكرا
وآه وهل يحيي التأوه ميتاً * ومن ذا يرى عمرانها مرة أخرى
بعيد بعيد لكن الله ربنا * قدير على أن المغيب لا يدري

ثم تحولت الى أصحابي وعدنا الى الجزائر ومنها وليت وجهي نحو وطني العزيز ﴿ جبل نفوسة الشامخ العامر ﴾ فكانت لهذه الزيارة بعد ذلك رنة أطبقت آفاق تلك الجهات وبني عليها وعلى ماعطف عليها من الوسائل حدث أضحك وأبكى. وأمات وأحيي. وأهان وأكرم. وأذل وأعز. وأبعد وقرب. وأسخط وأرضى. ﴿وكان. وكان. وكان﴾. مما لوسطر لملأ بطون الدفاتر وضاقت دونه صفحات الطروس وما هو وأيم الله الا أوهام في أوهام. وأفكار كأضغاث أحلام. وحيل ومراصد. يتوصل بها الى خبيث المقاصد ثم كانت عاقبته السلامه. بواسطة من تحلوا بالفضل والكرامه. من أرباب الهمم العليه. والمروءة والانسانية. فتجرع كل من لم يبلغ مرامه من الواشين كؤس سم الحسرة والندامة. وتسربل بسربال المذمة والملامه. اذ أيد الله العدل والانصاف. وبدد الظلم والاعتساف. بتوفيق سيد سلاطين المسلمين. وحامي حمى الحرمين الشريفين. سلطاننا أمير المؤمنين ﴿ عبد

الحميد ﴾ خان الثاني . الى الانعام بمفوشاهاني خصوصي تحليت بحليته الفاخرة وتناسيت ما كان في الحين . وعطفت الى تلاوة قوله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ﴾ وقوله ﴿ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي واتوني مسلمين﴾ وهي آية يزجر بها المعزمون المردة من الجن والشياطين والحمد لله رب العالمين .

تنبيه

حيث أن أغلب تحرير هذا الكتاب كان مجارياً لطبعه بمعنى انما أحرره اليوم يطبع غدا مثلا حصل فيه بعض تساهل من حيث اللغة والاعراب والرسم وربما أطلع على شيء من ذلك بعد فوات طبعه فأتأسف اذ لا يمكنني تصليحه . ومن نظر الى قولي في صحيفة ١٢ عن تهرت ﴿ بعد أن مضى عليها مالا يبعد عن ألف سنة وهي خراب﴾ والى ماذكرته أخيراً ممن وليها بعد بني رستم يصدق ماقلته فاني كنت عند تحرير الاول اعتقد انها لم تعمر بعد بني رستم قط ثم اطلعت على الأخير بعد ذلك. ولم أغير مما نقلته من كلام المؤرخين شيئاً غير لفظ الخوارج الذي يقرنونه أحيانا بلفظ الاباضية أو يعبرون به عنهم طعناً فيهم فاني أسقطته وأرجو من أرباب الاطلاع أن يصلحوا الفساد ما أمكن بدون اعتراض فاني مقر بالعجز والتقصير والكمال لله الذي خلق النقص والكمال.

﴿ وأصلح الفساد بالتأمل * وان بديهة فلا تبدل ﴾

﴿ اذ قيل كم مزيف صحيحا * لأجل كون فهمه قبيحا ﴾

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فهرست

صحيفة		صحيفة	
٢	انتقال الامامة الى المغرب	٦٢	مدينة انكاد
٦	ابتداء تأسيس مدينة تيهرت	..	مدينة مازونة
١٤	أقوال المؤرخين فيها	..	قلعة هوارة
٤٥	الكلام على بعض المدن المشهورة المنسوبة الى تيهرت	٦٣	مدينة مايانة
		٦٤	مدينة تاجنه
..	مدينة (تنس)	..	مدينة أشير
٥٤	مدينة وهران	٦٥	مدينة المعسكر
٥٦	مدينة شلف	..	العلماء المنسوبون الى تيهرت
٥٧	المدينة الخضراء	٦٧	علماء الأباضية
٥٨	مدينة افكان	٧٠	الشكوك في مذهب بكر ابن حماد الشاعر الاديب المشهور
..	مدينة غزه		
..	سوق ابراهيم	٧٥	علماء غير الاباضية
٥٩	مدينة واريفن	٧٨	مدينة سجلماسة
..	مدينة أوزكى	٨٣	﴿ عقد الامامة بتيهرت ﴾
٦٠	مدينة القدير	٨٤	خلافة الامام عبد الرحمن
٦٠	مدينة زلاغ	..	وكلام ابن الصغير على ذلك
٦١	مدينة يلل	٨٥	الاعانة الاولى من أهل الشرق لهذا الامام ووصف ابن الصغير عدله وسيرته
..	مدينة قصر الفلوس		
..	مدينة كرا		

صحيفة		صحيفة	
٨٩	الاعانة الثانية من المشارقة اليه	١٢٢	واقعة نفوسة مع المعتزلة
٩٢	دهاء هذا الامام مع ملك الصفرية	١٢٦	استدعاء المعتزلة فارس نفوسة للضيافة بقصد الغدر به
٩٣	خطبة ابن رئيس الصفرية لبنت الامام وتزوجه بها	١٢٩	حرب أخرى كبيرة للامام
٩٥	حملها منه وما نشأ عن ذلك	١٣٣	تزوج الامام من قبيلة لواتة
٩٨	وفاة الامام	١٣٧	عزم الامام على الحج
١٠٠	(خلافة الامام عبد الوهاب)	١٤٠	منع نفوسة الامام من الحج
١٠٢	خروج ابن فندين عن الطاعة	١٤٣	حكاية أبي عبيدة معه
١٠٣	مكيدة لقتل الامام .	١٤٤	محاصرة الامام لطرابلس .
١٠٧	ارسال المسلمين الرسل للمشرق	١٤٦	محاصرة عسكر الامام لقابس
...	صورة جواب المشارقة .	١٤٧	رجوع الامام الى تيهرت
١٠٨	ارتحال شعيب من مصر الى تيهرت طمعا في الامامة	...	وولاية السمح على الجبل
		١٤٨	وفاة السمح وفتنة ابنه خلف
١٠٩	حرب ابن فندين مع الامام	١٤٩	جواب الامام الى نفوسة في شأن خلف
١١٢	رجوع الرسل من المشرق والغدر بميمون بن الامام	١٥٢	ولاية أيوب بن العباس للجبل
١١٥	حرب ابن ميمون مع القاتلين لوالده .	...	ولاية أبي عبيدة على الجبل
		١٥٥	حكاية ابن يانس التابع لخلف
١١٦	حرب الواصلية مع الامام	١٥٧	صورة جواب الى امام عمان
١١٨	طلب الامام من نفوسة جيشا	١٥٩	تصحيح قول

صحيفة

١٦٠ رسالة أبي عبيدة مسلم للامام
١٦٣ وفاة الامام وعدد أولاده ومدته
١٦٤ عمال هذا الامام .
١٦٦ ﴿ خلافة الامام أفلح ﴾
١٦٧ محاربة أبي عبيدة لخلف
١٦٨ محاربة ثانية له ووفاته
١٧٤ ولاية العباس على الجبل
١٨١ كلام ابن الصغير على سيرة الامام
١٨٢ دهاء هذا الامام
١٨٤ أحوال الامام مع الملوك
١٨٧ رسالة الامام الى بعض عماله
١٨٨ رسالة أخرى له
١٩٠ قصيدته في فضل العلم
١٩٥ انتحال فرج النفوسي الخروج
١٩٩ رسالة الامام الى رعيته
٢٠١ رسالته الى المسلمين كافة
٢٠٤ رسالته الى نفات
٢٠٦ هروب نفات الى المشرق ونسخه ديوان جابر من بغداد
٢١٠ امتحان الشراة لهذا الامام

صحيفة

٢١٤ النصيحة العامة من الامام
٢١٩ عمال الامام
٠٠٠ ولاية أبان على نفوسة
٢٢٠ وفاة الامام ومدته وأولاده وذهاب أبي اليقظان الى الحج
٢٢٢ ﴿ خلافة الامام أبي بكر ﴾
٢٢٣ مصاهرته لابن عرفة
٢٢٤ رجوع أبي اليقظان من بغداد
٢٢٦ مذاكرة الامام مع رجاله في شأن ابن عرفة
٢٢٧ قتل ابن عرفة
٢٣٠ قيام أهل المدينة للأخذ بثاره
٢٣٢ تجنب نفوسة وأبي اليقظان
٠٠٠ حربهما مع أهل المدينة
٢٣٦ ﴿ خلافة الامام أبي اليقظان ﴾
٢٣٧ طلب الامام جيشا من نفوسة
٢٤٠ رسالة الامام الى العمال والرعية
٢٤٣ مناظرة الاباضية مع المعتزلة
٠٠٠ حكاية أبي عبيدة مع الامام
٢٤٥ تعلق نفوسة بهذا الامام

صحيفة		صحيفة	
٠٠٠	ولاية أفلح بن العباس على نفوسة	٢٧٥	دخول الامام المدينة
٢٤٧	حكاية قاضي تيهرت	٢٧٧	أخبار أبي منصور مع ابن خلف
١٥١	ولاية أبي منصور على نفوسة	٢٨٠	ولاية أفلح بنفوسة ووقعة (مانو)
٢٥٥	محاربته مع ابن صاحب مصر	٢٨٤	واقعة لابن الاغلب مع نفوسة
٢٥٨	جواب أبي منصور اليه	٢٨٦	أرباب المذاهب بتيهرت
٠٠٠	حكاية سجن الامام ببغداد	٢٨٧	خطب الجمعة في ذلك العهد
٢٦٠	خبره مع أخي السلطان	٢٨٩	خطبة التحكيم
٢٦١	عقد الخلافة لأخي السلطان	٢٩١	قتل الامام وعدد مدته
٢٦٢	طلبه من الامام الاقامة ببغداد	٢٩٢	ولاية اليقظان وقتله وانقراض ملك بني رستم من تيهرت
٢٦٣	(غريبة)	٢٩٣	خبر يعقوب بن أفلح
٢٦٤	وفاة الامام وعدد أولاده ومدته	٢٩٣	من ولي تيهرت بعد بني رستم
٢٦٥	﴿ خلافة الامام أبي حاتم ﴾	٣٠٠	ماقيل من الشعر في رثاء تيهرت عند خرابها
٢٦٦	نفي الامام لبعض المفسدين	٣٠١	زيارة جامع الكتاب الى اطلال تيهرت وقصيدته واشارة الى مانشأ عنها
٢٦٩	خروج الامام من المدينة	٣٠٧	﴿ تنبيه ﴾
٢٧٠	محاصرة الامام للمدينة		
٢٧١	مبايعة أهل المدينة لعم الامام		
٢٧٢	حرب الامام مع عمه		
٢٧٣	عقد صلح بين الامام وعمه		
٢٧٤	الاجماع على الامام		

تم بعونه تعالى بمطبعة الازهار البارونية